هذا العدد

يــومٌ مشهود

لا ! .

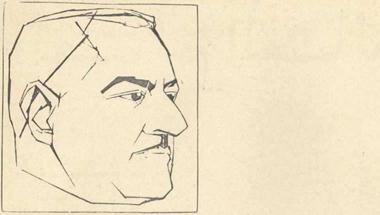
لم تكن ظلمة الليل هى التى احاطت بنا فى ذلك اليوم المشهود ، يوم السبت العاشر من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ ؛ ولـكنه كان الضوء ينبعث لنـا عن صبح جديد ؛ فظلمة الليل اذا استبدت بالسائر فى جنحها ، انحرف عن جادة السبيل ، ولم يعد يدرك لنفسه هدفا ولاوسيلة ؛ لكننا فى ذلك اليوم المشــهود ، حددنا الهدف واضحا ، ورسمنا له الطريق ؛ وكان الهدف الذى حددناه هوأن نعيد البناء ، وكان الطريق الذى رسـمناه هو الأمانة والشجاعة : الأمانة التى لا تسدل الستار على كذب وضعف ، والشـجاعة التى لا تهزها النكسـة ولا تفزعها الحادثات .

لقد هبت علينا العاصفة قوية عاتية ، من جهات غادرة ثلاث ، ومالت بنـا السفينة حتى مست بحافتها سطح الماء ؛ وخفق الشراع بضربات شداد ؛ لكن ما لبث الربان أن شدد القبضة على السكان (الدفة) وعلى الشراع ، فاطمأنت أنفس الراكبين لم تجزع منهـا نفس ، وسكنت الأفئدة لم يهلع منها فؤاد ؛ واستووا جميعا مع ربانها ، يصلحون بكل عزيمة ماضية ما أتلفه الموج وما أفسدته الريح .

لا ! .

ليس العيب هو فى أن تزلزل الأرض ويشقق البنيان ، لكن العيب هو فى أن يقف صاحب البيت المعطوب ، شاخصا الى الأنقاض ببصر زائغ وذراع شلاء ؛ وكم من بناء تساقطت من أركانه أركان ، ثم أعيد بالعزم المصمم أقوى ركيزة وأصلب دعامة ؛ فالسنديانة الضخمة قد تلف أوراقها اتقاء البرد والصقيع ، لتعود فى الربيع والصيف أقوى جذوعا واعتى فروعا وأوفر كساء .

لقد جلس الملايين من الأمة العربية ـ مساء يوم الجمعة التاسع من هذا الشهر ـ جلسوا مشدودى الأسماع والأبصار الى أجهزة الاذاعة والتليفزيون ؛ والقلوب واجفة والأفئدة راجفة ، ينتظرون ما يعلنــه فيهم زعيمهم عما وقع ابان الفترة العصيبة وكيف وقع ؛ ثم ظهر الزعيم ليقول : « لقد تعودنا معا فى أوقات النصر وفى أوقات المحنة ؛ وفى الساعات الحلوة وفى الساعات المرة ، أن نجلس معا ، وأن نتحــدث بقلوب مفتوحة ، وأن نتصارح بالحقائق ، مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده ، نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا السليم ، مهما كانت الظروف عصيبة ، ومهما كان الضوء خافتا ؛ ولا نستطيع أن نخفى على أنفسنا ، انناواجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة ؛ لكنى واثق أننا جميعا نستطيع ـ وفى مدة قصــيرة ـ أن نجتاز موقفنا الصعب ، وان كنـا نحتــاج فى ذلك الى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتفانية » .



ثم طفق الزعيم يقص على الأمة العربية المنصتة بآذانهاوقلوبها ، تتابعه لفظا لفظا ، وعبارة عبارة ؛ لا تفلت منها نبرة من صوت ولا لمعة من عين ، ولا تغيب عنها انقباضة فى جبين ولا زمة لشفتين ؛ أخذ الزعيم يقص على هذه الأمة العربية المنصتة له بآذانها وقلوبها ، كيف جرت الحوادث من غدر الى غــدر ومن مكيدة الى مكيدة ؛ يكيد الأعداء للأمة العربية فى حلكة الليل ليغدروا بها فى وضح النهار .

حتى اذا ما وصل الزعيم فى حديثه الى موضع يقول فيه : « ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه ؛ لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى ، وأن أعود الى صفوف الجماهير ، أؤدى واجبى معها كأى مواطن آخر ... ... » أقول : ان الزعيم ما وصل فى حديثه الى هذا الموضع ، حتى أحست الأمة العربية كلها ـ من أقصاها عند الخليج الى أقصاها عند المحيط ـ بأنها كمن ألقى به فى فراغ هائل ليس له من قرار ! لقد أخذ الناس آنئــذ ما يشبه الدوار ، فلا الآذان تسمع ولا الأعين ترى مما حــولها شيئا ... أفى الليلة الظلماء يضيع منا مشعل الهداية ؟ أفى قلب الاعصار تترك القافلة بغير دليل ؟ أئذا غشيت الغاشية يترك النسر موقع الحراسة من سربه ؟ .

ولم تكن الا دقائق ، ثم هبت الأمة العربية جمعاء ، لتقول بصوت واحد ، وبنفس واحــد ، وبقلب واحد ، وبعزم واحد ... لا ! ، تقولها أفرادا فى بيوتهم وجماعات فى الطرق والميادين ، تقولها مرسلة على الهواء ، ومطيرة على أسلاك البرق ، ومبثوثة مع موجات الأثير اذاعة مسموعة ومرئية .

لا ! .

أدر السفينة يا ربانها ! اقشع يا فجر ظلمة الليل ؛ وانشر جناحيك يا نسر ليــأمن السرب ؛ وردد حداءك يا دليل لتسلم القافلة .

ولم يكن بد للزعيم من أن يستمع الى صيحة الأمة وصرخة الوطن .

وان أيدينا لفى يديه تربطهــا عزمة من جديد ، وان قلوبنا لتنبض مع قلبه ضــاربة على رجاء واحد ، وهو اقامة البنــاء من جــديد ، نتوخى معا مواضع الضعف فنقويها ، ونبحث معا عن مواطن العلة فنصلحها ؛ تحدونا فى ذلك كله أمانة وشجاعة : أمانة لا تسدل الستار على كذب وضعف ، وشجاعة لا تهزها النكسة ولا تفزعها الحادثات .

رئيس التحرير

العالم الثالث



يفرض نفسه

دكتور محمد عوض محمد

- ان هذه الدول لا تريد ، ولم تكن يوما تريد ، ان تكون عدوا لأحد لا فى المعسكر الشرقى ، ولا فى المعسكر الغربى . وهى مستعدة لان تتعاون مع الجميع فى ميدان الخير .
- ومن أجل ذلك أعلنت أن سياستها ترمى الى « عدم الانحياز » ، وأصبح هذا هو شعارها ومبدؤها الذى تؤمن به وتتمسك باهدابه .
- ان نشوء العالم الثالث كان أمرامحتما، فرضته الظروف التى نشأ فيها هذا الصراع بين الشرق والغرب ، دون أن يكون لكثير من الدول اى دخل فى هذا النزاع .

ما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية فترة من الزمان تكاد الا تتجاوز العشرين عاما يسميها الناس **فترة ما بين الحربين** ... لقد مضى على هذه الفترة الآن ما يقرب من الثلاثين عاما . وكاد الناس أن ينسوا الحالة السياسية والاجتماعية التى كانت تسود العالم فى تلك الفترة . ان الكهول منا والشيوخ هم الذين يستطيعون بشىء من الجهد والمشقة ، أن يستعيدوا فى مخيلتهم حالة العالم اذ ذاك . فلقد بدلت الأرض غير الأرض ، والسموات ايضا تناولها التحوير والتبديل .

ومما يفيدنا فى فهم الموضوع الذى نعرض له اليوم ، أن نتمثل أمام اعيننا الخطوط الرئيسية لحالة العالم قبل الحرب العالمية الأخيرة :

العالم قبل الحرب

١ — كانت القارة الافريقية كلها ، بما فى ذلك **أثيوبيا ومصر** ، تحت سيطرة الاستعمار فى مختلف صوره وأشكاله . لم يكن فى هذه القارة العظيمة المترامية الأطراف ، قطر واحد يستطيع اهله أن يزعموا انهم سادته ، والمتصرفون فى مختلف شئونه .

٢ — أما فى آسيا فقد كانت الحال لا تختلف كثيرا عما هى فى افريقيا . **فالبلاد العربية** تحت الوصاية أو استقلال شكلى لا يكاد يختلف عن الوصاية ... **والهند** العظيمة ذات الخمسمائة مليون نسمة تعيش تحت سيطرة بريطانية ، لا تملك لنفسها منها خلاصا . وفى **الجنوب الشرقى** يسود النفوذ الفرنسى فى بلاد الهند الصينية . فيما عدا شبه جزيرة الملايو الخاضعة للسلطان البريطانى .

وفى الجنوب الشرقى ايضا أقطار عظيمة تضم جزيرة جاوة وسومطرة وبرنيو وسلبس ومئات أخرى من الجزر الصغيرة . وكلها خاضع تحت نير دويلة هولندة ...

واخيرا رات اليابان انها لابد ان تنافس الدول الغربية فى المجال الاستعمارى . فشنت على الصين حربا شعواء ، وبسطت نفوذها على الشطر الأكبر منها .

وكان **الاستعمار الأمريكى** يعمل فى مجال خاص اختاره لنفسه ، فكان له النفوذ الواسع العريض فى امريكا اللاتينية ، وكانت له السيطرة التامة على جزر الفلبين ، ذات الموقع العسكرى الخطير . والثروات الفنية الوفيرة ...

أما **الاتحاد السوفيتى** ، فكان نفوذه على الأراضى الروسية ، وكان له نفوذ فى بلاد القوقاز وسيبيريا . ولكن آراءه ومذهبه كانت تغزو بعض الأقطار ، لتنشر فيها الوعى الاشتراكى والشيوعى ...

الدول الكبيرة والصغيرة قبل الحرب

وكان الوضع المصطلح عليه أن العالم ينقسم قسمين : دول كبيرة ودول صغيرة ، وكانت الكبيرة هى انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا فى أوروبا . والولايات المتحدة فى أمريكا . واليابان وحدها فى آسيا . والاتحاد السوفيتى مشترك بين أوربا وآسيا . أى أنه كان فى العالم سبع دول كبيرة ... أما سائر العالم فدولات صغيرة أو متوسطة . أو أقطار تنوء تحت نير الاستعمار . وعبثا حاولت دول أكبر من المتوسط قليلا مثل البرازيل فى أمريكا الجنوبية وبولندة فى أوربا أن تحشر نفسها فى زمرة الدول الكبيرة . فلم تفز جهودها بطائل . واضطرت لأن تغضب وتقاطع عصبة الأمم التى كانت تجتمع فى جنيف .

على أن الدولة المتوسطة والصغيرة كان لها بالرغم من توسطها وصغرها ، شأن ومكان فى العالم . وكان لبعضها مستعمرات واسعة مثل بلجيكا وهولندا والبرتغال . وليس من الاسراف أن يقال أنها كانت تتمتع بنصيب من الاستقلال لا يحظى كثير منها بمثله اليوم .

حالة الدول بعد الحرب

والآن وقد أوضحنا المعالم الرئيسية للأوضاع السياسية قبل الحرب العالمية ، فاننا نستطيع الآن أن ننظر كيف حالت الحال وتغيرت المعالم ، **بسبب الحرب العالمية الثانية** .

كان فى العالم كما رأينا سبع دول اصطلح الناس على تسميتها الدول الكبرى . ويجمل بنا الآن أن ننظر اليها واحدة بعد الأخرى .

١ ــ **ايطاليا** تحطمت ، واحتلتها الجيوش المعادية ، وسلبت منها مستعمراتها . وتهدم الحكم الفاشستى بكبريائه وجبروته . وكان لابد لايطاليا من عون كبير لتسترد قدرتها على البقاء .

٢ــ **فرنسا** ايضا احتلها اعداؤها الألمان ، وسيطروا عليها السيطرة التامة . وهى أيضا لم يكن لها بد من المعاونة لكى تسترد كيانها الاقتصادى والسياسى . وتركت لها مستعمراتها .

٣ــ **وانجلتره** لم يحتلها العدو ، ولكنه أنزل بها العقاب الصارم ودك ديارها ومصانعها . ولم تفقد مستعمراتها ، وخيل لها كما خيل لفرنسا أنها ستظل دولة استعمارية . غير أن الحرب حطمت اقتصادياتها ، وجعلتها أيضا فى حاجة الى العون الاقتصادى الكثير لكى تستأنف حياتها كما تريد ، أو قريبا مما كانت تريد .

٤ ــ أما **ألمانيا** التى كانت عاملا هاما فى سحق انجلتره وفرنسا وفيما أصابهما من الاذلال والتخريب فقد مزقت هى الأخرى شر ممزق ، ودمرت أكبر تدمير ، وباتت فى حالة من البؤس والشقاء . الى أن انقذها العون الخارجى .

٥ ــ **واليابان** حليفة ألمانيا ، التى استطاعت أن تستولى على الصين وجزر المحيط الهادى والفلبين وجنوب شرقى آسيا . منيت بعد هذا التوسع الضخم بالاندحار والهزيمة واضطرت الى التسليم بلا قيد ولا شرط ، بعد أن تعرضت لتخريب وتدمير لم يسبق له مثيل بواسطة قنبلتين ذريتين ألقيتا على هيروشيما ونجزاكى .

وهكذا استحالت خمس من الدول الكبرى الى دول لا تمت الى العظمة بصلة . وبقيت من الدول السبع دولتان : الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ، استطاعتا بمواردهما الضخمة ، وبما لهما من القوة الحربية الهائلة ،

ان يحتفظا بمنزلة عظيمة بين الدول ، وان يظهر كل منهما بمثابة العملاق بين الأقزام ، وزاد فى قوة مكانتهما انحطاط مستوى الدول التى كانت تعد من قبل دولا كبيرة ...

قال **الأستاذ لاسكى** بعد الحرب : ان انجلتره اصبحت دولة من الدرجة الثالثة . وقد أخذ هـذا القول يحز فى نفس الانجليز ، ويبعث فى نفوسهم شيئا كثيرا من مركب النقص ، يظهر فى تخبطهم فى سياستهم الاستعمارية ، محاولة منهم أن يستبقوا شيئا من آثار العظمة البائدة .

ولم يسبق للعالم أن صار فى وضع سياسى دولى كهذا الذى ادى الى بروز دولتين كبيرتين وكأنهما كوكبان تحف بهما التوابع . وتدور فى فلكيهما . وتكاد لا تجد مناصا من أن تدور فى فلكيهما .

عالمان متنافسان

كان واضحا منـذ أشرفت الحرب العالميـة الثانية على الانتهاء ذلك التحول العظيم فى المسرح السياسى . وأن هذا المسرح بات يحتله كائنان عظيمان لا ينازعهما فيه أحد . كما أنه بات من الواضح جدا ان بين هاتين القوتين العظيمتين تنافسا شديدا . وأن كلا منهما يحس أن كيانه مهدد بالآخر . وأخذت كل منهما ترسم الخطط وتضع المشاريع لكى تدرأ عن نفسها ما توهمته من خطـر . وذلك على الرغم من أنهما خاضتا أكبر حرب جنبا لجنب .

لا شك انه مما زاد تعقيد المشكلة أن النظام الاقتصادى الأمريكى يستند الى الرأسمالية ، وأن النظام السوفيتى قائم على الاشتراكية . وقد كان الكتاب وأصحاب الرأى فى غرب المحيط الأطلسى لا يألون جهدا فى التحدث عن الخطر الشيوعى والمبادىء الهدامة ، وكثير منهم لم يقصر فى تحذير امريكا من أن تأمن لهذا الحليف الشيوعى اللدود . وكأنهم يتمثلون بقـول **المتنبى :**

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

وكم من كاتب فى أمريكا أعلن فى نهاية الحرب ان من واجب أمريكا أن تبعث القوة من جديد فى المانيا لكى تجعل منها درعا يقى أوربا شر التمدد الشيوعى ، ولاشك أن هذه الصيحات لم تلبث ان وجدت آذانا صاغية .

واحس الاتحاد السوفيتى فى العام الأخير من الحرب العالمية ــ ولعله كان يحس قبل ذلك ــ ان أخوة الحرب ليست الا ضرورة أملتها الظروف ، وأنها ستنتهى حتما بانتهاء الحرب ، فأخذ يتأهب للعهد الذى سيجىء بعد ان تضع الحرب أوزارها ... ذلك العهد الذى أطلق عليه الناس فيما بعد اسم **الحـرب الباردة** . لأن التضحيات الهائلة التى قدمها الاتحاد لن تشفع له ، حتى تصفو النفوس وتتلاشى الأحقاد .

ولقد كان كاتب هذه السطور عضوا فى وفد مصر فى سان فرانسسكو سنة ١٩٤٥ ، وسمع هناك بعض المسئولين الأمريكيين وهـو يخاطب شخصية عربية ، ويقول : ان أمريكا قد انتهت من حرب ولكن أمامها حربا أخرى بينها وبين الاتحاد السوفيتى ، ومع ان هذا قد يكون مجرد رأى شخصى ، فان أكبر الظن انه كان رأيا يعتنقه كثير من أولى الأمر والنفوذ . كما ظهر بعد ذلك فى خطب الخطباء ومقالات الكتاب .

تكوين المعسكر الشرقى

لهذا لا يستطيع أحـــد أن يلوم الاتحـــاد السوفيتى على أنه لم يحسن الظن بنوايا حلفائه ، وبادر باتخاذ اجراءات للوقاية نذكر منها :

١ ــ تأمينا لأرض الاتحاد السـوفيتى فى منطقة البحر البلطى ، أقام من دولة لتوانيا ولاتفيا واستونيا جمهوريات سوفياتية داخل الاتحاد . وكانت روسيا قد فقدت هذه الأقطار بعد الحرب العالمية الأولى .

٢ ــ انتصر النظام الاشتراكى فى بولنده ، وامتدت حدودها غربا الى نهـر الأودر ودخلت فيها مقاطعـة بروسيا الشرقية ومعها مدينـة دنزج ، التى كانت الشرارة التى أوقدت الحرب .

٣ ــ امتدت حدود الاتحاد السوفيتى ، قليلا نحو رومانيا . وصارت رومانيا دولة تسير فى فلك الاتحاد السوفيتى .

٤ ــ وكذلك كان الأمـر بالنســبة لتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية ، وجمهورية المجر ، وبلغاريا ، والبانيا ، ويوجوسلافيا .

ولم تتغير الأوضاع كثيرا بسبب السياسة المستقلة التى اتبعتها يوجوسلافيا على الرغم من انها اغضبت ستالين . واذا كانت هـذه السياسة قد أبعدت يوجوسـلافيا عن احد المعسكرين فانها لم تدفعهـا الى التقرب من المعسكر الآخر .

٥ — وفى الشرق الأقصى انتصـــــرت الشيوعية على قوات الجنـــرال شيانج كاى شيك ، الذى كانت تناصره أمريكا وطاردته حتى الجأته هـــو ونفـــره الى الاعتصـــام بجزيرة فرموزا ... واخذت روسيا تبذل العون الفنى والاقتصادى لحكومة الصين ، وكان لهذا العون أثره البالغ فيما وصلت اليه الصين من التقـــدم الاقتصادى والعسكرى فى الأعوام الحديثة .

وباعتناق الصـــين للمذهب الشيوعى ، اصبحت دولة الصين كلهـــا بملايينها الستمائة وقواتهـــا الهـــائلة ، ومواردها الغزيرة بمثـــابة اضافة ضخمة للتكتل الشيوعى ، تضاعف من قدراته ومعنوياته . وعلى الرغم من التنافس الذى ظهر بعد ذلك بين الصين من جهة والاتحاد السوفيتى من جهة ، وبالرغم مما يبدو فى بلاد الصين نفسها من الانقسام اليوم ، فان **أحــدا لا يستطيع أن يقطع بأن الكتلة الشيوعية قــد أصابها التمزق ، بصفة دائمة ، أو أنها لن تعود الى التعاون وتوحيد الجهود .**

وهكذا تكون المعسكر الشرقى او «الشيوعى» .

تكوين المعسكر الغربى

اما الولايات المتحـــدة فقـــد خرجت من الحرب ظافرة موفورة الموارد . وهى تدرك فى شيء من الاعتداد بالنفس ، انها فى العالم قوة عظيمة بأموالها ومواردها ، وبامتلاكها ناصية الســـلاح الجديد ، الذى اصبحت وحـــدها القادرة على انتاجه بكميات وافرة ، وان كانت أسرار هذا الســـلاح قد تسربت الى غيرها من الأقطار .

وامتـــازت امريكا على غيـــرها من الدول المحاربة ، بأن ارضها لم تكن يوما ميدانا للحرب وانها نجت من جميع الويلات التى تعرضت لها سائر الأقطـــار . وخشيت امريكا ان تنتشر النظم الاشتراكية او الشيوعية فى اقطار جديدة فى أوروبا بخاصة وفى العالم كله بعامة . فبادرت بتقديم المساعدات المالية الضخمة لدول عديدة لكى تقاوم انتشار المبادىء الشيوعية ، وقـــد امكنها فعلا ان تضعف النزعات اليســـارية فى فرنسا وفى ايطـــاليا واليونان ، اما فى انجلترة والمانيا فلم يكن هناك خطر شيوعى جدى ، ولكن



أمريكا بذلت لهاتين الدولتين مساعدات ضخمة على مدى سنين عديدة حتى تضمن لنفســـها السيطرة التـــامة على سياستهما ، وتوجيههما الوجهة التى تريدها ...

ثم خلقت أمريكا بعـــد ذلك الـــكتلة التى تسميها حلف شمال الأطلنطى . واعلن صراحة انه حلف يرمى الى الحيلولة دون توسع الكتلة الشرقية . وتألف الحلف من كنـــدا والولايات المتحدة ومن انجلترة وفرنسا والمانيـــا وبلجيكا وهـــولندة ولكسمبورج ودول أســـكندناوة والبرتغال ومن دول لا نستطيع بســـهولة ان نعدها اطلنطية مثل اليونان وتركيا . وهـــذا الحلف **كانت تتزعمه صراحة وتبجحا حـــكومة الولايات المتحدة** ، بل جعلت تتحكم فيه بدرجـــة اضطرت فرنسا الى هجره وطرده من بلادها .

هكذا ألفت أمريكا قوة ضـــخمة فى غرب اوروبا ، مقابل الكتلة الشرقية التى تتزعمهـــا روسيا ، ولم تكتف بهذا بل ارادت ان تحـــكم النطاق «الدفاعى» حول الاتحـــاد السوفيتى ، فقوت صلاتها بتركيا وايران ، وبذلت فى سبيل ذلك آلاف الملايين ... ولم يكفها هذا بل ارادت ان تزيد طوقا جديدا حول التحالف السوفيتى، من جهة الجنوب . **فسعت فى انشاء هذا الشيء المسمى حلف بغـــداد** ، ومع انه لم يكن شيئا ذا خطر ، فانها ظنت ان نفوذ الانجليز فيه قد يجعل له قيمة .

وقد تهدم حلف بغداد ، **وخلفه شيء يسمى الحلف المركزى** ، هو ايضا آيل للسقوط ... **بقطع النظر عن الحلف الاسلامى الذى ولد ميتا.**

ثم ارادت ان يكون لها فى شرق آسيا دول تعتمد عليها ، ووقع اختيارها على تايلند التى كان بينها وبين جيرانها منازعات . **وبسبب هذا الحرص على التسلط فى شرق آسيا انساقت بعد ذلك الى الحرب الوحشية المدمرة فى فيتنام،** وراث ان تشترك فيها استراليا وفرموزا وكوريا الجنوبية والفلبين ونيوزيلندة . ولا نحسب ان هذه الدول مؤمنة بالسياسة الامريكية كل الايمان ، ولكنها لم تجد مناصا من المجاراة والانصياع .

وسعت امريكا بقوة معوناتها الاقتصادية ، ان تنشىء رابطة قوية مع دول امريكا اللاتينية فكان قصارى جهدها بذل آلاف الملايين من الدولارات ، دون ان تكسب ما يعادل ذلك من العطف والتقدير . واذا كان بينها عدد يتظاهر بأنه يجارى الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية، فان كثيرا منها لا يخفى استياءه من تورطها فى سياستها فى كوبا وسان دومنجو ، وفى فيتنام وفى ممالأتها للسياسة الاستعمارية لبعض دول غرب أوروبا .

ظهور العالم الثالث

وصفوة القول أن العالم بات منقسما الى معسكرين كبيرين : العالم الشرقى والعالم الغربى ، وحاول كل منهما أن يحيط به عدد ضخم من المؤيدين والمناصرين . ولم يكن بد أن يظهر فى العالم دول ، لم تكن ترضى بأن تتبع هذا الحلف أو ذاك ، وأن تبيع استقلالها وحريتها التامة ، بل تريد أن تسلك السبيل الذى ترضاه ، لا الطريق الذى يفرض عليها ، ولا تبتغى ان تتورط فى حلف يتنافى مع مصالحها ، كما انها لا تريد ان تسلك سياسة النفاق ، فتتظاهر بالانضواء تحت راية لا تؤمن بها ، واذا جد الجد نكصت على أعقابها ، وتراجعت عن موقفها .

ان هذه الدول لا تريد ، ولم تكن يوما تريد، أن تكون عدوا لأحد لا فى المعسكر الشرقى ، ولا فى المعسكر الغربى . وهى مستعدة لأن تتعاون مع الجميع فى ميدان الخير ، وطبقا لميثاق الامم المتحدة ، ولكنها لا تريد أن تنحاز لأحد المعسكرين . ومن أجل ذلك اعلنت ان سياستها ترمى الى « **عدم الانحياز** » ، واصبح هذا هو شعارها ومبدؤها الذى تؤمن به وتتمسك بأهدابه .

هذه الدول هى التى يتألف منها العالم الثالث ، والتى استطاعت تثبيت كيانها ، وتقوية بنيانها فى مدى بضعة عشر عاما . **وكان المرحوم الرئيس نهرو والرئيس جمال عبد الناصر والرئيس اليوجوسلافى تيتو من أكبر الدعاة لسياسة عدم الانحياز . وبفضل ما بذلوه من همة وما اظهروه من ثبات على مبدئهم ازداد العالم الثالث قوة ،** وثبتت أصوله ونمت فروعه . وبدأ لكثير من قادة الدول انهم ليس لهم ادنى مصلحة فى هذه الحرب الباردة ، التى لا تعنيهم من قريب أو من بعيد . وانهم يربأون بأنفسهم ان يكونوا مجرد أدوات يحركها ساسة الغرب أو الشرق كما يشاءون ، لا كما تشاء مصالحهم أو مصالح شعوبهم ...

ومما ساعد على نشر الوعى الاستقلالى هذا ظهور دول جديدة « نامية » ، زال عنها حديثا كابوس الاستعمار والتسلط الأجنبى . ولم يكن من الصعب على قادة هذه الدول أن تدرك أنه ليس مما يقبله العقل أن تعود فتضع القيود فى أيديها وأرجلها طائعة مختارة بانحيازها لفريق على فريق ، وهكذا استطاع الكثير من دول القارة الافريقية بفضل جهود عدد غير قليل من قادتها ان تعلن فى صراحة تامة انها ترغب فى أن تعيش فى صلات طيبة مع جميع الدول شرقيها وغربيها ، « **غير منحازة** » لكتلة من الكتل ، ومتعاونة مع الجميع دون تفرقة أو تمييز .

ولم يلبث العالم الثالث ان ظهر اثره وتأثيره فى المجالات الدولية بعامة ، وفى منظمات الأمم المتحدة بخاصة ، واتصل اعضاؤه بعضهم ببعض فى مؤتمرات صغيرة بين طائفة من الزعماء والقادة . وفى مؤتمرات ضخمة شهدها وفود عديدة من افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .. ولئن كان هذا العالم الثالث بحاجة الى مزيد من التنظيم والتعاون ، انه ليسير بخطوات ثابتة فى هذا الاتجاه .

موقف العالم الغربى والشرقى من العالم الثالث

ان اقل نظرة فهم وانصاف تكفى لاقناع كل ذى مسكة من العقل ، **أن نشوء العالم الثالث كان أمرا محتما** ، فرضته الظروف التى نشأ فيها هذا الصراع بين الشرق والغرب دون أن يكون لكثير من الدول اى دخل فى هذا النزاع .

وقد كان لدول العالم الغربى والشرقى من تكوين هذا العالم الثالث ، موقف يستحق ان نلقى عليه نظرة عابرة .

فأما **العالم الغربى** ، الذى تهيمن عليه الولايات المتحدة ، فانه لم يرض عن هذا العالم الثالث المستقل . وكان فى امريكا رجل يدعى **فستر دلاس** ، يدير دفة الشئون الخارجية لبلاده وكان لا يعترف بشىء اسمه الحياد بالنسبة للنزاع بين الشرق والغرب . وكان رايه منطبقا على قول المستبدين القدماء : « من ليس منا فهو علينا » وهو فى قوله « ليس منا » يعنى من لا يتبع سياستنا ويأتمر بأمرنا . وقد حدث ذات مرة ان أعلن **الرئيس ايزنهاور** فى ساعة غفلة ان الدول الصغيرة لها العذر اذا كانت لا تريد ان تزج بلادها فى أحد المعسكرين ، وتريد ان تحترم رغبتها فى التزام الحياد . وحينما سمع فوستر دالاس بهذا التصريح ، اعلن تصريحا ينقضه تماما ويعلن ان الطريق الوحيد لكل دولة خارج المعسكر الشرقى ان تتبع سياسة الولايات المتحدة الامريكية وقد كان منظرا مضحكا الى حد كبير ان يعلن الوزير للعالم مخالفته لتصريحات رئيسه . ولم يفت الجرائد فى جميع العالم أن تعقب على هذا الاضطراب فى اقوال الشخصيتين الأولى والثانية فى الولايات المتحدة .

وهذا الاسراف فى بغض العالم الشرقى قد دفع أمريكا الى ارتكاب كثير من المخازى ، مثل غزو كوبا الذى أوقعها فى أحقر المواقف أمام العالم كله ، وحرب فيتنام التى تزداد نقمة العالم عليها كل يوم ، سواء فى ذلك سكان الولايات المتحدة نفسها أو سائر سكان العالم ... ناهيك بالسياسة الصهيونية ، التى يتجسم فيها الغباء الأمريكي فى أحقر صوره وأشكاله .

العالم الثالث فى نظر الدول الشرقية

لقد كان تكوين العالم الثالث له فى العالم الشرقى رد فعل يختلف تماما عما رأيناه فى المعسكر الغربى . ان الاتحاد السوفيتى لم يبد أى نفور مما تبديه دول العالم الثالث من الاستقلال فى الرأى . ومن التزامها خطة « عدم الانحياز » . وقد نادى زعماء روسيا بنظرية جديدة وهى « **التعايش السلمى** » ، لتنظم بذلك علاقاتها مع الدول الغربية ، ويقال ان الرئيس كندى كان يميل الى تجربة هذه الخطة الجديدة . ولعل ميله هذا لم يكن منقطع الصلة بالظروف التى دعت الى قتله جهارا نهارا ، فى بلاد تزعم انها ارقى الدول واغناها واكثرها ضربا فى ميدان الحضارة والمدنية .

ولئن كانت روسيا وحلفاؤها ينادون بالتعايش السلمى مع البلاد الراسمالية ، التى تناصبهم العداء ، انه ليس بمستغرب ان تكون راضية كل الرضى عن استقلال العالم الثالث ، ووقوفه موقف الحياد ، وان تقدم له كل المعاونة الممكنة ، لكى يحتفظ باستقلاله ، ويرد العدوان عن بلاده .

وربما كانت يوجوسلافيا ، وهى من دول العالم الثالث البارزة ، من احسن الأمثلة التى تضربها للعلاقات بين ذلك العالم وبين الاتحاد السوفيتى . لقد كان للزعيم الراحل جوزيف ستالين رأى خاص فى السياسة الى تتبعها حكومة يوجوسلافيا ، ولكنه لم يستطع ان ينالها بسوء كثير . وبعد وفاته امكن لزعماء حكومة السوفييت ان ينظموا علاقاتهم بيوجوسلافيا على أساس من الصداقة والتعاون ، ومما جعل العالم الثالث يطمئن الى الاتحاد السوفيتى ، ويخشى المعسكر الغربى . ان الدول الغربية لا تزال متشبثة بمشاريعها الاستعمارية ، وبعد ان استقل كثير من الدول الافريقية ، نرى **الدول الاستعمارية لا تزال تحاول استبقاء نفوذها واستغلالها لموارد البلاد ، وسيطرتها على بعض المرافق الهامة . فاذا عجزت عن ذلك بادرت بارتكاب حماقات شنيعة مثل حرب السويس ، واحتلال الجنوب العربى .. وشراء ذمم الملوك والزعماء الذين ينفر منهم رعيتهم وتمقتهم شعوبهم .**

وهكذا لم يكن بد من ان يكون العالم الثالث راضيا عن المعسكر الشرقى ، راغبا فى صداقته والتعاون معه ، وهو ساخط على كثير من اعمال

المعسكر الغربى ، ومشاريعه الاستعمارية ، التى لا يمكن أن يصل معها العالم الى ما ينشده من السلم والاستقرار . ومع ذلك فان رضى العالم الثالث عن المعسكر الشرقى ، لم يبعده عن التمسك بما يريده لنفسه من الاستقلال وحرية العمل .

الأحداث الأخيرة

وقد كشفت الأحداث الأخيرة على حدودنا الشرقية طبيعة العالم الغربى وأرتنا لماذا انفضت دول العالم عنه عامة ، ولماذا اشمأزت منه دول العالم الثالث بخاصة ... لقد ظهرت فى هذه الأزمة الولايات المتحدة على راس اتباعها . تقودهم عن جهل وضلال ، وابدت من الغباء والتعصب الأعمى ، ما يثبت انها أعجز الدول من ان تقود احدا بل هى الأخلق بان تقاد وان تفرض عليها وصاية .

ولم يكن بدعا أن انسلخ الجنرال ديجول عن تلك المجموعة. واسترد بذلك حريته واستقلاله. واثبت انه اكرم واعظم من قادة انجلترا ، الذين آثروا ان يتبعوا امريكا كحذوك النعل بالنعل ، ويتظاهروا بعطف كاذب على عصابات الصهيونية التى سبق لها ان قتلت رجالهم ، وفتكت بهم فى رابعة النهار .

لا شك ان جهالة المجموعة الغربية عامل كبير فى قيام العالم الثالث . ونفوره الشديد من الانحياز لطائفة تمتاز بالبغى والغباء .

محمد عوض محمد

من رسالة الى جونسون



أعرفت زهر البرتقال
أشممت عطر الأرض يوما ..
أبلوت ليلات الوصال
أسمعت موسيقى الحقول
ماذا تقول
أرأيت كيف يقوم من تحت التراب معذبون
ليشيدوا المستقبل البسام فى وجه التحدى والخطر
ويسيطرون على القدر ..

(عبد الرحمن الشرقاوى)

هذه الأفعى كيف تسللت ؟

- **الصهيونية حركة استعمارية ، فيها مقومات الحركات الاستعمارية التى اتبعتها ثم زادت عليها أنها تخفت فى جبن ، وخبثت فى نذالة ، فهى الأفعى تسللت مقنعة بعنصر ودين .**

- **صنع المسخ ، وقال له صانعوه «كن دولة» فلم يكن ، لأنه يعوزه كل مقومات الدولة السوية ، ولذلك النقص فى تكوينه لجأ الى سياسة ذات شعب ثلاث : هى العنصرية أولا ، والعنف ثانيا ، وشهوة التوسع ثالثا .**

- **انهم يخططون فى ظلمة الليل ، وينكرون ويكذبون اذا ما كان ضوء الصباح ، ويظلون كذلك الى أن يظنوا أن الغدر قد تكاملت لهم أسبابه ، فعندئذ يفاجئون ويباغتون .**

١

هل انسى تلك الساعة الباكرة من ذلك الصباح الصيفى الجميل ، ذات يوم من شهر يونيو سنة ١٩٣١ ، عندما نزلنا — شقيقى وأنا — فى محطة اللد بفلسطين الحبيبة ، نستبدل فيها قطارا بقطار ، قاصدين الى القدس لنراها لأول مرة ؟ هل انسى تلك الساعة الباكرة من ذلك الصباح الصيفى الجميل ، ولم تكن الشمس قد ظهرت بعد فى الأفق ، الا طلائع من نورها سبقت لتنشر فى الفضاء ضوءا رماديا هو أحب أضواء السماء الى نفسى ؛ وكان الهواء رطبا ينعش الوجوه بلمسته الرفيقة ؛ ولم يكن على رصيف المحطة أحد فى انتظار القطار — سوانا — الا رجل يرتدى سروالا قصيرا يبلغ الى مافوق ركبتيه ، وقميصا فيه جيبان على الصدر منتفخان ؛ كان معنا حقيبة وضعناها على أرض الرصيف ، ولم

دكتور زكى نجيب محمود



يكن مع الرجل شيء ؛ أخذنا نحن نذرع الرصيف بخطوة وئيدة ، جيئة وذهابا ، وأخذ الرجل كذلك يذرعه فى اتجاه مضاد لاتجاهنا ، فكنا نلتقى معه عند نقطة يختلف وضعها كل مرة ، لاختلاف السرعتين ، نحن فى ذهابنا وهو فى جيئته ؛ فننظر اليه بأعين مرتابة ، وينظر الينا بعين تحملق فى شر وسوء ؛ حتى وقف ذات مرة عند حقيبتنا فوقفنا ، وبادرناه بتحية الصباح بالانجليزية ، اذ حسبناه من القوم ، لأن سمته من سمتهم ، فأجاب التحية فى عبوس يشيع القشعريرة فى البدن ؛ وبدأت بسؤاله : بريطانى أنت ، أليس كذلك ؟ فأجاب : لا ؛ فسألته : وماذا تكون قوميتك اذن ؟ فأجاب : يهودى ؛ فقلت فى دهشة السذاجة البريئة : **اننى لم أسألك ما عقيدتك فى الدين ، بل سألتك ما قوميتك ؟** وهنا قال : نعم ، يهوديتى هى قوميتى ... تبادلت مع شقيقى نظرات التعجب ، وصمتنا وصمت ، وجاء القطار ، فاتخذنا منه مكاننا الى القدس .

ولم نكد نخلو الى أنفسنا فى القطار ، حتى تبادلنا السؤال والجواب فيما رمى اليه الرجل بقوله ان يهوديته هى قوميته ؛ ولكن هل كان فى علمنا عندئذ ما يلقى لنا الضوء ؟ كان قد مضى على فراغنا من الدراسة عام ، وكان كلانا ممن يتابعون ما يصدره المفكرون والأدباء ، حتى ليمكن القول اننا كنا عندئذ خير مثال يضرب للمتعلم المثقف العليم بما يدور به الفكر فى بلدنا على الأقل ، ومع ذلك فلم يكن لنا من الدراية ما يكفى أن ندرك أبعاد هذا التوحيد الذى زعمه الرجل بين قوميته ويهوديته ، ذلك لأننا لم نكن نعلم بما يكفينا أن نلم بما كان يجرى على أرض فلسطين ، ولست الى هذا اليوم أدرى ، أكان التقصير منا ، أم كان من رجال الفكر والأدب ؟

ونزلنا بالقدس فى فندق متواضع ، ولم نكد

نضع حقيبتنا فى الغرفة ، حتى خرجنا ، الى اين ؟ لماذا لا نجلس قليلا فى هذا المقهى المقابل للفندق ، وهو يعج بالناس ؟ ان ذكرى اللحظة مازالت ماثلة فى عينى ومسمعى : الضوء ساطع ، الظل عميق ، فالفواصل حادة بين الظل والنور ؛ المكان متفجر بالصوت ، فالباعة يعلنون عن بضاعتهم ، ورواد المقهى يخبطون على المناضد ، ويتصايحون ، وقوة الحياة بادية ؛ جلسنا ، ولعلنا قد اثرنا حب السؤال فى بعض المشاهدين، عمن نكون ؟ لأن مشيتنا المترددة ، ونظراتنا المتطلعة ، ووقفتنا المتسائلة ، كلها تعلن أننا قد هبطنا الدار لتونا ، فما هى الا ان قدم شاب وسيم الينا نفسه ، نسيت الآن اسمه ، لكنه كان — فيما اذكر — قريب التخرج من دراسة القانون ، وكان يشتغل بالمحاماة ؛ واستأذن وجلس ، فما فرح احد بلقاء احد كما فرحنا به وفرح بنا ؛ وكان أول ما نطق به من سؤال : **ما أنباء « القضية » فى مصر ؟**

« قضية » ؟! وتبادلت مع شقيقى نظرة تستفهم المعنى ؛ اية « قضية » تعنى يا صديقى؟ هنا اعاد علينا الشاب ذكر « القضية » ولكن فى حرارة المتحمس هذه المرة ؛ « قضية العروبة أعنى ، قضية الوطن العربى ما أعنيه ، قضية هذه الأرض الطاهرة فلسطين التى تكاد تذهب نهب الناهبين هى بعض ما أسأل عنه ... ما أنباء ذلك كله فى مصر ؟ » فكيف أنسى ما اعترانى من خجل ، وما وثب الى ذهنى فورا — ولم أعلنه — بما يربط حديث هذا الشاب المتحمس بعبارة ذلك المتغطرس فى محطة اللد ، الذى ربط بين قوميته ويهوديته ؟

وطفق الشاب الصديق الجديد ، يحكى ويحكى ويحكى ، واخذنا نحن ننصت لنتعلم ، ولتضطرب قلوبنا لما علمناه ؛ اذن فهاهنا النكبة نازلة بالعرب وبالعروبة ونحن فى غمى وفى صمم؟ انه لم يكن قد مضى — حينئذ — الا عام واحد على ضحايا حادث البراق ؛ **وما حادث البراق ؟** هو الحادث المفجع الذى كان أشعل أول ثورة دامية فى فلسطين سنة ١٩٢٨ ؛ والبراق عند المسلمين هو حائط المبكى عند اليهود ، واراد اليهود أن يستولوا عليه بعد ان كان فى قبضة المسلمين ، فثار المسلمون ، وامتدت ثورتهم من القدس الى سائر مدن البلاد وقراها ، حتى لقد اضطرت حكومة الانتداب البريطانى الى استخدام القوة لقمع الثورة ، **وأصدرت أحكاما بالسجن على ثمانمائة عربى ، وأحكاما بالاعدام على عشرين ؛** منهم ثلاثة نفذ فيهم الحكم منذ عام واحد من تلك الجلسة التى جلسناها نحن فى المقهى بالقدس ، نستمع الى زميلنا الشاب يشرح لنا الأحداث ، وهم الثلاثة الذين خلدهم الشاعر الفلسطينى **ابراهيم طوقان** فى قصيدته **« الثلاثاء الحمراء »** لأن اعدام هؤلاء الشهداء الثلاثة قد وقع يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ؛ ومضى الزميل الشاب يروى كيف وضع الانتداب البريطانى أمورا خطيرة فى ايدى اليهود ، مكنتهم من النكاية بالعرب ، والعبث بحقوقهم .

فبدر من احدنا سؤال برىء : وما شأن اليهود فى هذه الأرض العربية ؟ فكان لابد للراوية ان يروى القصة من بدايتها .

٢

انها رواية تروى بين قصص المستعمرين ، لأنها رواية عن مستعمر لم يميزه من سائر المستعمرين فى القرن التاسع عشر والعشرين ، الا انه أشدهم جبنا واخسهم نذالة ؛ ففى القرن التاسع عشر شب فى قلوب الأوروبيين سعار منهوم تجاه افريقيا وآسيا ، كل يريد أن يلتهم من الذبيحة قبضة ؛ تسابق البريطانى والفرنسى والألمانى والايطالى والبرتغالى ، تسابقوا الى الغنائم ، فللأسبق الظفر ، لأن الغنيمة بغير صاحب قوى يحميها ... **فدبت فى نفس الصهيونى عندئذ فكرة ، لماذا لا يكون بين المستعمرين مستعمرا ، وتلفت فى أرض الغنائم، ووقع بصره على فلسطين العربية ؛ اذن لتكن هذه نصيبى .**

لكن سائر المستعمرين وراءهم حكومات تؤويك وتؤيهم أيها الصهيونى ، ألست بريطانيا مع البريطانيين أو فرنسيا مع الفرنسيين ؟ لا ، لا ، أننى بريطانى وزيادة ، وفرنسى وزيادة ، والزيادة هى أنى من آل صهيون ؛ فاذا كان سائر المستعمرين يخططون لأنفسهم أن يدخلوا هذه الأرض او تلك ليقيموا بين أهلها ، مستغلين لهم ولها ، **فهدفى أنا الصهيونى هو استعمار من لون فريد ، لأننى ساحول الأرض المستعمرة وطنا ؛ ولما لم تكن الأرض التى اخترتها لاستعمارى الفريد أرضا خلاء ، بل هى ماهولة بسكانها ، تحتم أن يلحق بالخطة الاستعمارية خطة فرعية، هى أن أحل مكانهم ، وأسكن بيوتهم ، وليذهبوا ما شاءت لهم الأقدار أن يذهبوا .**

هكذا بذرت البذرة الأولى فى راس الصهيونى ، فلكى نزداد فهما للرواية بكل

فصولها ، فلنفهم الصهيونية على انهـا حركة استعمارية نشأت مع بقية الحركات الاستعمارية الأوروبية فى وقت واحد ، وان اختلفت الدوافع والأهـداف ، فاذا كان المستعمرون الآخرون يريدون ثراء وتجارة وتسلطا ، فالصهيونى فى استعماره يريد وطنا يحوله فيما بعد الى دولة ؛ ولاحظ اننى أقول **((يحوله فيما بعد))** لأنه بادىء ذى بدء لم يجرؤ ان ينطق ولو مرة واحدة على الملأ بانه يريد فلسطين العربية ليجعل منهـا ((دولة)) يهودية ، لأنه خشى المقاومة ؛ فاكتفى فى البداية بقوله انه يريد فلسطين العربية ((وطنا)) له ، فهاهنا تقل المقاومة ، لأن الوطن الواحد قد يسعه ويسع الأكثرية العربية ، كما يكون البلد الواحد فى سائر أقطار الأرض ((وطنا)) للأقلية والأكثرية على السواء ؛ أما اذا أعلنت أقلية ما ، فى أرض ما ، بأنها تريد أن تجعـل من نفسها ((دولة)) فعندئذ تكون المقاومة ؛ وأدرك المستعمر الصهيونى ذلك ، فلم يعلن نيته عن ((**الدولة**)) واكتفى برغبته فى ((**وطن**)) .

ولماذا وردت على الصهيونى عنـدئذ فكرة ((الوطن)) هذه ؛ الم يكن بالفعل قائما فى وطن ، الن يكن مواطنا فى بلد ما ، فى انجلترا او فى المانيا او فى فرنسا ، او فى اية داهية تبتلعه من وجه الأرض وتخفيه ؟ لا ، انه اراد ان ينفرد وحده بحركة استعمارية تميزه ، **ولما كانت الموجة الاستعمارية التى عمت أوروبا فى القرن التاسع عشر ، قد صحبتهـا موجة شقيقة لها ، هى موجـة التعصب القومى ، فلم يكن بد أمام الصهيونى ــ حتى تكون محاكاته كاملة وتامة ــ أن يقرن استعماره هو الآخـر بجانب قومى ، فكيف يكون ذلـك الا أن يجعـل الأرض التى اختارها ليستعمرها وطنـا قوميا له** فى الوقت نفسه ، وبهذا تتم له العناصر كلهـا : استعمار وقومية معا ؛ **ولما كان لكل ((قوم)) ذوى ((قومية)) حدود جغرافية ، فليجعل هو حدود قوميتـه عنصرا وديانة ،** فتكون قوميته هى يهوديته كما قال لنا اليهودى المتعجرف فى محطة اللد .

الصهيونية حركة استعمارية ، فيها مقومات الحركات الاستعمارية التى ابنتتها ، ثم زادت عليها انها تخفت فى جبن ، وخبثت فى نذالة ، فهى الأفعى تسللت مقنعة بعنصر ودين ، ولو كان العنصر والدين قوام الصهيونية ــ مجردا من الاستعمارية ــ لاتخذت الصـورة نفسها التى تتخذها مشكلات العنصرية والأقليات الدينية ، وهى على وجه الأرض كثيرة .

ثم لم تترك الصهيونية صـلتها بالاستعمار على هذه الصورة المجردة ، فربطتها بمستعمر معين فى ظروف معينة ، هو المستعمر الذى ربط أواصر استعماره بارض فلسـطين ، واعنى بريطانيا .

كانت بريطانيا أول الأمر واحدة من آحاد ، كانت ذئبا من قطيع الذئاب الأوروبية الهاجمة على فرائسها فى افريقيا وآسيا ، لكنهـا كانت تختلف عن بقية الذئاب بانها ابتلعت قارة الهند باسرها بين ما ابتلعتـه ، فاذا كان الآخـرون يبحثون عن فتات هنا وهناك ، فهى أيضا تبحث معهم ، لكن عينيها وقلبها وفؤادها موصـولة بالغنيمة الضخمة كيف تصونها وتحميها ؛ ومن هنا كانت أهمية كل طريق مؤدية اليها ، ومن اهمها قنـاة السويس ؛ وكمن يمتلك فى يده جوهرة نفيسـة ، يخشى عليها السطو ، فيحيطها بغلاف من ورائه غلاف ، ومن وراء الغـلاف غلاف ، ثم يضع هذا كله فى صـندوق يحويه صندوق ؛ فكذلك ارادت بريطانيا ان تصـون الهند بصيانة قناة السويس ، وأن تصون القناة بصيانة ما يحيط بها ، ثم ما يحيط بالمحيط ؛ ومن هذه الأغطية المحيطة ارض فلسطين العربية؛ لكنها ارض ــ كغيرها من الأراضى العربيـة ــ تحت حكم الأتراك ؛ فماذا تصنع ياترى ؟ أتتركها مع الأتراك ليكون لها فى ذلك ذريعة تتذرع بها كلما طمع طامع أوروبى كفرنسـا أو غيرها ؟ أم تنتزعها من الأتراك لتطمئن على حوزتها لهـا ؟ لقد أرادت لنفسها البديل الأول فى بادىء الأمر، حتى نشبت الحرب العالمية الأولى ، وانضمت تركيا الى اعداء بريطانيا ، فلم يكن لهـا مناص عندئذ من ان تختار البديل الثانى ؛ لكنها لكى تختار هذا البديل الثـانى كان يجب أولا أن تتحرر الأرض العربية من تبعيتها للسـلطان التركى ؛ ومن ثم كان تحريكها للثورة العربية على الأتراك ، لتتمهد لها الخطـوة الأولى على ايدى العرب انفسهم ؛ فلما تم لهـا ما أرادت ، همت بالخطوة الثانية ، وهى أن تكون لهـا هى السلطة ، لا فى مصر وحدها ــ أرض القناة ــ بل فى هوامشها كذلك ، ومنها فلسطين .

وها هنا لمحت الأفعى فريستها على مبعدة ، فزحفت زحفـا كان أوله وئيدا وكان آخـره افتراسا ، فلمـاذا لا تتعاقد الصهيونية مع بريطانيا كما يتحالف شيطان مع زميله الشيطان على شر يدبرانه ؟ فتعمل الصهيونية بأموالهـا ونفوذها على ترشيح بريطانيا فى مؤتمر الصلح ان تعين دولة منتدبة لحماية هذه القطعة من الأرض حتى يحين الظرف المناسب لاستقلالها ،



خشية ان تسارع اليها فرنسا او غيرها ، وماذا فى مقابل ذلك ؛ فى مقابله ان يعد **بلفور سنة ١٩١٧**، وعده المشئوم ، بأن تكون فلسطين وطنا لليهود (ولم تكن نية « الدولة » قد كشف عنها الغطاء بعد) ؛ وهكذا حبكت خيوط المؤامرة بين مستعمرين ؛ فنفذ المستعمر البريطانى ما اتفق عليه ، واصدر اعلانه ذاك ، وبعدئذ تقدم المستعمر الصهيونى فدفع الثمن ، وهو ان يسعى فى مؤتمر الصلح لتنصب بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين .

ولم تكد بريطانيا تتسلم زمام الامر هناك ، حتى أطلقت يدها فى افساح الطريق امام شريك السوء ، فكان أول مندوب سام لها فى فلسطين صهيونيا ، ليطهو الوليمة على مزاجه ؛ وفتحت الأبواب واسعة أمام المهاجرين اليهود ؛ وأعطيت الأرض التابعة للحكومة لبعض هؤلاء الوافدين يستعمرونها ؛ واذنت لليهود أن يقيموا لأنفسهم مدارسهم الخاصة ، ومنظماتهم العسكرية الخاصة ؛ واغمضت العين عن عصابات الارهاب ؛ وماذا عن العرب فى ذلك الحين ؟ لم ينقطعوا عن احتجاجهم ، يطلبون من الدولة المنتدبة أن تطمئنهم على مصيرهم ، فترد الدولة المنتدبة بحرمان يقع على العرب بعد حرمان ؛ ومضت السنون ، فاذا بالجماعة اليهودية تزداد اضعافا مضاعفة ، فى العدد ، وفى المناصب الرئيسية ، وفى النفوذ ، بمقدار ما يتضاءل العرب .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وانتهت وكان المارد قد نما حتى لم يعد حضن الحاضنة يكفيه ، فاعلنت الحاضنة فطام ربيبها ، فانطلق العظيم المارد يبرطع فى ظل حامية أخرى أغنى واقوى ، تمخضت عنها الحرب الثانية ، هى الولايات المتحدة الأمريكية ، فعملت على أن تعلن اسرائيل « دولة » كسائر الدول .

٣

صنع المسخ ، وقال له صانعوه : كن «دولة» ، فلم يكن ؛ لأنه يعوزه كل مقومات الدول السوية ؛ ولذلك النقص فى تكوينه ، لجأ الى سياسة ذات شعب ثلاث ، لا يلجأ الى أى منها الا من ركبته عقدة النقص فزادته مرضا على مرض ؛ اما هذه الثلاثة الأثافى فهى **العنصرية** أولا ، **والعنف** ثانيا ، وشهوة **التوسع** ثالثا .

اما **العنصرية** فهى علة كامنة فى صلب الصهيونية ، لأنها هى الدعامة التى على أساسها زعمت ان لها كيانا قائما بذاته ؛ فاذا كانت الجماعات فى مختلف جهات الأرض يربط افرادها لغة أو حضارة او تاريخ أو وحدة اقتصادية او وحدة ثقافية أو غير ذلك من العوامل التى تربط الأفراد فى جماعة ، فان اسرائيل وحدها دون خلق الله جميعا هى التى لا يرتبط افرادها بشىء من ذلك ، وانما تتخذ رباطها من عنصريتها ، **زاعمة أن اليهود جميعا يرتدون الى أصل واحد** ؛ فلا الديانة نفسها ولا اللغة عند الصهيونية بكافية للترابط ، وانما الرابط عندها هو انتماء الأفراد الى أصل عرقى واحد ، وهو الشىء الذى لا تجد على وجه الأرض واحدا من علماء الأجناس يعترف بوجوده ، **فالجنس النقى الخالص من الأخلاط خرافة خلقتها أوهام الطامعين** تحقيقا لأطماعهم ؛ وحق لهم ان يلوذوا بهذا الوهم ، لأنهم لو قالوا ان رباطنا هو العقيدة الدينية ، وجدوا أن العقيدة متباينة فيما بينهم أشد التباين ؛ ولو قالوا انها اللغة العبرية ، وجدوا أن العبرية لم يكد يتكلم بها احد ولا ان يكتبها احد قبل مولد الصهيونية .

وقد تولدت نتائج عن العنصرية الصهيونية ، منها ان يتكتل اليهود تكتلا يترك فجوة بينهم وبين سواهم ، كأنهم اثر خرب احاط به خندق ؛ ومنها ان شطح المنعزلون مع الوهم فظنوا ان انعزالهم ذاك علامة تفوق ؛ واذا بدات جماعة من الناس بعزل نفسها بنفسها ، تعذر عليها بعد ذلك ان تنساب فى جسم الأمة التى يعيشون بين ظهرانيها ؛ ولكن هاهنا العجب أشد العجب ، فقد صنع اليهود الصهيونيون هذه العزلة بأيديهم عامدين متعمدين ، ليقولوا للناس انظروا كم تضطهدنا الشعوب الحاقدة ، لكنهم فى الوقت نفسه يسرون لأنفسهم قائلين : اياكم

والاندماج فى سائر الناس ؛ فالعدو الأكبر للصهيونية ليس هو الاضطهاد العنصرى كما يزعمون ، بل عدوهم الأكبر هو من يقول لهم : ها نحن أولاء قد فتحنا لكم صدورنا لتخالطوا وتختلطوا وتفنوا فينا ونفنى فيكم ؛ هذا هو عدوهم وان حسب انه هو الصديق ، لأن تجارتهم كلها قائمة على اساس العزلة العنصرية؛

لقد حدث لكاتب هذه السطور اثناء مقامه فى امريكا ، وبعد ان القى محاضرة عن موقف العرب من اسرائيل ، أن سئل : لماذا تضطهدون العنصر السامى ؟ فقال للسائل : لكننا نحن العرب ساميون فكيف نضطهد السامية ؟

فاخذت الحاضرين دهشة كأنما هم يسمعون هذه الحقيقة لأول مرة ، غير أننى لا أعلم كم من هذا بضاعة زيفت عليهم ؛ وانما زيفت عليهم هؤلاء الحاضرين قد ادرك بأن اضطهاد السامية البضاعة ليجدوا الأساس الذى ترتكز عليه الصهيونية فى اقامة دولة لهم هم وحدهم ، تجمع اشتاتهم ، كأن للمسيحيين دولة وللمسلمين دولة وللبوذيين او للهندوكيين دولة !

وانه لما يلفت النظر فى هذا السبيل ، أن اليهود حينما فتحت لهم أبواب فلسطين يهاجرون اليها افواجا افواجا — قبل ان تكون فكرة الدولة اليهودية لأحد فى حساب — مضوا فى مبداهم الى نهايته ، وصمموا على الا يخالطوا عرب فلسطين ، وحرموا على انفسهم أى شىء مما ينتجه العرب ، بما فى ذلك الأيدى العاملة ؛

فبدا للغافلين عندئذ أن انعزال اليهود فى فلسطين ليس كانعزال المستعمرين فى البلاد التى استعمروها عن أهل البلاد ، فانعزال هؤلاء المستعمرين عن الأهالى كان غطرسة وكبرياء وترفعا ، واما اليهود النازحون الى فلسطين — هكذا بدا للغافلين — فلو ارادوا غطرسة كتلك، لاستخدموا الأيدى العاملة من العرب ، أما وهم يتولون اعمال انفسهم بأنفسهم اذن فالمسألة مسألة « **عنصرية يهودية** » اعتزلت لا أكثر ولا اقل ؛ ولكن لم يكد يحقق اليهود املهم فى قيام دولتهم ، حتى أبدوا للعرب الذين ظلوا بأرضهم لم يهجروها ، كل صنوف الغطرسة والكبرياء والترفع ، اعنى انهم **اصطنعوا نحو هؤلاء العرب كل ما يصطنعه أى مستعمر نحو « الأهالى » الوطنيين فى البلد الذى يستعمره ؛ لا ، بل كانوا أنكى من أى مستعمر آخر واضل سبيلا ، لأن الأول يبقى على من يستعمره ليستخدمه على** **أقل تقدير ، وأما الثانى فقد أراد أن يمحو أبناء البلد المستعمر (بالميم المفتوحة)** محوا ، ويستأصلهم استئصالا من الأرض ؛ تماما كما اراد أن يصنع النازيون باليهود حلا لاشكالهم ، فاذا ما بقى منهم احد على ارضه ، عومل بأشنع ما عرف العالم من تفرقة واضطهاد .

لقد بقى فى فلسطين المحتلة جماعة من أهلها لم ينزحوا عنها ، فكيف تظنهم يعاملون هناك على أيدى اليهود ، سادة آخر الزمن ؟ انهم اولا ينحصرون فى مناطق لا يتعدونها ؛ وهم وحدهم هناك خاضعون للأحكام العسكرية ؛ يتولى الأحكام فى مناطقهم ضباط عسكريون لا قضاة مدنيون ؛ ومن ايسر الأمور ان يحكم على من يريدون الحكم عليه بالنفى عن البلاد ، والبقية العربية هناك هى وحدها — دون سائر سكان البلاد — لا ينتقل افرادها من مكان الى مكان الا بتصريح ، وهى وحدها التى لا يسمح لها بحرية الكلمة ولا بحرية الاجتماع، ولا باصدار الصحف ولا بتكوين الأحزاب السياسية ؛ وهى وحدها التى يقف التعليم لأبنائها عند حد محدود لا يعدوه ؛ وهى وحدها التى تقام امامه العراقيل فى ميادين العمل حتى ينال منهم التعطل قبل ان ينال من سواهم ؛ والخلاصة ان تلك البقية العربية هناك لا تتمتع بحقوق المواطنة الكاملة .

والى هذا الحد ، ومن أجل هذه الأهداف ، يستغل اليهود مبداهم المصطنع بانهم مجموعة من البشر اضطرها الناس الى التقوقع ، فكان ان اصبحت فى عزلة عن الناس ، هى عزلة اختاروها اختيارا ليتخذوا منها منطلقا ينقضون منه فى ستر الخفاء على فرائسهم ، مالم تكن تلك الفرائس منهم على يقظة وتنبه .

٤

التقوقع اليهودى — اذن — هو احد الأسلحة التى تستخدمها الصهيونية تحقيقا لأغراضها ، **وأما المبدأ الثانى** فهو اصطناع وسيلة الارهاب والعنف عندما تتاح لهم أول فرصة لاصطناعها ؛ وهم اذ يستخدمون العنف لا يستخدمونه استخدام الباسل الجرىء ، بل يستخدمونه كما يستخدمه الذليل الجبان ؛ فهم بعد أن استغلوا موقف العرب الأعزل من السلاح ، وانقضوا

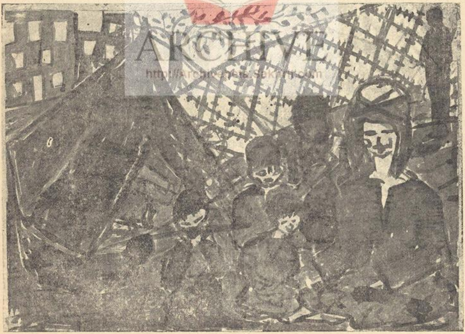
عليهم بجماعاتهم الارهابية المساحة أيام الانتداب البريطانى ، بل تحت رعاية ذلك الانتداب ، لم يترددوا حين سنحت لهم الفرصة فى أواخر ايام الانتداب أن يستديروا بارهابهم نحو من كانوا بالأمس حماتهم من الانجليز انفسهم ؛ ولما قامت دولتهم ونشب القتال بينهم وبين الدول العربية ، وتدخلت منظمة الأمم المتحدة ، لجأوا الى رصاصهم الغادر يسكتون به كل من تحدثه نفسه الشريفة من رجال الأمم المتحدة أن يميل نحو الانصاف والصدق ؛ ولما عقدت الهدنة بينهم وبين جيرانهم العرب ، غادرتهم نذالتهم حينا بعد حين بهجمات فى الظلام يعقبها هروب واختفاء ؛ ثم توجست خستها فى تواطؤها مع شريكتيها على العدوان على الجمهورية العربية المتحدة فيما يسمى بحرب السويس سنة ١٩٥٦ .

وبقى من مبادئهم الثلاثة **مبدأ التوسع على حساب الآخرين** ، بتخطيط مدبر فى الخفاء ؛ فكما اخذوا يدبرون سطوهم على فلسطين العربية خطوة فخطوة ، حتى أصبح الوهم حقيقة فى اعينهم ، مضوا فى تدبيرهم للتوسع فى ارض جيرانهم ؛ **ومبدؤهم هنا هو كمبدأهم فى أى ميدان آخر ، أى أنهم يخططون فى ظلمة الليل، وينكرون ويكذبون اذا ما كان ضوء الصباح ، ويظلون كذلك الى أن يظنوا أن الغدر قد تكاملت لهم أسبابه ، فعندئذ يفاجئون ويباغتون ؛**

اما الى اى حد يريدون ان يتسع ملكهم على الأرض ، فجواب ذلك بحسب الظروف ، حتى لقد يلجأون الى التوراة يستخرجون منها أحيانا ما ينبغى لهم أن يمدوا ملكهم اليه ، لكن عبارة « من النيل الى الفرات » كثيرا ما ترد فى غضون احلامهم .

وما دروا ان لحظة واحدة من لحظات العزيمة العربية ، قد تقوض بنيانهم فوق رءوسهم ان لم يكن اليوم ، ففى الغد القريب .

زكى نجيب محمود



الأطفال يعبرون برسومهم عن مأساة اللاجئين

أزمة الوجود الإسرائيلى

دكتور حسين فوزى النجار

● الجوهر الحقيقى للأزمة التى تفتعلها أمريكا وتابعها الذلول بريطانيا هو حماية الوجود الاسرائيلى وبقاء اسرائيل ركيزة تستنزف الطاقة العربية وتعوق عجلة التقدم .

● تبنى اسرائيل آمالا عريضة على ميناء ايلات عندما تتوهم امكان شق قناة تمتد من ايلات الى البحر المتوسط فتربط بين البحرين وتكون بديلا لقناة السويس .

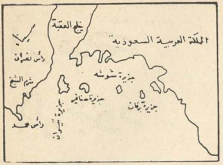
● التاريخ يعيد نفسه فى صورة أخرى ، وهى صورة أكثر عنفا وبغيا مما كانت ، وستكتمل صورة التاريخ حين تحمل اسرائيل عصاها وترحل كاسفة عن الشرق العربى .

بعد ستين عاما وعاما تعود **قضية العقبة وخليجها** — أو ما عرف بهذا الاسم تاريخيا — فتمثل الدورة من أحداث السياسة الدولية ، وتصيب الدول الاستعمارية بحمى وصلت بها الى شن الحرب علينا ؛ حمى كالتى اصابتها من قبل وحملتها عندئذ على التهديد بالحرب ، وان اختلفت فى الحالتين الظروف والأحداث وملابسات التاريخ وتيارات السياسة الدولية ، على أن ما حكمتها فى الحالين هى التيارات السياسية والاستراتيجية للاستعمار وأطماعه ومشروعاته القريبة والبعيدة .

والغريب ان **بريطانيا** هى التى اثارت الأزمة فى المرة الأولى وهى التى تقف ضالعة وراء **الولايات المتحدة الأمريكية** فى اثارتها هذه المرة ، والولايات المتحدة الأمريكية هى التى اخذت الولاية على بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وما زالت تقوم بالوصاية عليها الى وقتنا هذا ، فكأن العامل الرئيسى فى الأزمة لم يتغير ، وان تغيرت الظروف والملابسات **فقد كانت الأزمة فى**

المرة الأولى تتعلق بمركز بريطانيا فى مصر وحماية قناة السويس شريانها الرئيسى الى امبراطوريتها الواسعة فى الشرق ، وكان أى تهديد لقناة السويس يعنى تهديدا خطيرا للاستعمار البريطانى الذى كون امبراطورية قيل يوما انها لا تغيب عنها الشمس ، وهى اليوم تتعلق بامن اسرائيل وبقائها ركيزة للاستعمار فى الشرق الأوسط ، وقوة يستند اليها فى تهديد الوجود العربى ، وهو أخطر مايخشاه الغرب الاستعمارى على مصالحه ان لم يكن على وجوده ، فما زال الغرب الاستعمارى يحمل عقدة الامبراطورية الرومانية التى طوح بها العرب ابان يقظتهم الباهرة فى القرن السابع الميلادى . عقدة الخوف من يقظة هذه **القوة المذهلة التى طوحت باعظم امبراطوريتين فى التاريخ فى مدى جيل واحد من الزمن : امبراطورية فارس وبيزنطة وكانتا تتحكمان فى مشرق الأرض وفى مغربها** ، ولم يكن هناك من يتصور ، أن قوة باهرة ستقذف بها الجزيرة العربية تعلو بنور الحق ، فتحطم أعظم امبراطوريتين فى العالم حينذاك ، « وما كان لأى متنبىء مهما أوتى من قوة البصيرة ، كما يقول **هـ . ج . ويلز** — أن يرى تلك القوة الهائلة التى توشك أن تقذف بها الجزيرة العربية ، فعلى حين فجأة وفى خلال حقبة قصيرة من الزمن انبعث العرب فشادوا ملكا امتد من اسبانيا الى الصين ونشروا لغتهم ووهبوا العالم حضارة جديدة ودينا ما زال الى يومنا هذا يمد العالم بقوى حية باهرة » .

ومنذ ذلك التاريخ ورث الغرب المستعمر عقدة الخوف من انبعاث هذه الحيوية مرة أخرى لتحكم موازين التاريخ من جديد فشن عليها حربا صليبية باءت بالخسران بعد قرن من الزمان ، وفرض عليها سيطرته ليسوقها الى الهوان ، فكان هوانه على يديها ، **فلم ينقض قرن من الزمان على استعمار أوربا للبلاد العربية حتى غربت شمسه على يديها وكانت نهايته حين قام بمغامرته الآثمة على مصر عام ١٩٥٦ ، ولكن بريطانيا قبل أن ترحل عن البلاد** العربية ذليلة كاسفة تركت وراءها اسرائيل خطرا يهدد انبعاث القوة العربية من جديد .



أزمة مضيق تيران

وجاءت الأزمة الأخيرة — **أزمة مضيق تيران** — لتكشف هذه الحقيقة سافرة ، حقيقة الوجود الاسرائيلى ركيزة للاستعمار الغربى فى البلاد العربية ، بعد أن كشفت عنها مؤامرة العدوان الثلاثى مغلفة بالتضليل الاستعمارى حين اتخذ من سلامة قناة السويس وسيلة يستر بها مؤامرته مع اسرائيل .

فالجوهر الحقيقى للأزمة التى تفتعلها أمريكا وتابعها الذلول بريطانيا هو حماية الوجود الاسرائيلى وبقاء اسرائيل ركيزة تستنزف الطاقة العربية وتعوق عجلة التقدم ، وتؤمن الغرب الاستعمارى من عقدة الخوف القديمة من انبعاث القوى العربية بحيويتها الهائلة لتحكم التاريخ من جديد وتنشر السلام العربى فى الخافقين .

كانت الأزمة فى المرة الأولى منذ احدى وستين عاما تعنى حماية المصالح البريطانية فى مصر ، أو بمعنى أدق حماية المواصلات الامبراطورية فى قناة السويس ، وهى اليوم تعنى حماية اسرائيل وضمان الوجود الاسرائيلى ، ففى عام ١٩٠٦ كانت الحكومة العثمانية قد شرعت فى مد خط حديدى من عمان الى العقبة ليربط العقبة بسكة حديد الحجاز ، وسارعت باحتلال موقع « **طابا** » الى الغرب من العقبة بثمانية أميال على امتداد الخليج ، وعدت

بريطانيا هذا العمل تهديدا مباشرا لمواصلاتها الامبراطورية فى قناة السويس ، وكانت تركيا ترمى فى الواقع الى احتلال بعض المراكز التى تشرف على خطوط الاقتراب الرئيسية فى سيناء احتياطيا للمستقبل ، ولكن تطور الأحوال الدولية لم يكن فى صالح تركيا ، ففرنسا قد ارتبطت بالاتفاق الودى مع بريطانيا عام ١٩٠٤، وراح سفيرها فى الاستانة ينصح الباب العالى بالاذعان لمطالب بريطانيا ، ووقفت روسيا موقفا مشابها ، ولزمت المانيا موقف الحياد مما حمل تركيا على التراجع فسحبت قواتها من طابا فى مايو ١٩٠٦ .

وتكونت لجنة مشتركة ـ مصرية تركية ـ بعد حادث طابا لتسوية مسألة الحدود وفقا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وملحق الفرمان الذى صدر بتولية الخديو عباس الثانى خاصا بادارة شبه جزيرة سيناء سنة ١٨٩٢ ، وانتهت اللجنة من عملها فى اول اكتوبر سنة ١٩٠٦ وتم الاتفاق على ان تمتد حدود مصر الشرقية من رفح على البحر المتوسط الى موقع يقع غرب العقبة بثلاثة أميال وبقيت طابا ضمن أملاك مصر والعقبة من املاك تركيا وتتبع ولاية الحجاز .

وبقيت العقبة تابعة للحجاز بعد تحريرها من الأتراك عام ١٩١٧ وبعد ان أصبح الشريف حسين ملكا على الحجاز بعد ثورته على الترك عام ١٩١٦ .

الوضع التاريخى للعقبة

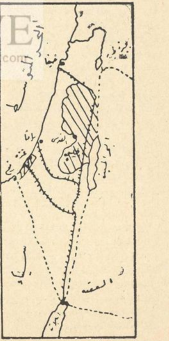
ولم يكن هذا الوضع الذى انتهت اليه العقبة موضع رضاء بريطانيا التى تدرك اهميتها الاستراتيجية بالنسبة لسياستها القادمة فى البلاد العربية ، وكانت تبعيتها لمملكة الحجاز المستقلة يجعلها بعيدة عن دائرة النفوذ البريطانى ، فارادت أن تظفر بها عن طريق آخر وهو أن تجعلها تابعة لأمارة شرق الأردن ، ظنا منها ان ذلك قد يحقق أغراضها ذات يوم .

مع أن العقبة كانت فى اغلب عصور التاريخ جزءا من الأملاك المصرية ، ومنذ قيام الدولة الطولونية حتى الفتح العثمانى وهى تابعة لمصر ، وقد اشتد الصراع عليها بين صلاح الدين الأيوبى والصليبيين ، واصبحت العقبة طريق الحج الذى يسلك صحراء سيناء من السويس اليها ثم الى بلاد العرب ، وهو الطريق الذى كان الحجاج من مصر وشمال افريقية يسلكونه منذ حجت به الملكة المصرية شجرة الدر فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى . ولم تكن ثمة حدود تفصل مصر عما جاورها من البلاد العربية ، قبل عام ١٩٠٦ ، ولم تكن سيناء حدا سياسيا على الاطلاق ، والعقبة جزء من سيناء تطل على طرق الاقتراب الداخلية اليها ، وبرتكز اليها خط الدفاع الأستراتيجى عن مصر هذا الخط الذى يستند الى بير سبع وغزة ويمتد جناحه الأيمن الى العقبة .

ولم يكن بين العرب من يستجلى اهتمام بريطانيا بتبعية العقبة لشرق الأردن ويكشف عن سره حتى كان مولد اسرائيل ووقوع الحرب بين العرب والعصابات الصهيونية فى فلسطين ، وكانت القوات المصرية تحجز القوات الاسرائيلية عن التوغل جنوبا فى النقب ، **وعندما أعلنت الهدنة الأخيرة كانت قوات اسرائيل ما تزال بعيدة عن رأس الخليج ، ولكن النقب كان قد انكشف أمامها بعد سقوط بير سبع . وحتى توقيع اتفاقية رودس مع الجانب المصرى فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، كانت القوات الأردنية (بقيادة البريطانى جلوب) تعسكر فى بير قطار وقرية أم رشرش وتسيطر على رأس الخليج من الحدود المصرية حتى ميناء العقبة ، وظلت تحتل مواقعها تلك حتى مساء يوم ٩ مارس عام ١٩٤٩ ، وعلى حين فجاة انسحب جلوب الى العقبة وفى أعقابه كان الجيش الاسرائيلى يحتل رأس الخليج ويعسكر فى المراكز التى أخلاها جلوب .** ومنذ ذلك التاريخ (١٠ مارس عام ١٩٤٩) أصبحت أم رشرش قرية الصيادين البحرية التى لا يقطنها اكثر من مائة صياد غربى، ميناء ايلات الاسرائيلى ، ودقت اسرائيل ـ كما يقول يوسف ليفى عمدة ايلات المصرى المولد ـ مسمارها على راس الخليج .

وانكشفت المؤامرة الدنيئة التى حاكتها بريطانيا فى مؤتمر القاهرة الذى دعت اليه وزارة المستعمرات البريطانية برئاسة تشرشل فى ١٢ مارس ١٩٢١ لوضع الخطوط التفصيلية للسياسة البريطانية القادمة فى الشرق العربى ففى هذا المؤتمر درست مسألة العقبة وضمها الى الامارة الجديدة التى ولدت فى هذا المؤتمر وعرفت بأمارة شرق الأردن ، وربما كانت خطة المستعمرين عندئذ هى ان يجىء يوم تقدم فيه

الأردن الى اسرائيل حين تقوم ، **فان أول ماتعنى به اسرائيل فى توسعها هو الانطلاق شرقا نحو الأردن ، لتصبح القدس « أورشليم » الجديدة حاضرة الدولة الاسرائيلية خالصة من سيطرة الأردن .** والغريب ان تبدأ المؤامرة خيوطها الأولى فى مارس ، وتبلغ نهايتها فى مارس بعد ثمانية وعشرين عاما من بدايتها باحتلال اسرائيل لراس الخليج وانشاء ميناء ايلات ، ولعلنا نقول صادقين ان البلاد العربية لم تنكب فى تاريخها الطويل بشر ما نكبت به الا على يد بريطانيا ، واليوم حين تكشف بريطانيا عن قناع الشر مرة أخرى تكشف عن عدائها المجنون للعرب ، وتجد فى جهل الحكومة الأمريكية بسياستها القبيحة « **البلطجى** » الأحمق الذى تسير وراءه وتحتمى « **بفتوته** » بعدما نالها من اذلال قضى على ما تبقى من هيبتها فى العدوان الثلاثى .



تآمر القوى الاستعمارية

ويذكر « جلوب » قائد الجيش الأردنى الذى امر بانسحاب القوات العربية الى العقبة فى مذكراته بعد ذلك انه كان على علم بتحركات القوات الاسرائيلية فى القطاع الجنوبى ، ويقول : **« اننا لم نفعل شيئا ، لأن اسرائيل نفت تلك التحركات كما نفاها مراقبو الأمم المتحدة »** ولا نرى عذرا اقبح من الذنب من هذا العذر الذى يناقض به نفسه ، ثم يمضى فى أكاذيبه محاولا أن ينقذ شرفه العسكرى الذى يحتم عليه الولاء للدولة التى يحارب تحت علمها فيقول : « وكانت القوات المعسكرة فى الجنوب ضعيفة ، وابلغنى قائد الموقع أن قواته لن تقوى على الصمود ، وحين علمت ان قواتنا لم تتصد للقوات الأسرائيلية ادركت انها اخلت مواقعها وانسحبت تحت جنح الظلام الى العقبة » .

وتكتمل خيوط المؤامرة حين تقدمت الحكومة المصرية باحتجاج على احتلال القوات الاسرائيلية لراس الخليج، ففى ٨ فبراير ١٩٥٠، ابلغت لجنة الهدنة المصرية الأسرائيلية التابعة للأمم المتحدة الحكومة المصرية « بأن اسرائيل لم تنتهك اتفاقية الهدنة المصرية الاسرائيلية لأن المنطقة التى احتلتها القوات الاسرائيلية لم تكن تحت سيطرة القوات المصرية » ، وكانت الأردن قد اغفلت اثارة احتلال القوات الاسرائيلية لراس الخليج عند ابرام اتفاقية الهدنة الأردنية الأسرائيلية .

واصبح لأسرائيل ميناء على خليج العقبة ، تطل به على البحر الأحمر وتنفذ منه الى آسيا وافريقية باكبر حجم لصادراتها وتستقبل منه البترول من عبدان لتغذى به قوتها الصناعية ، وتشرف منه كقاعدة برية على طرق الاقتراب الرئيسية الى شرق سيناء والأردن والحجاز .

حق مصر فى خليج العقبة

ومارست مصر حقوقها المشروعة علىالخليج واقفلته فى وجه البواخر الاسرائيلية وغيرها من البواخر التى تقصد ميناء ايلات . واتفقت مع الحكومة السعودية على احتلال جزيرتى تيران

وصنافير لتتحكم فى مدخل الخليج من الجانبين وتكون لها السيطرة الكاملة عليه ثم ابلغت حكومتى المملكة المتحدة والولايات المتحدة بما اتخذته من اجراءات « لن تعكر المرور البرىء وفقا للعرف والقانون الدوليين » وبعثت وزارة الحربية منشورا الى شركات الملاحة والقناصل الأجانب فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٠ بمنع الملاحة فى منطقة المياه الأقليمية بين راس محمد وراس نصرانى على ساحل سيناء .

واخذت مصر فى ممارسة حقوق السيادة على مدخل الخليج حتى وقوع العدوان الثلاثى واحتلال قوات الطوارىء الدولية لميناء شرم الشيخ فانفتح الخليج امام اسرائيل . وظلت تمرح فيه طوال السنوات العشر الماضية ، حتى كانت الأحداث الأخيرة فطلب **الرئيس جمال عبد الناصر** سحب قوة الطوارىء الدولية وأمر بعودة القوات العربية الى شرم الشيخ ومنع الملاحة الأسرائيلية فى مضيق تيران . وانتابت اسرائيل حمى مهووسة امتدت الى مستعمريتها فى لندن وواشنطون فظهر هوسهما فى محاولات محمومة لفتح طريق الملاحة امام اسرائيل عبر مضيق تيران . ولم تكن اول مرة تنتابها هذه الحمى فقد سبقتها محاولات محمومة واحتجاجات صارخة وشكاوى ضارعة الى مجلس الأمن لم تنل من صلابة الجمهورية العربية المتحدة وتحطمت جميعا أمام حقها المشروع فى ممارسة حقوق السيادة على مياهها الأقليمية .

فمن المعروف ان خليج العقبة خليج مقفل يقع ضمن الحدود المقررة للمياه الاقليمية للبلاد العربية التى تطل عليه وتشرف على مدخله . ويبلغ طول الخليج ٩٨ ميلا واقصى اتساع له اربعة عشر ميلا ولكن المر الصالح للملاحة فى مدخله لا يتجاوز بضع مئات من الأمتار تمتد بحذاء « **رأس نصرانى** » الى الشمال من شرم الشيخ ولا يتجاوز أقصى اتساع للممر الملاحى ميلا واحد مابين جزيرة تيران وشرم الشيخ وان كانت المسافة التى تفصل بينهما اربعة اميال تغطيها الشعب المرجانية التى تمتد على مدخل الخليج من الشاطىء السعودى الى الشاطىء المصرى فلا تترك غير هذا المر الضيق الصالح للملاحة والذى يقترب من ساحل سيناء قربا شديدا يقع على مرمى البصر من رأس نصرانى .

وتبنى اسرائيل آمالا عريضة على ميناء ايلات تجاوز حدود الواقع ، وتضرب فى أعماق الأمل بخيال واسع عندما تتوهم امكان شق قناة تمتد من ايلات الى البحر المتوسط ، فترتبط بين البحرين وتكون بديلا لقناةالسويس، وان كنا نعتقد أنها محاولة لأغراء الدول البحرية على تأييد مطالبها فى تقرير حرية الملاحة عبر خليج العقبة حين يراودها الأمل فى شق قناة جديدة تقضى على اهمية قناة السويس وبالتالى على أهميتها الأستراتيجية للجمهورية العربية المتحدة ، وتجعل حقها فى ممارسة سلطةالسيادة عليها امام اى عدوان يقع عليها امرا لا جدوى منه . كما نعتقد ان تشيع الدول الضالعة مع اسرائيل لشق القناة الجديدة هو الآخر من قبيل الحرب النفسية حتى تخفف الجمهورية العربية المتحدة من غلوائها — كما تعتقد — فى ممارسة حقوق السيادة على قناة السويس ومنع الملاحة الاسرائيلية فيها .

وهو أمل أو ادعاء تقوضه سيادة مصر الشرعية على مدخل خليج العقبة ، فما دامت السيادة المصرية قائمة على مدخل الخليج فان القناة الجديدة حتى وان صدقت آمال اسرائيل — وهى أوهام اكثر منها آمالا ، او تعبئة نفسية اكثر منها حقيقة واقعة — فلن تغير من الأمر الواقع شيئا وهو اقفال خليج العقبة امامها والحيلولة بينها وبين الخروج الىالبحر الأحمر.

احلام اسرائيل الواهية

ولكن اسرائيل — غفلة منها او غباء — تروج للمشروع وتدعو اليه وتقول أن شق قناة من ايلات الى البحر المتوسط يمنح أوربا رئة جديدة تتنفس منها الى آسيا وشرق افريقية والى مناطق البترول الغنية فى الشرق الأوسط. وتضع لذلك ثلاثة مشروعات :

المشروع الأول ويتوهم شق قناة من ايلات الى نقطة تقع مابين غزة ورفح على البحر المتوسط بطول ٢٨٠ كيلو مترا .

ولا ندرى كيف يمكن لاسرائيل تنفيذ هذا الحلم — حتى وان أستمر الوضع الحالى على ماهو عليه ، وبقى الوجود الاسرائيلى قائما — مادامت لا تخضع لسيطرتها ، الا ان يكون الأمل قد راودها باحتلال قطاع غزة ، ولعلها — كما نعتقد — حين تقدمت بهذا المشروع الى جانب المشروعين الآخرين ، وهو أقل منهما نفقة بما يوازى الثلث ، تريد أن تحمل الدول الضالعة معها على المطالبة بضم قطاع غزة اليها ، ولا نستبعد هذا التفكير عنها اذا عرفنا ان « بن جوريون » فى حديث له يقول : ان عشرين

عاما أو ثلاثين من مساندة الغرب لنا كفيلة بحل كل مشاكلنا » .

ويفترض **المشروع الثانى** امكان شق قناة تنتهى عند المجدل على البحر المتوسط بطول ٣٠٠ كيلو متر . وتنتهى القناة فى **المشروع الثالث** عند حيفا بطول ٣٩٠ كيلو مترا ، ويفترض هذا المشروع الأخير مرور القناة عبر الضفة الغربية للأردن بمحاذاة البحر الميت والى الشرق من مدينة القدس ثم غربا الى حيفا جنوب بحيرة طبرية .

وهى مشروعات تضرب فى أغوار الخيال الأبله ، ولو كانت اسرائيل تعرف حقيقة امكان تنفيذها لما تقاعست عنها ، فان شق قناة من ايلات الى البحر المتوسط سيضاعف دون شك من تأييد الدول الاستعمارية لمطامعها ومراميها ففضلا عن العواطف الكريمة والنوايا الطيبة والحب الواله الذى يحمله الاستعمار لاسرائيل تغدو المصالح الاقتصادية التى يجنيها الاستعمار من شق القناة حافزا أعظم على التأييد وبذل المعونة السافرة ، ولكن اسرائيل تعلم **أن شق هذه القناة ضرب من المستحيل ،** اذ عليها ان تخترق فى كل الأحوال تلالا وهضابا ومرتفعات تصل الى ستمائة متر فوق سطح البحر ، وتعبر وديانا منخفضة تصل فى انخفاضها الى مائتى متر تحت سطح البحر ، وعلى اسرائيل قبل أن تبدأ فى الحفر ان تسوى بين المرتفعات والمنخفضات ويلزمها للسير فى المشروع الأول — ايلات غزة — ١٥ مليون متر مكعب لتسوية الأرض فقط ، كما يلزمها حفر ٤٠٠ مليون متر مكعب ، ويقدر المجهود الذى يبذل فى حفرها بثمانين ضعفا من المجهود الذى بذل فى حفر قناة السويس ويتطلب العمل فيها — ليلا نهارا — عشرين عاما ، وأربعين عاما اذا اقتصر العمل على نصف اليوم ، كما تحتاج الى قوى عاملة ضخمة تعجز اسرائيل عن توفيرها . ويزيد الجهد والنفقة فى تنفيذ المشروعين الآخرين حتى ليتطلب المشروع الأخير — ايلات . حيفا — اغراق الأخدود العميق للبحر الميت بما تنطوى عليه أرضه من ثروات معدنية ضخمة فيحرم اسرائيل من مورد لا ينضب للتعدين ، كما يتطلب انشاء عدد من الأهوسة فضلا عن ضخامة تكاليفها فانها تعوق سرعة الملاحة وتعطل مرور السفن ، فاذا عرفنا أن البحيرات المرة قد استغرقت خمس سنوات من العمل الفنى لرفع مياهها الى مستوى البحر فان مثل هذا العمل الفنى فى البحر الميت يستغرق ثلاثين عاما على الأقل اذا عرفنا أن سعة البحيرات المرة الى البحر الميت تبلغ ١ر٥ الى مائة ، هذا فضلا عن العقبات السياسية والموقف العسكرى الحازم للعرب اذا حاولت الاقتراب من قطاع غزة أو الضفة الغربية للأردن . ولا ندرى أتستطيع اسرائيل أن تتحمل انفاق ١٥٠٠ مليون جنيه استرلينى هى التقدير الجزافى لنفقات المشروع. ولا ندرى أيضا كيف يتسنى لها أن تحصل على آلات الحفر وبناء الأهوسة وتتطلب وحدها احتكار عدد من المصانع العالمية بضع سنين لصناعتها .

ولا نعتقد أن اسرائيل قد بلغت من الغفلة هذا المدى ولكنها كما قلنا تثيرها حربا نفسية ضد العرب حتى يخففوا من غوائهم ضدها مفترضين بقاءها الى الأبد ، أو أن صلابة الموقف العربى ستذوب على مر الزمن ويقبل العرب قيام اسرائيل كأمر واقع متجاهلة أن الصليبيين اقاموا مائتى سنة ثم رحلت جحافلهم خاسرة كسيفة مطرودة ذليلة من البلاد العربية .

والتاريخ يعيد نفسه فى صورة أخرى ، وهى صورة لن تكون أكثر عنفا وبغيا مما كانت ، **وستكتمل صورة التاريخ حين تحمل اسرائيل عصاها وترحل كاسفة عن الشرق العربى .**

فالأزمة التى تعانيها اسرائيل والتى تخشاها من **موقف الجمهورية العربية الحازم وعزم الرئيس العربى على استعادة حقوق العربى ،** هى أزمة الوجود الاسرائيلى وبقاء اسرائيل وليست ازمة تيران وحرية الملاحة فى خليج العقبة او فى قناة السويس ، وليست أزمة الصلح مع العرب ، فكلها عوامل تنبعث من جوهر المشكلة وحقيقتها أما الحقيقة الباقية فهى أن هذا العدو الدخيل ليس له بقاء على الأرض العربية ، وهى حقيقة تدركها اسرائيل وتعيها أكمل الوعى فتثير الصخب فى كل مناسبة علها تصل الى تسوية مع العرب تمنحها بعض الراحة والاطمئنان .

حسين فوزى النجار



اللاجئون ...

من رسوم الأطفال

الصهيونية ومصيرها

● ليس وجود جماعة يهودية بفلسطين هو الذى صان الذاتيــة اليهــودية ، بل حافظت عليهــــا الجماعات اليهودية المنتشرة فى أنحاء العالم .

● اليهود الأمريكيون يتفجرون غيرة وحماسة لتدعيم الدولة اليهــودية فى فلسطين بالتبرع لهـــا بالأموال وبالضغط على الساسة الأمريكيين لمساندة اسرائيل ضد العرب .

● ان التحدى الذى يمثله قيام اسرائيل فى الوطن العربى قد أبرز الى الوجود استجابة من أروع استجابات التاريخ تجـلى فى اندلاع ثـورة ١٩٥٢ بمصر وما تبعها من تحرر جميع الدول العربية .

ثمة واقعتان تجابهـان الباحث فى **الشئون اليهودية** عامة **والمسألة الصهيونية** بصفة خاصة:

الأولى – رواية اليهود لتاريخهم من وجهة نظرهم البحتة وحـدها . ولقد سلم العـالم المسيحى – بالذات – بصدق هذه الرواية كما وردت فى العهد القديم (التوراة) . بل ان رجال الدين المسيحى ليعدونها كلمة الله ، ويعدون من ينكرها كافرا يبوء بغضبه تعـالى وسخطه . أما الاسلام فيدمغ التوراة بالتحريف والتزييف، ولذلك لم يكن لها فى نفوس المسلمين تأثير . وان المؤرخين المعاصرين اذ يتجهــون الى بحث التاريخ اليهودى على ضـــوء التمحيص العلمى ينتهون كذلك الى نتيجة قريبة من وجهة نظر المسلمين .

الثانية – سيطرة فكرة شعب الله المختار على أذهان اليهود طوال السنين والأحقاب . فما بقية العالم فى عرفهم الا أنواع منحطة بين البشر تجهل شريعة الرب ، ويطلقون على أفرادها لقب **« الأمميين »** ازدراء واحتقارا .

فاليهود قد ترددوا فى عبادة ذاتهم ، ذلك انهم بعد أن اخذوا بفكرة الوحدانية التى يقول عنها عالم النفس اليهودى فرويد فى كتـــابه **« موسى والوحدانية »** : ان اخناتون هو الذى لقن عقيدة التوحيد لليهود ، أقول انهم بعد ان اخذوا بفكرة التوحيد عادوا فتركوا لأنفسهم العنـان لتستهويهم حقيقة ناقصة : نسبية وموقوتة . ومدار تلك الحقيقة الناقصة اعتبارهم السمو الروحى الذى بلغوه وقتا ما امتيازا خلعه الرب عليهم وحدهم بموجب عهد أبدى يجعل منهم شعب الله المختار . فكان أن أضلتهم الحقيقـة الناقصة فأردتهم فى خطأ مميت . وانحرف بهم احتضانهم صفة شعب الله المختـار الى العقم الفكرى .

والى الصدمات العنيفـــة التى أصـــابت النفسيــة اليهودية يرجع تحول العقيدة اليهودية



فـؤاد محمد شبل



القديمة الى ما أصبحت عليه بعد ذلك ، وانحراف اليهود عن الجادة ، وكراهية العالم لهم بالتالى . وفى طليعة تلك الصدمات ماكابدته اليهودية على أيدى :

١ ــ نبوخذ نصر ابان العقد الثانى من القرن السادس قبل الميلاد .

٢ ــ انطيوخس الرابع ابان العقد الرابع من القرن الثانى قبل الميلاد .

٣ ــ الرومان أثناء الحروب اليهودية الرومانية التى جرت خلال أعوام ٧٠/٦٦ و ١٣٢ ــ ٥ ميلادية .

وكان للصراع الذى نشب بين الرومانيين واليهود ابان القرنين الأولين الميلاديين تأثير على تاريخ اليهودية أقوى من ظهور المسيحية ، فلقد دفع اليهودية للعمل الجدى للحفاظ على ذاتيتها . فكان أن اتم احبار اليهود صياغة شريعة التوراة المكتوبة وتقنين التعليق على التوراة **(أى المشنا)** وانتاج تعليق آخر على هذا التعليق ويعرف بـ « الجمارة » . ومن المشنا والجمارة يتألف التلمود .

واتخذت اليهودية شكلها المحدد خلال مائة وخمسين سنة تقع بين جيل الحاخام **« يونان بن زكاى »** واقامة السنهدريم **(المجلس اليهودى القديم)** عام ٧٠ ميلادية ، وأقر هذا المجلس شريعة التوراة المكتوبة . ويبدو للباحث ان احبار اليهود قد عمدوا الى تسجيل تراثهم الروحى والأدبى بعدما شاهدوا تداعيه بفعل التأثيرات الأجنبية . ولا مجال هنا للافاضة فى عمق تلك التأثيرات ، وحسبنا القول بأن العقيدة اليهودية قد استوعبت الكثير من أساطير مصر وبابل وحكمتهما ، ومن ثقافات الشعوب المحيطة بها ولا سيما الكنعانيين والفينيقيين . ويأتى فوق هذا كله ؛ تأثر اليهودية العميق بعقيدة زرادشت تأثرا يتجلى بالذات فى المشابهة القوية بين تعاليم زرادشت وسفر أشعيا الثانى .



بداية فكرة الوطن القومى

منذ أن تولى نبوخذ نصر البابلى تصفية مملكة « يهودا » ابان العقد الثانى من القرن السادس قبل الميلاد ، وهدف اليهود المرحلين الى بابل وسلالتهم يتمثل فى الحفاظ على الذاتية اليهودية القومية . فكان أن اعتنقوا فكرة أن يظلوا يهودا فى جميع الظروف والأحوال وان يقاوموا مغريات الحضارات التى يعيشون بين ظهرانيها خشية أن ينجرفوا فى تيار الاندماج فى مجتمعها ، فتضيع مقوماتهم الذاتية ، وان يصمدوا للمحن التى تواجههم بسبب اصرارهم على الاحتفاظ بذاتيتهم المميزة . وذلك الى ان تسنح لليهودى فرصة العودة الى مملكة «يهودا» ويقيم هناك دولة لا تقتصر فحسب على المنطقة التى كانت تشغلها هذه المملكة فى سالف الأيام ، بل تضم كذلك جميع الأراضى التى كونت دولة داود وسليمان .

وجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من اليهود المشتتين كانوا يصدفون فى جميع الأحوال عن الاستقرار فى دولة يهودية تقام بفلسطين ، ويؤثرون الاقامة بمواطن تشتتهم التى استقروا فيها . اذ لم يستجب منهم لنداء زعيمهم زوربابل خلال الفترة ٥٣٩ – ٥٣٨ قبل الميلاد بالعودة للاقامة بأرض مملكة يهودا سوى عدد قليل . كما استجاب عدد اقل لنداء العودة عام ٤٥٨ قبل الميلاد بقيادة عزرا ، وعام ٣٨٤ قبل الميلاد بقيادة نحميا . ذلك لأن اليهود لم يقتصروا خلال الخمسين سنة التى امضوها فى الأسر البابلى على ايجاد نوع جديد من الحياة وابتكار مجموعة طريفة من النظم لحياتهم فى التشتت ، بل لقد امتزجوا بنمط حياتهم هذا وواءموا بين أنفسهم والبيئة التى استقروا فيها بحيث نجحوا فى الحفاظ على ذاتيتهم القومية ؛ الأمر الذى صدهم عن العودة الى موطن مملكتهم القديمة . بل ان اليهود الذين غادروا بابل واستقروا بفلسطين اجتذبتهم مدن العالم الهلينى المزدهرة ، فساروا فى ركاب الفاتحين الفرس مخلفين وراءهم مملكتهم مستقرين فى الممالك الهلينية التى انقسمت اليها الامبراطورية الفارسية بعد سقوطها . وكونوا بها جاليات ضخمة كانت جالية الاسكندرية المصرية أهمها ، تتلوها جالية روما ، ولم يكن مبعث هجرة اليهود من موطنهم بفلسطين الى مدن العالم الهلينى التشتت الاجبارى (أى الـ Piashorq) بل الهجرة الاختيارية بدافع المغريات الاقتصادية .

وها هنا يطفر الى ذهن الباحث وضع يهود الولايات المتحدة خاصة ويهود العالم الغربى عامة لمشابهة التشتت اليهودى فيها بتشتتهم فى بابل منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الثالث عشر المسيحى . **اذ يتصرف يهود أميركا تجاه دولة اسرائيل مثلما تصرف أجدادهم يهود بابل من قبل . فاليهود الأمريكيون يتفجرون غيرة وحماسا لتدعيم الدولة اليهودية فى فلسطين بالتبرع لها بالأموال وبالضغط على الساسة الأمريكيين – ماديا ومعنويا – لمساندة اسرائيل ضد العرب . فى حين لا يتحمس يهود أميركا اطلاقا لمغادرة أوطانهم والاستقرار فى أرض الميعاد .** بل ان الاحصاءات لتنبىء ان يهود اسرائيل يغادرونها اذا ما اتاحت لهم الفرصة للتوطن بالبلاد الأمريكية أو استراليا .

وتسفر الدراسة التاريخية عن حقيقة لا تمارى ، مبناها ان أية جماعة يهودية أعيد توطينها منذ فترة ٥٣٩/٥٣٨ قبل الميلاد **(أى بعد فك قورش الفارسى اسار يهود بابل)** حتى وقتنا الحاضر قد عجزت عن أن تعيش بمواردها الخاصة ، ولم يقيض لها البقاء الا فى ظل حماية يهود البلاد الأخرى **(أى يهود التشتت وفقا للاصطلاح اليهودى)** وبفضل رعايتهم وحدبهم عليها .

ويقينا ؛ ما برحت الجماعة اليهودية العالمية منذ الأسر البابلى حتى اليوم ، حصن اليهود وترسانتهم ، وبدونها لن يقيض للجماعة اليهودية بفلسطين البقاء قط . **وينبئنا التاريخ أن الجماعة اليهودية خارج فلسطين (أى التشتت) قد عاشت وازدهرت على الرغم من تدمير الجماعة اليهودية فى فلسطين خلال سنوات : ٧٠ ميلادية و ١٣٥ ميلادية و ٥٨٦ قبل الميلاد . والعكس غير صحيح ؛ بمعنى أن**

من غير مساندة اليهودية العالمية . فبفضل مابذلته الجماعات اليهودية من المساعدات المالية وما أسدته من دعم ديبلوماسي ؛ توفر لمملكة المكابيين الاستقلال خلال ثمانين عاما (١٤٢/١ ق . م – ٦٣ ق . م) وتيسر لمملكة هيرود الكبير أن تعيش – تحت رعاية روما – سبعة وثلاثين عاما .

وما انفكت الجماعة اليهودية بفلسطين تعيش عالة على يهود البلاد الأخرى ثقافيا وروحانيا : فان عزرا اليهودي البابلي هو الذي جعل من التوراة السلطة الحاكمة في الحياة اليهودية . ولم ينجب يهود فلسطين عالما او باحثا يهوديا ذا شأن ، عكس يهود الجماعات الأخرى الذين انجبوا رجالا مبدعين بفضل تأثيرات البيئة التي عاشوا في كنفها ولفحتهم اشعاعاتها الحضارية . وليس وجود جماعة يهودية بفلسطين هو الذي صان الذاتية اليهودية ، بل حافظت عليها الجماعات اليهودية المنتشرة في انحاء العالم .

فمن ثمت ؛ يستبين للباحث ان مشيئة البقاء كجماعة حيثما كانت ومهما كانت الظروف ، ما برحت منذ عام ٥٨٦ قبل الميلاد تعلو لدى اليهود على ارادة العيش كجماعة بفلسطين في ظل دولة يهودية : سواء تألفت تلك الدولة بفضل انبعاث مسيح منتظر يجعل منهم سادة العالم وبقيته عبيدا ، او يقيمها نفوذ يهود الشتت بالتحالف مع الامبريالية والرجعية الغربية .

جذور الأطماع اليهودية

ما كان في وسع اليهود بعدما ابتلعتهم الامبراطوريتان البابلية والفارسية وتفرقوا هباء بين شعوب الأرض ، أن يأملوا – باستخدام القوة – في استعادة الحالة التي كانوا عليها قبل تشتتهم : أي وقتما كانت مملكة ((**يهودا**)) تحيا حياة اقليمية مستقلة . واذا كانت الحياة تبدو سقيمة دون أن يبث في الانسان الفاشل القدرة على انتشال نفسه من حاضر لا يرتضيه، فقد تطلع اليهود في منفاهم ببابل الى اقامة مملكة داود ، ولكن في الصورة التي تقع تحت أبصارهم والتي باتوا يألفونها وهم بمنفاهم ؛ صورة لا نظير لها في ماضي مملكتهم . اذ تجسدت تلك الصورة في امبراطورية عالمية واسعة الأرجاء يسيطر فيها عنصر واحد من سكانها ، وهو فيها السيد الآمر المطاع وبقية عناصرها عبيد أو أشباه عبيد . وبالأحرى ؛ **تطلع اليهود لاقامة مملكة من ذلك النوع الذي عرف في عالم الامبراطوريات الكبرى ، وهفت نفوسهم الى أن تصبح أورشليم عاصمة العالم ويكونون هم فيها العنصر المسيطر .**

وظل اليهود ستمائة سنة يسعون لاقامة دولة بفلسطين باستخدام القوة المجردة فكان الاخفاق حليفهم واورثتهم محاولاتهم العقيمة الدمار والتشتت . فكان أن استبانت لهم استحالة تنفيذ حلمهم السقيم في اقامة امبراطورية باستخدام طاقاتهم البشرية . وها هنا تطورت شخصية المؤسس المنتظر للمجتمع اليهودي العتيد فأصبح لقبه ((**المسيح**)) عوضا عن ملك . وليس الملك مسيحا بشريا لكنه الاله نفسه يتنازل عن مقامه السامي ليتولى دور ((**المخلص**)) لشعبه المختار بعد أن وضحت استحالة تحقيق الخلاص بجهود هذا الشعب وحدها . ومناط الخلاص اخضاع العالم بأسره لسيطرة اليهود وهكذا ؛ سعى اليهود لالقاء عبء تنفيذ مشروع مستحيل من على كواهلهم الذاتية على كاهل كائن الهي تصوري يقوم شخصيا بتنفيذ المشروع لصالح اليهود وعلى حساب بقية شعوب العالم واجناسه .

وهنا يكمن سر كراهية اليهود للعقيدة المسيحية . فانها – في عرفهم – نحلة يهودية مارقة تأثرت بأساليب الوثنيين ، ويعتبرون الأناجيل اضافة اقحمها المسيحيون على التوراة . وان ثمة سببين رئيسيين لعداء اليهود للمسيحية :

الأول – روحانية المسيحية – فانها تنادي بأن مملكة الرب تقع في الآخرة وليستفي الدنيا. وهذا عكس ما تنادي به اليهودية من أن مملكة الرب في الدنيا ، وانه تعالى قد اصطفى اليهود دون بقية البشر فوعدهم باقامة دولة تتحكم في مصائر العالم بأسره ويكون اليهود فيها السادة ، والأمميون (**أي غير اليهود**) العبيد .

الثاني – اعتقاد اليهود بأن الخلاص (**أو الغفران**) يمنحه الرب لليهود وحدهم . ولهذا الخلاص صورة دنيوية تعني تمليك اليهود رقاب البشر ، وأخرى أخروية تعني استئثار اليهود بجنة الله وحدهم . في حين أن

الخلاص عند المسيحية للبشر جميعا وصورته روحية .

ويكره اليهود الاسلام لأنه سلبهم احتكار مبدأ الوحدانية بالاضافة الى عالمية الدين الاسلامى . فالايمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ليس نعمة اختص الله بها اليهود وحدهم او اى جنس آخر ، بل هى متاحة لبشر جميعا لا فرق بين عنصر وآخر .



علاقات الشعوبية اليهودية ببقية العالم

كانت مصر اول امة تصادمت مع اطماع الشعوبية اليهودية ولمست الخطر اليهودى . فكان أن استقر فى شعور المصريين الباطن احساس خطر الشعوبية اليهودية ، فآمنوا ايمانا لا يرقى اليه الشك بضرورة صد الأطماع اليهودية مهما كلفهم الأمر . ولم تتوان مصر فى اية مرحلة من مراحل تاريخها الطويل العريق عن كبح جماح الشعوبية اليهودية .

وتعتبر الطائفية اليهودية ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها فضلة متحجرة من حضارات بادت وانقضت فى كل مظاهرها . فلقد كانت دولة « يهودا » الاقليمية — ومنها انبثقت الشعوبية اليهودية — واحدة من الطوائف : العبرانية ، الفينيقية ، الآرامية ، الفلسطينية غير ان اليهود اوجدوا لأنفسهم طرازا غريبا من الكيان الطائفى . وفى داخل نطاق هذا الطراز الجديد استعاضوا عن فقدان دولتهم بالاحتفاظ بذاتيتهم فى صورة « تشتت Diaspovo » بين ظهرانى اغلبية اجنبية وفى ظل حكم اجنبى .

وليس رد الفعل اليهودى هذا بالشىء الفريد فى نوعه . فللتشتت اليهودى فى ارجاء العالمين الاسلامى والمسيحى ما يماثله فى تشتت طائفة البارسى فى انحاء الهند ؛ وتعتبر هى الاخرى بقية متحجرة فرت من موطنها فارس بعد وقوعها فى ايدى العرب واعتناق الفرس جميعا الاسلام عدا هذه الطائفة . وحافظ اليهود والبارسيون كل على ذاتيته بفضل التخصص فى مجالات جديدة من العمل ، لكن لم يكن للتشتت البارسى تلك النتائج الرهيبة التى ما فتىء العالم يعانيها من جراء التشتت اليهودى .

ولقد انتشر اليهود فى العالم المسيحى لتاخره الاقتصادى ابان القرون الوسطى وقتما كان الأوربيون يفتقرون الى الخبرة التجارية والتنظيم ، وقد برع اليهود فيهما وقتذاك . واجتنى اليهود من وراء احتكارهم الخبرة التجارية والادارية ارباحا طائلة اطمعت المسيحيين الأوربيين فى أن يحلو محل اليهود عن طريق اتقانهم الفنون اليهودية المربحة ، فبذلوا جهودا جبارة فى هذا الميدان الاقتصادى الذى كان احتكارا لليهود .

ونشأ صراع اقتصادى بين اليهود والمسيحيين . وفى البادية كان اليهود موضع الكراهية بقدر ماكانوا طائفة لا غنى عنها للمجتمع . لكن حد من سوء المعاملة التى كانوا يلقونها عجز مضطهديهم من المسيحيين عن تدبير شئونهم اقتصاديا بدون الخبرة اليهودية. ثم استحوذت البورجوازية المسيحية الناشئة على قدر كاف من الخبرة والمهارة ورأس المال بث فيها شعور القدرة على انتزاع المكانة التى يحتلها اليهود . وعندئذ استخدمت البورجوازية المسيحية قوتها لتأمين طرد منافسيها اليهود . ولما وطدت البورجوازية المسيحية مكانتها وتمكنت تماما من المهارات التجارية اليهودية ، انتفى خوفها من المنافسة اليهودية فباتت أعظم استعدادا للتعاون مع اليهود للافادة من اساليبهم الاقتصادية لخدمة الاقتصاد القومى المسيحى .

وسرعان ما تلا التسامح الاقتصادى تجاه اليهود الأوربيين تسامح اجتماعى وسياسى للأسباب الثلاثة التالية :

الأول — حطمت حركة الاصلاح البروتستانتى جبهة الكنيسة الكاثوليكية الموحدة والمعادية لليهود . وان هذا الاصلاح — فى حقيقته — لمن

وحى احبار اليهود لمارتن لوثر . وانبنى على هذه الحركة ترحيب انجلترا وهولندا ابان القرن السابع عشر باللاجئين من اليهود باعتبارهم ضحايا الكاثوليكية الرومانية عدوة هذين البلدين البروتستانتيين . وترتب على هذا أن شارك اليهود — بصفة عامة — ثمرات روح التسامح فى البلاد الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء .

الثانى — شيوع الروح الليبرالية . واذا كان كثير من الكتاب التى نادوا بها يهودا بأصلهم ؛ فلم يكونوا مخلصين فى دعوتهم الى الحرية والتسامح ، اذ رنوا للقضاء على كراهية المجتمعات الأخرى لهم بينما انهم انفسهم قد ظلوا على تعصبهم البغيض لذاتيتهم اليهودية .

الثالث — الدعوة الماركسية . ولقد كان ماركس يهوديا بأصله . واذا كان قد دعا الى العالمية ، فلكى يحطم النزعات القومية وهى الحاجز القوى ضد تغلغل اليهودية وسيطرتها .

ومهما يكن من امر التسامح الذى تبديه الشعوب على اختلافها تجاه اليهود ؛ فما برح اليهود يصرون على عزل أنفسهم عن المجتمعات الأخرى . وما يزال الانسان المسيحى أو المسلم بجانبه تضامنا وثيقا — ما سونية — يربط اليهود بعضهم ببعض . كما يواجه طموحا يهوديا للمطالبة بالمزايا التى يسبغها المجتمع الموحد على جميع افراده بما فى ذلك اليهود ، بينما لا يبدى اليهود اى استعداد لمنح غيرهم هذه المزايا .

وهكذا فشلت دعوة الاندماج التى تدعوا اليها قلة من اليهود تنادى بأن تكون العقيدة اليهودية كبقية العقائد الدينية . ومن رأيها أن فلسطين تعجز عن استيعاب اليهود جميعا وأن لا مناص من بقاء غالبيتهم الساحقة خارجها ، وأن فى تمسك اليهود بذاتيتهم القومية داخل الأوطان التى ينتسبون اليها من الوجهة الرسمية يكمن سر كراهية شعوبها لهم ومعاداتها لليهود عامة ، ويمثل هذا الاتجاه فى الولايات المتحدة المجلس الأمريكى لليهودية .

وتتخذ اليهودية العالمية من فكرة « عداء السامية » وسيلة لابتزاز الحكومات والأفراد . وتطالعنا فى هذا السبيل اتفاقية التعويضات الألمانية المعقودة فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ووافقت فيها المانيا على أن تدفع لاسرائيل مبلغ ٧١٥ مليون دولار من البضائع بالاضافة الى مبلغ ١٠٧ مليون دولار تعويضات لأفراد يهود . لكن اثارت هذه الاتفاقية النفوس الألمانية واصبحت عاملا من عوامل انتعاش النازية فى المانيا واججت كراهية اليهود فى تلك البلاد .

واذا ماولى الباحث وجهه شطر مركز اليهود فى البلاد الاشتراكية الأوربية ، طالعة سعى اليهودية العالمية الى اخراج يهود تلك البلاد خشية من ذوبانهم فى المجتمع الاشتراكى . وتحتج اليهودية العالمية بانبعاث العداء للسامية فى تلك البلاد . وتدلل على رايها بقيام ستالين عام ١٩٤٨ بترحيل الكتاب اليهود الى سيبريا واتهام طائفة من الأطباء اليهود عام ١٩٥٢ بالتآمر على اغتيال الزعماء السوفييت ، وما قيل عن عزمه على ترحيل اليهود جميعا الى سيبريا للتوطن فى اقليم «بيروبيدجان» ذى الحكم الذاتى . وانه وان سمح للكتاب اليهود بمغادرة سيبريا بعد وفاة ستالين ، لكن لا يسمح لليهود فى الوقت الحاضر باصدار صحيفة بلغة يهود أوروبا الشرقية « اليديش » بالاضافة الى تحريم تعليم تلك اللغة بالمدارس مما ينبى — كما تقرر اليهودية العالمية عن نية الدولة السوفييتية لاهدار الذاتية اليهودية المميزة وتحويل اليهود السوفيت الى مواطنين عاديين . وتدلل اليهودية العالمية على تآكل الذاتية اليهودية فى الاتحاد السوفييتى بمالاحظه وفد الحاخامات اليهود الأمريكى الى روسيا من توق اليهود فيها لاشباع جوعهم الروحى — كما قالوا فى تقريرهم — لكن الدولة السوفييتية لا تتيح لهم الفرصة . ولا يجد الجيل الجديد المدارس والكتب التى تبث الذاتية اليهودية المميزة فى عقول اليهود السوفييت ونفوسهم ، كما لا توجد الزعامة التى تجمع حولها هؤلاء اليهود فتحيلهم الى قوة تعان ارادتها ومطالبها . ولا تسمح السلطات السوفييتية بتداول المطبوعات الصهيونية ولا تأذن لأى يهودى بالهجرة من البلاد .

الغاية من انشاء اسرائيل

تستند الشعبية اليهودية على دعامتين :

الأولى — التشتيت

الثانية — الفيتو

ويمكن للباحث تشبيه الشعوبية اليهودية بقوقعة يحرص حيوانها الكائن بالمحارة على البقاء فيها وعدم مغادرتها الا بالقدر اللازم لمصلحته . فان غادرها تعرض لعوامل التطور التى اما ان تحيله الى كائن جديد او تقضى على ذاتيته ان لم يتواءم مع البيئة الجديدة .



ويطالع الباحث حقيقة لا تمارى ، مبناها أن الصهيونية قد نشأت فى غمار ايمان أوروبا الغربية بالليبرالية عمليا ، بما تضمه بين ثناياها من اندماج عناصر السكان على اختلافهم . ويعنى هذا نهاية **المعزل اليهودى «أى الغيتو»** الذى عاش اليهودى بين ظهرانيه . وفى هذا المعزل امكن اليهودى كفالة ذاتيته وان لم يحل بينه وبين الاختلاط بالعالم الخارجى بالمقدار الذى يتفق ومصالحه المادية . **ثم جاء قيام الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية ضربة قاضية على نظرية الغيتو .** فلقد أجبر اليهود على الاندماج بسكان البلاد والعمل معهم جنبا الى جنب فى جميع المهن ومنها الزراعة التى يأنف اليهودى الاشتغال بها لأنها تربطه بالأرض فتقضى على ذاتيته المميزة القائمة على حرية الحركة كلما تطالب الحفاظ على ذاتيته التغير والتحول .

فكان أن أصر مفكرو اليهود على ضرورة انشاء دولة اسرائيل ليتكون منها « غيتو » دولى يحفظ لليهود ذاتيتهم المميزة ويحول دون استيعاب الأمميين « الجوييم » لهم على طول المدى ، وهو ما جاهدت الشعوبية اليهودية لتلافيه طيلة ٢٥٠٠ سنة .

وتصورت اليهودية الدولية ان انشاء الغيتو الدولى ــ متمثلا فى اسرائيل ــ يحقق لها نفس الأغراض التى كان يحققها الغيتو المحلى ، أى :

أولا ــ الحفاظ على الذاتية اليهودية بطريقة جديدة مدارها أن يكون لكل يهودى جنسيتان : اسرائيلية وترمز لتبعيته الروحية وهى موطنه الأصيل فى نهاية المطاف ، وجنسية البلد الذى يقيم فيه وترمز الى مصلحته المادية الموقوتة . وعندئذ يصدف اليهودى غير المقيم باسرائيل عن الاندماج بمواطنيه ويظل يتطلع الى اسرائيل روحانيا وتتصل بينه وبينها العلاقات بفضل السياحة والزيارات والمؤلفات . وتستفيد اسرائيل من وراء ذلك أموالا تتدفق عليها من اليهودية العالمية دون خطر عليها من اندماجها بالأمميين . وهذا لعمرى تفسير رغبة اقطاب اليهود العارمة فى نقل يهود البلاد الاشتراكية الى اسرائيل لخشيتهم من فقدان ذاتيتهم المميزة على طول المدى .

ثانيا ــ الافادة من التشتت بما لا يؤثر فى معدن الذاتية اليهودية . **وتوهم أقطاب اليهود أن تتولى اسرائيل القبض على ناصية التجارة والمال فى الشرق الأوسط فتتحقق لهم السيطرة على العالم .** وها هنا تصبح الأحلام التى راودت احبار اليهود ابتداء من عزرا عن صيرورة أورشليم عاصمة امبراطورية يكون فيها الشعب المختار سيد العالم بأسره ؛ تصبح حقيقة واقعة .

وفى سبيل ذلك تتحالف الصهيونية مع الاستعمار العالمى ممثلا فى بريطانيا ومع الامبريالية الأمريكية الخاضعة لنفوذ يهود نيويورك ومع الرجعية العربية التى تتستر وراء الدين لكفالة استغلالها الشعوب لمصلحة الأسر الحاكمة . وكان وعد بلفور ثمرة هذا التحالف الذى تكاتفت على تحقيقه عمليا قوى الاستعمار البريطانى والامبريالية الأمريكية والرجعية العربية .

بيد أن التحدى الذى يمثله قيام اسرائيل فى الوطن العربى قد أبرز الى الوجود استجابة من أروع استجابات التاريخ تتجلى فى اندلاع ثورة ١٩٥٢ بمصر وما تبعها من تحرر جميع الدول العربية من ربقة الاستعمار وسلوكها طريق التقدم والارتقاء . ولا يزال الجيشان الثورى يقرع ابواب قلاع الرجعية والاستعمار بشيرا باقتلاع جذورها من البلاد العربية .

وها هنا تصبح اسرائيل بفضل يقظة الشعوب العربية وزوال حليفيها : الامبريالية والرجعية « معسكر اعتقال » لشراذم اليهود وشذاذهم . وذلك مع فارق واحد عن معسكرات الاعتقال المألوفة وهو أن يهود الدول الغربية ــ وبخاصة يهود أميركا ــ يتولون تمويل اعالة سكان هذا المعتقل فيرهق ماليتهم ، والمال

عصب حيـــاة اليهود . فان نضب معين اموال اليهودية العالمية او ضعفت امكانياتها ، اتجـه يهـود اسرائيل للنزوح عنهـا الى مواطن أكثر استقرارا واجزل عائدا . فان سولت لسكان المعتقل الخروج عن الجادة تكفل جراسه بردهم الى الصواب : ان الحيوان الهلامى يجب علينا ابقاءه داخل المحارة الى ان يموت .

لقد فرض الله جل ثناؤه علينـا رســالة مناهضة فريق من البشر حمل يوما ما رسالة التوحيد الخـالدة ثم انجرف امام الأطماع الدنيوية فضل سواء السبيل ، فأصبحت تسيطر عليه فكرة تدمير بقية البشر لاعلاء شأنه وتمكين سلطانه على الأرض متخذا البلاد العربية قاعدة اخضاع العـالم للشعوبية اليهودية وهى اعلى مراحل الامبريالية والتعصب العنصرى والدينى. فبعد أن كان شعب الله الذى حمل رســالته المجيدة اصبح شعب ابليس ويتخذه الشيطان لبلوغ مآربه فى اشاعة الفســاد والبغض بين الناس وتحويلهم عن سبيل المحبة والســلام . فان مثل الشعوبية اليهودية كمثل ابليس كان طاووس الملائكة ثم جرفه البغض والحسد الى عصيان أمر ربه .

فما أنبلها رسالة نضطلع بها ، والله المستعان.

فؤاد محمد شبل

من رسالة الى جونسون



ماذا يضيرك أن يصوغ الشعب فى فيتنام فجر سعادته
وعدالته
بارادته

لم تشعل البركان فوق حياته وحضارته
أتراه حين يعيش يسلب منك أنفاس الحياة
أتراك سوف تموت ان لم تجترع عرق الجباه
أسمعت عن شىء كهذا فى تواريخ الوحوش
وحش يفاخر أنه قتل الجميع لكى يعيش
حتى الوحوش اذا افترسن ، فلا تتيه بما افترسن !

(عبد الرحمن الشرقاوى)

إسرائيل ..

استعمار ذو ثلاثة أبعاد

● ان اسرائيل تمثل فى الشرق الأوسط كل أنواع الاستعمار الاستراتيجي والاستغلالى والسكنى ، واستحالة أن نفصل بين دورى بريطانيا والصهيونية ، واستحالة أن نفصم صلة اسرائيل بالولايات المتحدة الأمريكية .

● ان المليون لاجيء يلحون فى العودة والأخذ بثار شهدائهم ، انهم يريدون استرداد أراضيهم وتأكيد كرامتهم ، انهم يحملون هذه المرة سلاحا لا يلين ، يحملونه بقلب ملؤه الايمان والعزم على النصر .

نبدأ موضوعنا بسؤال مباشر عن الاستعمار الاسرائيلى الذى لم يشهد له التاريخ مثيلا ، اذ هو فى تاريخ الاستعمار نفسه نمط فريد ، فنسأل : ترى من اى نوع هو ؟ أم هو مركب من شتى الأنواع ، اجتمعت كلهـا فى موقف واحد ؟ .

هل كان **استعمارا استراتيجيا يبتغى أصلح المواقع الأرضية للتحكم فيما حوله من بلاد** وما تحته من سلع استراتيجية ــ مثل البترول وما شابهه ؟ .

أم أنه **سافر الاستغلال فيربط الاقتصاد المتخلف بعجلته .. بأن يبقى على تخلفه باحتكار الصناعة والتجارة لنفسه ، وفرض الزراعة والتعدين على أهل مستعمراته ؟ .**

أم هو استعمار سكنى بكل طبقاته أو بأعلى مراحله .. يستهدف احلال جنس وافد محل آخر قائم مستقر ــ وذلك اما بقتله وابادته ، او بطرده ، أو باغتصاب أرضه ؟ .

قد يلاحظ القـارىء أنه عند نهاية كل سؤال يبادر متمتما .. نعم هو ذا .. والقارىء محق فى مبادرته .. لأنه يجيب بضمير العربى



جمال بدران

الذى عايش تجربة من هذه التجارب المرة فى ناحية من انحاء الوطن ، ولأن غبار الركام شديد التماذج الى درجة يستحيل معها عزل ماض عن آخر ، أو تمييز استعمار عن استعمار .

فاذا **ما تجسم هــذا الخليط العجيب من أشكال الاستعمار فى مأســاة فلسطين** ، واذا ما أثارت أقدام جنودنا المتحفزة غبار الرمال عند مشارف فلسطين ، واذا ما الحت الرغبة فى الا يقتصر الغبار المثار على الوقوف وانما فى شق الطريق .. أصبح لزاما علينا أن نحصر آفاق هــذا الخليط المغبر ، لنستجلى حقيقة ما يستندون اليه من عمد ، ونستظهر كوامن طاقاتنا نحن لتعرية العمد .

فهل نعتبر الوجود الاسرائيلى فى فلسطين استعمارا استراتيجيا ؟ .

لنر ... ان موقع فلسطين فى منطقة الشرق الأوسط يضفى عليه الأهمية التى تتمتع بها المنطقة ، فاذا كنا نعتبر أن كل ما يقع جنوبى الاتحاد السوفييتى وغرب الباكستان حتى خط عرض ٣٠ هو الجزء الآسيوى من المنطقة ، وأن الجمهورية العربية المتحدة هو الجزء الافريقى منها .. أدركنا مدى سيطرة هذه المنطقة على المداخل الاستراتيجية للقــارات الثلاث .. **آسية وافريقية وأوربة** ، اذ تضم أقصر الطرق البحرية بين الشرق والغرب المتمثلة فى مضيقى البسفور والدردنيل وفى قناة السويس ، وكذلك يحتوى مجالها الجوى على أقصر الخطوط الجوية بين نصفى العالم ..

ومن ثم فان دول هذه المنطقة **تتحكم بحكم موقعها فى قلب العالم التجارى والسياسى والحربى ، وأصبحت هدفا ــ فى لحظات ضعفها ــ للدول الاستعمارية تتفنن فى ابتكار القوالب والأساليب للسيطرة عليه واستعماره .**

ولو نظرنا الى فلسطين من داخل المنطقة لوجدنا أنها تطل على شرق البحر الأبيض المتوسط النابض بحركة دولة الساحلية فى كل المجالات ، ولوجدنا أنها تكاد تتوسط المنطقة المتفق على تحديدها بخطى عرض ٣٠ و ٤٠ ، ولوجــدنا أكثر من هذا وذلك أنها خط الدفاع الأول عن

قناة السويس .. ولهذا فان كل من يمتلك زمام الأمور فى هذا الجزء يمكنه التمتع بهذه الميزات .. هذا فضلا عن اشرافه على الخط الحديدى الذى كان معروفا من قبل باكسبريس الشرق الذى يصل ما بين القاهرة واستامبول حتى باريس .. بالاضافة كذلك الى انه يسيطر على المنفذ الطبيعى للعراق والأردن الى البحر المتوسط .. للملاحة البحرية ، وتزعم المرحوم الرئيس المسلم

فاذا ما ربطنا بين وحدة العالم العربى ووجود مصر كمركز قوى لهذه الوحدة ، وبين ايجاد حاجز يفصل ما بين المركز وانحاء العالم العربى . كذلك اذا ما ربطنا بين الوجود المصرى كرسول عربى الى دول افريقية الصاعدة ، وبين ايجاد عامل مهدد يشغل مصر عن الالتفات الى رسالتها الافريقية ... ادركنا حقيقة الهدف الاستراتيجى واهميته من تخطيط الاستعمار البريطانى لانتزاع فلسطين من العرب بالانتداب ، وتسليمها الى عصابات الهاجاناه واشتيرن والأرجون زفاى ليومى بالتواطؤ والغدر .. لصنع دولة اسرائيل .

أم ترى نعتبر الوجود الاسرائيلى فى فلسطين استعمارا استغلاليا ؟ .

وللاجابة على ذلك .. لا بد وان نتمثل شخصية اليهودى وطبيعته .. فهو فى بدايته التاجر المتجول بين القرى والكفور يحمل سلعته فى جوال على كتفه ، وهو بعدئذ الوسيط بين طرفين او عدة أطراف من التجار والعملاء نظير جعل معين ، ثم نجده يدير دكانا « للرهونات » والاتجار فى المال نفسه بفوائد وعقارات ، وهو بعد كل هذا وذاك رجل المصارف ومحتكر رؤوس الأموال .. **ولهذا فان صورة اليهودى قد ارتبطت فى الأذهان بالتاجر المستغل .. أما اليهودى الصانع ، أما اليهودى الفلاح .. فلا أثر لهما بين هذه المجتمعات التجارية المغلقة** . فاذا ما عرفنا ان كل مجتمعات اليهود فى دول العالم تمثل مراكز الاكتناز المالى ، وان كل واحد فى هذه المجتمعات لا يخرج الى العالم الأرحب الا من أجل تحقيق أكبر قدر من الربح ، ولا يلبث ان يعود الى حيه المقفل أو **الجيتو** بما حمل أو ربح .. وهذا معناه انه يقيم **مجتمعاته على أساس الامتصاص لا المنح أو التبادل** .. وهذا هو ما أثار كراهية بعض الشعوب لهم ، وجعلهم يتخذون مواقف عدائية حيالهم فى بعض الفترات . واذا ما أعدنا السؤال ان كان فى الامكان اعتبار الوجود الاسرائيلى وجودا استعماريا مستغلا .. لقلنا .. لا يمكن أن يتخلوا عن طبيعتهم العريقة ،

ومن ثم نتساءل ماذا يستغلون ؟! .

وقد نتمادى فى دهشتنا وتفاؤلنا .. قائلين ان فلسطين ليس بها من خيرات تستغل غير زراعة الموالح واستخراج البوتاسيوم من البحر الميت !! ومن ثم فهى ليست بالكنز الذى يسيل لعاب الاستعمار الاقتصادى .. أو ما اصطلح على تسميته بالاستعمار الجديد .

لكننا نستدرك قائلين ان الاستعمار الاقتصادى لا يقتصر على سلب خيرات المستعمرة ، وانما يجعل منها سوقا لاستهلاك سلعه المنتجة .. ولكن من هم المستهلكون فى فلسطين ؟!! .

لقد بات الوضع متغيرا تماما فى هذا المكان .. فأبناء المستعمرات الذين يستهدف المستعمر تعويده على سلعه ، واستنفاد مدخراته أولا بأول .. لم يعد موجودا فى فلسطين .. لأن المستعمر صار هو المقيم والمستهلك .. !! ..

فأى نوع هذا الاستعمار الصهيونى ؟!! ..

الا اننا حينما نتذكر أن شخصية التاجر اليهودى المتجول تبدأ من نقطة الصفر ، وانه يلجأ الى كل السبل المشروعة وغير المشروعة لخلق أرقام على يسار هذا الصفر .. نفهم فلسفة الامتداد المقلس لاسرائيل الى دول افريقية ، وندرك هدف التسلل الى بترول ايران وتكريره فى معامل حيفا ، ونعرف سبب حرص اسرائيل على الانضمام أو الانتماء الى السوق الأوروبية المشتركة .. ومن ثم نحاط علما **بحلقات الوصل بين الاستعمارين قديمه وجديده .. لصنع دولة اسرائيل .**

أما اذا أردنا التساؤل حول اعتبار الوجود الاسرائيلى فى فلسطين استعمارا سكنيا .. فهذا هو ما يستحق منا وقفة طويلة فوق هذه الآكام .. نستعيد الأحداث ، ونرتب نتائجها .. كمقدمة لما هو ماثل امامنا على الحدود ..

ان النتيجة الذائعة الصيت هى تلك التى انبنت عليها المواقف الرسمية لبعض الدول واكسبت الصهيونيين القدرة على المطالبة الرسمية — ولا أقول الشرعية — بتكوين وطن

قومى لهم فى فلسطين .. انه ذلك الخطاب ...

« عزيزى اللورد روتشيلد .

يسرنى جدا ان انقل لكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة تصريح العطف الآتى على الأمانى اليهودية الصهيونية الذى عرض على الوزارة فاقرته .

ان حكومة جلالتـه تنظر بعين الارتياح الى انشاء وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى ، وستبذل احسن مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية . وليكن معلوما بجلاء انه لن يعمل شىء من شأنه ان يجحف الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين ، أو الحقوق التى يتمتع بها اليهود فى اى بلد آخر والمركز السياسى الذى هم فيه .

واكون ممتنا اذا عرضتم هذا التصريح على الاتحاد الصهيونى ليطلع عليه » .

المخلص

آرثر چيمس بلفور

ولم يلبث روتشيلد أن أعلن الخطاب الذى صار وعدا وعهدا رسميا .. أعلنه على العالم أجمع ، وأخذت الصهيونية تعمل جاهدة ــ من يومها ــ على الحصول على تصديق الدول وتأيدها لتنفيذ هذا الوعد .. فصدقت عليه فرنسا وايطاليا فى شهر واحد عام ١٩١٨ ، وصرح رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية علنا ــ وفى العام نفسه ــ بتأييد هذا الوعد فى خطاب له الى الحاخام ستيفن وايز .

ومن ثم ارتبطت مصالح الصهيونية كل الارتباط بمصالح حلفاء الغرب ، حتى أعداؤهم وقتذاك ــ المانيا والامبراطورية العثمانية ــ حاولتا خطب ود الصهيونية بالموافقة على تكوين مؤسسة رسمية لها تمارس عملها فى فلسطين لكن مزايدتها قدمت بعد الأوان .. فقد كان وعد بلفور قد صدر .. حتى **ان الجنرال اللنبى عندما احتل فلسطين قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى .. لم يكد يستقر فى فلسطين حتى جاء وفد من زعماء الصهيونية بزعامة وايزمان الى القدس ، ووضعوا حجر الأساس للجامعة العبرية فوق جبل المكبر .. كاعلان عن عزم الصهاينة على تنفيذ الوعد الانجليزى بكل دقة وكل سرعة .**

ولذلك فان تلك الحرب عندما وضعت أوزارها .. طفت على السطح متناقضات الاتفاقيات والوعود التى كان المستعمر البريطانى يخادع بها ، وكانت مطالب العرب وادعاءات



الصهاينة هى المحك الذى انكشفت عنده حيل الحكومة البريطانية ..

فالصهيونيون .. على الرغم من انهم لم يكونوا ممثلين لدولة معترف بها فى العالم وقت انعقاد مؤتمر الصلح فى باريس .. فانهم تقدموا اليه بوفد من انجلترة والولايات المتحدة وأوربة .. وكان هدفهم ادخال وعد بلفور ضمن معاهدات الصلح ، **فعارضوا فى ادماج فلسطين بالدولة العربية ، وعارضوا مبدأ الحكم الذاتى الوطنى ، وعارضوا فى تدويلها .. وأسفروا عن وجههم بتفضيلهم حكم بريطانية لهذا الوطن والسيطرة عليه** .. ولا عجب فالصلة بينهما متفق عليها من قبل . أما العرب .. فقد تحدث باسمها فى مؤتمر الصلح الأمير فيصل .. فطالب حلفاء الغرب بالبر بالوعود التى كانوا قد قطعوها لهم وهى .. « التحرير التام الأكيد للسكان الذين كان الأتراك يضطهدونهم منذ مدة طويلة ، وتأسيس حكومات وطنية وادارات تستمد سلطتها من رغبات السكان الأصليين وممن ينتخبونه بمطلق الحرية » .

بل انه زار كلا من فرنسا وانجلترة قبل المؤتمر .. فنصحه الانجليز بضرورة اتفاقه مع الفرنسيين والصهيونيين !!! بأى صفة اكتسبوها حتى يتفق معهم ؟! **لا أدرى !! .**

ومع ذلك فقد وقع بسذاجة على اتفاق مع وايزمان عام ١٩١٩ ، رحب فيه بالهجرة اليهودية الى فلسطين !! لكنه كاد أن يعى .. فاستدرك مشترطا تحقيق الوعود التى وعدت فيها بريطانيا العرب بالاستقلال .. واى استقلال ؟ **لا ندرى !! .**

ومن هو الذى يشترط هذا الشرط .. ؟ .. أبيده مقاليد الأمور فى فلسطين حتى يمنع الهجرة اليهودية أو يبيحها ؟! .. لكنه وافق

على مبدأ الهجرة الى فلسطين على اى حال .. وهو المطلوب . لأن الهجرة شيء مفهوم ومرسوم ، اما الاستقلال فذلك أمر يطول شرحه وتختلف حوله الاقوال .. وفعلا .. نجح وايزمان وفشل فيصل .. حتى تقرير لجنة كنج وكرين — وهو التقرير الذى كتبه هذان الأستاذان الجامعيان بتكليف من الرئيس ويلسون عن دراسة ومواجهة مباشرة مع الأهالى الى العرب فى سورية والعراق وفلسطين — لم ينظر فيه مؤتمر الصلح .. لا لشيء الا لأنه قال كلمة حق فى صالح العرب .

بل اكثر من هذا .. ففى **مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ نظمت شؤون الانتداب .. وكان العراق وفلسطين من نصيب الانتداب البريطانى ،** واكتسب القرار صفة رسمية عن طريق عصبة الأمم عام ١٩٢٢ .. **وأظن أن الربط بين العراق كدولة منتجة للنفط وفلسطين كمنطقة مطلة على البحر الأبيض يؤكد ما سبق أن قلناه عن الاستعمار الاقتصادى ..** وكانت الطامة الكبرى لموافقة عصبة الأمم على قرار الانتداب كامنة فى اضافة شيء آخر الى بنود الانتداب .. ألا وهو وعد بلفور .. وجعله شرطا تنفيذيا أو واجبا من واجبات الدولة المنتدبة .

ومن مؤتمر سان ريمو ذاك بدأ الكفاح المقدس للشعب العربى فى فلسطين .. فنشبت اضطرابات خلال شهر انعقاد المؤتمر معادية للصهيونية .. اغتيل فيها خمسون صهيونيا فى القدس ويافا ، وكشف الانجليز عن حمقهم المركب .. فعينوا أول ممثل لهم السير هربرت صمويل — ذلك اليهودى المتطرف .. عينوه مندوبا ساميا لهم فى فلسطين ، فلم يهن لحظة فى المبادرة الى تنفيذ وعد بلفور ، ووضع أول نسبة للهجرة اليهودية الى فلسطين وهى ١٦٥٠٠ مهاجرا فى العام .. **ولم تتوقف ثورات الشعب العربى طوال ثلاثين عاما من هذا التاريخ حتى موعد حدوث المأساة وسلب فلسطين .**

وكم من مؤتمرات عربية عقدت فى القدس ودمشق وحيفا ما بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٢١ وكلها تنفض عن قرارات واحتجاجات صارخة .. ترفض وعد بلفور وتؤكد الوحدة السورية ، وتؤلف لجنة تنفيذية لتوجيه الحركة الوطنية ، أو تشكل وفدا الى بريطانية لشرح قضية فلسطين . لكنها لم تكن على مستوى الآفاق العالمية فى السياسة وتكتيكاتها .. ومن ثم كانت دهاليز السياسة العالمية ومؤامراتها أقرب الى طبيعة الصهاينة من العرب .

وما كان المجال الحق الذى ينجح فيه العرب غير مجال المواجهة والنزال .. لأنه يعتمد على عامل الاقتناع والايمان بالقضية .. مما يدفع بالعربى الى المصارحة والتضحية .. وهذا ما حدث بعد سلبية نتائج المؤتمرات .. **فحدث الصدام بين العرب والصهاينة عام ١٩٢٩ داخل حائط المبكى بالقدس ..** وظل محتدا لمدة اسبوعين قتل فيهما ١٣٥ صهيونيا واستشهد ١١٦ عربيا . ثم شبت الثورة عارمة عام ١٩٣٦ بعد رفض حكومة العمال البريطانية لمطالب الوفد العربى بوقف الهجرة ومنع انتقال الأراضى الى اليهود وتأليف حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابى .. قامت هذه الثورة بعد هذا الرفض بخمس سنوات .. انعقد خلالها مؤتمران عربيان سجلا قرارات على الورق فى نابلس والقدس ، شبت الثورة فدفعت الى تكوين اللجنة العربية العليا لقيادة الثورة .. كانت ثورة عارمة ، أقبل عليها المتطوعون العرب من سورية وشرقى الأردن والعراق .. كانت ثورة واعية ، حددت أساس البلاء وركزت عليه ثورتها .. على الاستعمار البريطانى ذاته .. وهنا برزت حقيقة خفية الى الوجود السياسى .. **حقيقة الصلة بين الرجعية العربية وبين المستعمر ..**

فأصدر الملوك العرب بيانا مهدئا الى الشعب الفلسطينى الثائر .. اذ يقولون ..

« الى ابنائنا عرب فلسطين .. لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة فى فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله .. ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء .. معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعى فى سبيل مساعدتكم » .

يا لها من صداقة عميقة ، ويا له من عدل !! فأى الم هذا الذى حز فى قلب الملوك ليؤثروا حقن الدماء ، وأية مساعدة تلك التى وعدوا بها !! يالها من ثقة .

لقد أسفر هذا البيان عن مجيء لجنة بيل الملكية البريطانية ، التى رفضت مسبقا وقف الهجرة اليهودية فقاطعتها اللجنة العربية العليا .. ومع ذلك تمادت فى تأدية مهمتها — استنادا الى ثقة السادة ملوك العرب فيها .. واوصت فى تقريرها — حقا — بانهاء الانتداب البريطانى ، ولكنها أشارت ايضا بضرورة تقسيم

فلسطين الى ثلاثة أقسام .. دولة يهودية على الساحل والجليل ومثلث من الأرض بين تل أبيب ويافا وبين القدس ، ودولة تحت الانتداب لا يسرى عليها وعد بلفور .. تشمل اللد والرملة والناصرة وشواطىء بحيرة طبرية ، ودولة عربية تضم باقى فلسطين وشرق الأردن .

لذا فان المؤتمر العربى فى بلودان قد انعقد عام ١٩٣٧ بعد اعلان هذا التقرير مباشرة ، وضم وفودا من مصر والعراق وسورية ولبنان وفلسطين والمغرب .. وقرر ..

رفض ومقاومة تقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها ، فلسطين جزء من الوطن العربى لا يمكن فصله ، الاصرار على طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور وتشكيل حكومة دستورية تضمن حقوق ما للأغلبية للأقلية ، الوقف الفورى للهجرة اليهودية ومنع انتقال الأراضى من العرب الى اليهود .

ومن ثم اندلعت ثورة عربية أخرى ضد البريطانيين والصهيونيين معا .. مما اضطر دولة الانتداب الى عقد مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ للدولة العربية على حدة ، وللصهيونيين على حدة .. واسفر عن صدور كتاب أبيض .. عدلت فيه الحكومة البريطانية عن فكرة التقسيم الثلاثى ، واعترفت بحق فلسطين فى الاستقلال بشرط اشتراك الصهيونيين بعد فترة انتقالية لا تقل عن عشر سنوات ، كذلك خولت مندوبها السامى سلطة منع انتقال الأراضى لليهود .

لكن الكتاب الأبيض لم يذكر شيئا عن الهجرة اليهودية ووقفها الى فلسطين .. مما يفهم منه اصرار المستعمر البريطانى على اغراق فلسطين بالمهاجرين اليهود تنفيذا لمخطط لديهم .. ومع ذلك رفض الصهيونيون هذا الكتاب بحجة عدم ذكره شيئا عن الدولة اليهودية .. ومن البديهى أن يرفضه العرب وتظل الثورة الفلسطينية شابة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية .. رغم محاولات بريطانيا العديدة لتجميد الثورة خلال الحرب .. بالوعود تارة وبالقوة تارة أخرى ، خاصة وان وجود جيوش عديدة بفلسطين خلال هذه الفترة قد ساعد على شل حركة المجاهدين الفلسطينيين .

ولكن ماذا فعل الصهاينة فى هذه الأثناء ؟ ..

حصول على السلاح بشتى أنواعه من هذه الجيوش الموجودة ، استغلال موقف هتلر واضطهاده لليهود وهرب الكثير منهم الى خارج المانيا فى الضغط على انجلترة لفتح أبواب فلسطين لهم ، ابداؤهم الاستعداد للوقوف الى جانب بريطانية فى الحرب ومطالبتهم المتكررة بتأليف وحدات عسكرية صهيونية مستقلة تعد جزءا من جيوش الحلفاء .. واستجاب البريطانيون لهذه الرغبة .. فوافقوا فى البداية على تشكيل فيلق رواد فلسطينى ، ثم ستة أفواج من السرايا الفلسطينية ، وفى النهاية أعلنت صراحة عن تكوين اللواء اليهودى الذى اشترك فى حملة الحلفاء على ايطالية عام ١٩٤٤ .

ولم يكتف الصهيونيون بذلك .. بل **استغلوا الاضطهاد النازى لهم لاستدرار عطف العالم عليهم** ، ولم تفتهم فرصة غرق سفينة المهاجرين اليهود « ستروما » عند الساحل التركى بعد أن رفضت السلطات البريطانية انزالهم الى أرض فلسطين خوفا من اثارة مشاعر العرب .. استغلوا هذا الحادث على المستوى العالمى أكفأ استغلال . ثم انهم أحسوا بما سوف تحتله أمريكا من مركز قيادى فى عالم ما بعد الحرب .. **فوجهوا جهودهم الى الصهيونيين الأمريكيين .. واجتمعت المنظمة الصهيونية الأمريكية** عام ١٩٤٢ .. **فاقرت البرنامج الذى تقدم به اليها بن جوريون والذى يشتهر ببرنامج بلتمور** .. وهو يطالب بثلاث نقاط ..

أولها .. تأسيس دولة صهيونية تضم فلسطين بأجمعها .

ثانيها .. تشكيل جيش صهيونى .

ثالثها .. رفض الكتاب الأبيض البريطانى ، وفتح باب الهجرة غير المحددة الى فلسطين باشراف الوكالة اليهودية لا البريطانيين .

ومن العجيب أن نجد الرئيس ترومان عام ١٩٤٥ يوجه نداء الى أتلى رئيس الوزارة البريطانية حينذاك .. طالبا السماح فورا بدخول مائة الف لاجىء يهودى الى فلسطين . لهذا وجدنا بريطانية تسارع باقتراح تأليف لجنة تحقيق انجليزية أمريكية لدراسة الموضوع .. ومن باب أولى التخلى عن المسئولية التى خلقت هى مشكلتها ، والقائها على عاتق الولايات المتحدة .. التى كان الصهاينة قد سبقوا الى تنظيم قواهم الضاغطة عليها ..

وتسلمت الصهيونية الأمريكية مقاليد زعامة الصهيونية العالمية .. كى تتمكن من ممارسة الضغط على حكومة الولايات المتحدة ، وعلى ممثلى الحكومات فى هيئة الأمم .

ويبدو أنه فى الامكان لكل قارىء لهذا السرد القصير ، فى امكانه استنتاج التكملة الحتمية لهذه القصة ، وما دار منها فى ردهات هيئة الأمم وكواليسها ، ثم ما حدث ازاء المشروعين المقدمين .. والمحصورين حول التقسيم أو تكوين دولة اتحادية بين العرب واليهود ..

وأجازت الجمعية العموميةمشروع التوصية بتقسيم فلسطين مع الاتحاد الاقتصادى .. وذلك بعد تنفيذ قرار بريطانية انهاء انتدابها عام ١٩٤٨ بشهرين .. ومن الطريف أن تطلب الجمعية الى مجلس الأمن مساعدة اللجنة الدولية فى مهمتها لتقسيم فلسطين ، وأن يعتبر كل محاولة لاجراء تبديل فى مشروع التقسيم بالقوة تهديدا للسلم .

فأين هو التقسيم المطبق ؟!! .. لقد نص المشروع الفائز بفضل تأثير الولايات المتحدة الأمريكية .. نص على أن .. تضم الدولة العربية القسم المركزى والشرقى من فلسطين .. فيشمل وادى أزدريلون وبئر سبع فى الجنوب ، والجليل الغربى ، والشريط الضيق على طول البحر الأبيض من مدينة غزة الى الجنوب بحذاء الحدود المصرية حتى خليج العقبة .. فأين هى هذه الحدود الآن ؟! .

على كل حال .. لقد رفض **العرب قرار التقسيم لعدم الزامية توصيات هيئة الأمم ، ولأنه لم يؤخذ فيه برأى أصحاب الأمر** .. ولم تلبث الهيئة العربية العليا أن أعلنت « ان اية محاولة يبذلها اليهود ، أو اية دولة واحدة أو مجموعة دول ، لتأسيس دولة يهودية فى الأراضى العربية تعد عملا تعسفيا سوف يقاوم بالقوة دفاعا عن النفس » .

وأعلنت بريطانية انهاء انتدابها ، وعارضت دخول اللجنة التى أوصت الجمعية العمومية بتشكيلها ، **وفى يوم اعلان انتهاء الانتداب نفسه .. أعلن المجلس المنعقد فى تل أبيب تكوين دولة اسرائيل ، وبعد الاعلان بساعات أعلن ترومان اعترافه بها** .. فكان بذلك تعرية فاضحة لحقيقة الرابطة بين الحركة الصهيونية وبين كل دولة مستعمرة .

فماذا حدث بعدئذ ؟ .. دخلت جيوش الدول العربية أرض فلسطين .. وكانت الحرب ..

ثم ماذا .. ؟ .. لاداعى لترديد شىء نقف الآن خارج حدوده .. نقف ومعنا مليون لاجىء فلسطينى .. شردتهم عصابات دولة اسرائيل .. نسفت قراهم غير المحصنة عن آخرها ، **ذبحت كل من بقى من العرب فى قرية دير ياسين ، قامت بأقسى الأعمال الوحشية فى حيفا ويافا وخان يونس وكفر قاسم** .. الى درجة تستثير ضمير **أرنولد توينبى** .. فيكتب عن هذه الأعمال الاجرامية التى لم يشهدها التاريخ من قبل وفى مؤلفه « **دراسة التاريخ** » .. كل ذلك من أجل اخلاء الأرض للمهاجرين ــ أو بالأصح للمستعمرين الجدد .. ومع ذلك تجد من الولايات المتحدة تأييدا وتلقى منها اعترافا ومساندة .. لصنع دولة اسرائيل .

فاى نوع من الاستعمار هى ؟! .. اقولها بملء الفم .. **ان اسرائيل تمثل فى الشرق الأوسط كل أنواع الاستعمار .. الاستراتيجى والاستغلالى والسكنى** .. تمثل قمة مراحل الاستعمار وأبشعه .. تمثل المخطط والهدف ..

تمثل الوسيلة والغاية .. المخلب والوحش .. **استحالة أن نفصل بين دورى بريطانيا والصهيونية ، واستحالة أن نفصم صلة اسرائيل بالولايات المتحدة الأمريكية ..**

اذن .. ما هو دورنا الآن ؟ . بماذا يأمرنا حاضرنا ؟ .. حاضرنا المشرق ..

ها نحن تناسينا متناقضاتنا ، وأحكمنا حلقة الحصار حول هذا السرطان المستفحل ، وأمكننا أن ننمى قوانا ونشحذ هممنا ، واستطعنا أن ننظم خططنا وخطواتنا ، وسلكنا المجال الدولى على مستوى المسئولية العالمية وكفاءة الاستعداد السياسى ، والتفتنا الى نسيجنا الداخلى نبنى فيه أنفسنا وننمى من انتاجنا .. فما الذى يبقى ؟ .. ان المليون لاجىء يلحون فى العودة والأخذ بثأر شهدائهم ، انهم يريدون استرداد أراضيهم وتأكيد كرامتهم ، انهم يحملون هذه المرة سلاحا لا أثر للخيانة فيه ، يحملونه وقد ازدادت أذرعتهم صلابة ودربة ، يحملونه بقلب ملؤه الايمان بالنصر والعزم على تحقيقه .. فما الذى يبقى ؟ ..

ان البحث عما ننتظره .. يجعلنى اتذكر خطابا رنانا لوزير الخارجية الأمريكية عام ١٨٩٥ ريتشارد أولنى .. عندما نشب نزاع بين أمريكا وانجلترة حول الحدود بين جيانا البريطانية وفنزويلا .. اذ صاح يومها يقول ..

« ان للولايات المتحدة اليوم ــ من الناحية العملية ــ السلطان على هذه القارة ــ يقصد طبعا قارة أمريكا اللاتينية ــ وان حكمها قانون

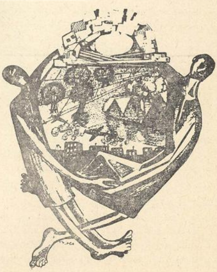
مفروض على الرعايا القاطنين فى نطاق سلطانها ، لماذا ؟ انه لا يعزى الى مجرد الصداقة الخالصة أو حسن النيــة ، انه ليس مجرد تقــدير لسمو خلقها كدولةمتحضرة ، انه لا يعزى لما تتميز به ــ فى ثبات ــ معاملات الولايات المتحدة من حكمة وعــدل واســتقامة .. ولكن لأنه يرجــع الى مواردها التى لا حد لها » .

انه أصرح تصريح لوزير خارجية .. ضرب بالصداقة وحسن النية عرض الحائط ، والقى بالحــكمة والعدل والاســتقامة جانبا .. ولم يعترف بشىء الا بوفرة موارده وحصانة موقعه وقوته .. عملا بمبدأ مونرو فى فرض الحماية على دول امريكا الجنوبية ..

ولــكن مالى تذكرت هــذا الخطاب فى تلك الآونة ؟! اننا نقف على حدود وطن سليب منا فى الشرق الأوسـط ، وليس فى أمريكا .. واننــا نطالب بتطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة فى النصف الثانى من القرن العشرين .. لا مبــدأ مونرو أو اتفاقية استعمار بين دولتين مختلفتين فى القرن التاسع عشر .. فهل تقدم بنا الزمن ؟ أم ماذا ننتظر ؟ لا يســعنى الا أن أردد قــول الفيلسوف **ياسبرز** عن مستقبل الانسانية فأقول معه « ان أى انسان عاقل يرفض التسليم بأن هذه الأحداث هى ثمرة تطور حتمى .. فهذه الاحتمالات بما تنطوى عليه من مخاوف وآمال .. لا يصح أن تكون لنا قيودا وأغلالا .. وانما توجب أن يكون النداء الموجه الينا بالحاح أشد .. هو .. الينا وحــدنا يرجع الأمر فى أن تصبح هـــذا أو ذاك . »

جمال بدران

من رسالة الى جونسون



وطنى المعارك والحضارة والأمل

وطنى هو النور الذى غمر العصور ولم يزل

وطنى هو الفجر الجديد

وطنى هو التاريخ والمستقبل الوضاح والزمن السعيد

وطنى هو المأساة مثقلة بما صنع التسلط والتحكم عبر العصور

وطنى هو الفلاح .. والبسطاء صناع التقدم والمصير

(عبد الرحمن الشرقاوى)

لن تبقى إسرائيل

> « ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى ، اذا استطاع يوما ان يتخلص من المهانة ، وأن يخرج من الأزمة الطاحنة ، كما أرادها المستعمر فاصــلا يعوق امتداد الأرض العربية ويحجز المشرق عن المغرب » .
>
> الميثاق

وربيع عام ١٩٥٠ ... بعد المأساة ، اجتمع ممثلو حكومات انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، وأصدروا بيانا بعزم حكوماتهم على صـــيانة الأوضاع الراهنة فى الشرق الأوسط ، والمحافظة على الحدود الحالية لدول المنطقة .

كانت اتفاقات الهدنة قد عقدت قبل شهور ... وظن اليهود ـ وشـــاركهم فى هذا الظن آخرون ـ أن ستبقى اسرائيل !!

... ولكن : هل ستبقى اسرائيل ؟؟ .

لم يكن قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ نتيجة مباشرة للحركة الصهيونية فحسب ، وانما هو نتيجة مباشرة لنمو هذه الحركة ، ولارتباطها العضوى بحركة الاستعمار العـــالمى . فالحركة الصهيونية أعلنت رسميا فى مؤتمر بال ســـنة ١٨٩٧ ، وكانت فى ذلك الحين أوهاما أكثر منها واقعا ملموسا ... وبعد ذلك بسنوات كان التطاحن بين قوى الاستعمار العتيدة ، ممثلة فى انجلترا وفرنسا ، وقوى الاستعمار الوليدة ، ممثلة فى ألمانيا قد احتدم بوضوح ، فعقد مؤتمر استعمارى سنة ١٩٠٧ ، الغرض منه وضع سياسة موحدة ازاء أحلام التوسع الالمانى ، ومن أجل المحافظة على الأسلاب الاستعمارية مستقبلا .

ويبدو أن خبراء الاستعمار تنبهوا الى امكان قيام حركات وطنية فى منطقة حضارية عريقة ، تستعيد كل ما سلب من قبل ، وتضيع جهود سنوات عديدة من تاريخ الاستعمار .

... لذلك فقد قرر المؤتمر « ضرورة العمـــل لاقامة حاجز بشرى قوى وغريب عن المنطقة ، لفصل جزئها الافريقى عن جزئها الآسيوى ، فى منطقة البحر المتوسط ، بحيث يكون هذا الحاجز قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة .

... من هنا ، وليس من سنة ١٩١٧ بدأ التحالف بين الاستعمار وبين الصهيونية العالمية .

وقد أشــار **الميثاق** الى هذه الحقيقة بوضوح حين قال :

« ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعـــة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى ، اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة ، وأن يخرج من الأزمة الطاحنـــة ، كما أرادهـــا

المستعمر فاصلا ، يعوق امتداد الأرض العربية ويحجز المشرق عن المغرب » .

وتوالت الأحداث بعد ذلك سريعا . وكان الصهاينة قد استقر عزمهم على أن يتخذوا فلسطين وطنا لهم ، وبدءوا يبحثون عن القوى الاستعمارية التى من الممكن أن تقف بجوارهم ، وتؤيدهم فى مطالبهم المزعومة .

وذهب زعيمهم هرتسل الى المانيا ، وكان قيصرها غليوم يتبع فى ذلك الحين سياسة « الزحف نحو الشرق » ، بعد أن لم ينجح تماما فى سياسته الافريقية . لكن « غليوم » كان صـــديقا للدولة العثمانية التى رفض سلطانها عبد الحميد انشاء مستعمرات لليهود فى فلسطين .

عندئذ ... لم يجد الصهاينة الا بريطانيا صديقة لهم وحليفـــة ، وبدأ زعيمهم الجـــديد وايزمان اتصالاته بالساسة الانجليز ، وبخاصة اللورد بلفور الذى أصبح وزيرا للخارجية ، حيث حظى منه بالتأييد . وقد ساعد على هـــذا ان كتشنر كان من رأيه أن فلسطين موقع استراتيجى هام للدفاع عن قناة السويس .

كتب وايزمان فى سنة ١٩١٤ يقــول « من الممكن ان نقول : أنه اذا وقعت فلسطين فى دائرة النفوذ البريطانى، فانه من الممكن أن نوجد فى تلك البلاد خلال الثلاثين عاما القادمة مليون يهودى أو أكثر ، يشكلون حرسا فعالا لقناة السويس » .

وصدر وعد بلفور فى ٢ من نوفمبر سنة ١٩١٧ .

.. ولم يكن صدور هذا الوعد نتيجة للتحالف بين الصهيونية والاستعمار القديم فحسب ، وانما كان أيضا نتيجة للتحالف مع الاستعمار الجديد الممثل فى الولايات المتحدة ، ولم يكن هـذا الوعد ليصدر ، لولا الموافقة الصريحة من الرئيس الامريكى ويلسون عليه .

وانتهت الحرب ... وعقد مؤتمر للصلح فى فرساى وجاءت وفود البلاد الصغيرة الى باريس ، تطلب تحقيق الأمانى القومية التى سبق أن صرح بها الرئيس الأمريكى فى نقاطه الأربعة عشرة المشهورة !! .. لكن هذه الشعوب اصيبت بخيبة أمل شـديدة فى الوعود الأمريكية البراقة ، وانهارت أحلامها أمام التواطؤ الاستعمارى للدول الكبرى ، التى كانت تشكل القوة المسيطرة على المؤتمر وعلى عصبة الامم فيما بعد .

ولكن ماذا كان وايزمان يفعل فى ذلك الحين ؟؟ .

تشكل وفد صـــهيونى برياسته ، ذهب الى باريس ، ونال موافقة الدول الكبرى – وبخاصة بريطانيا – على تنفيذ ما جاء فى وعد بلفور . ونص صك الانتداب على الآتى :

« تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية ، تضمن انشاء الوطن القومى اليهودى ... »

اذن . فقد تمت المؤامرة ... وبدأ طوفان من الهجرة اليهودية — تحرسه الحراب الانجليزية — يأتى الى فلسطين ، وبقى بعد ذلك أن تمارس الدولتان الكبيرتان أنواع الضغط ، من أجل ابراز اسرائيل الى حيز الوجود ، ثم المحافظة عليها بعد قيامها . وقد تجلى هذا بوضوح فى تدعيم الوكالة اليهودية ، وجعلها **« دولة داخل الدولة »** ، ثم ممارسة هذه الوكالة أسلوب العنف والارهاب مع الآمنين العرب .

اسرائيل طفل الامبريالية العالمية

ثم عملت الدول الكبرى على كسب العطف على اليهود ، وانتهزت ما جرى لهن على أيدى النازيين ، لتحقيق هذه الغاية ... وكانت المهزلة التى وقعت فى أروقة الأمم المتحدة ، حين أجهضت الامبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة هذه الأصوات التى ارتفعت تؤيد حق الحرب الشرعى فى فلسطين .

من كل هذا ... ومن غيره . يتضح أن اسرائيل كانت وليدة مرحلة من مراحل الاستعمار فى العالم ، عندما كانت الدول الكبرى تهدف الى اقامة فاصل بين بلدان الشرق الأوسط ، يمنع الحركات التحررية فيها ، ويكون **« رأس جسر »** على طريق المصالح الامبريالية فى المنطقة .

واذا كان الاستعمار بدرجاته المختلفة هو أعلى مراحل الرأسمالية ، فان اسرائيل تفقد المبرر الاساسى لوجودها ، باحتضار الوضع الاستعمارى فى المنطقة العربية وفى العالم جميعه ، وهو أمر واضح تماما ، فى ضوء الظروف الدولية التى توالت سريعا بعد الحرب العالمية الثانية .

نضيف الى هذا ، أنه اذا كان قد وجد حلف منظور بين اسرائيل وبين قوى الاستعمار فى الغرب لفترة ، فان هذا لا يعنى بالضرورة بقاء هذا الحلف فترة أخرى على نفس المستوى السابق ، بسبب التناقضات الناشئة بين قوى الاستعمار ، وبسبب الاحوال الدولية المتغيرة التى تجعل أصدقاء اليوم أعداء على المدى القريب او البعيد .

ولدينا أمثلة عديدة على تغير العلاقات الدولية لصالح القضايا العربية ، وأبرز مثال على هذا هو اعتراف الاتحاد السوفييتى بشرعية الحق العربى فى فلسطين ، ومساندته العميقة لنضال الشعب المصرى فى سنة ١٩٥٦ .

ويسوقنا الحديث هنا الى شرح موقف **شعوب العالم الثالث** ، والدول الآخذة فى طريق النمو ، وهى أساسا دول حديثة العهد بالتخلص من الاستعمار سياسيا ، أو سياسيا واقتصاديا معا . وجانب من هذه الدول اتخذ الاشتراكية نظاما أساسيا له ، وجانب آخر ذو واجهات رأسمالية ، لكن قطاعات عديدة من الشعب تناضل من أجل تحقيق **الثورة الاشتراكية** .

المهم هنا ملاحظة **موجة الكراهية لدى هذه الشعوب تجاه اسرائيل** بسبب التدخل الواضح لها فى الحركات المضادة ، ومساندتها للوجود الاستعمارى فى أفريقيا ، وفى التروستات والكارتيلات الامبريالية . ولا شك أن شعوب هذه القارة ، وشعوب العالم الثالث كلها لن تنسى لاسرائيل هذا الدور .

وقد حاولت اسرائيل مداراة موقفها هذا بانشاء **«المعهد الافريقى الأسيوى للدراسات العمالية والتعاونية»** . بتل ابيب فى سنة ١٩٦٠ ، يأتى اليه أبناء آسيا وافريقيا ... لكن حقيقة هذا المعهد لم تلبث أن اتضحت ، فهو تابع للهستدروث Histadruth **(اتحاد العمال اليهودى)** يعمل من خلال مخطط سياسى معين ، يهدف الى كسب صداقة شعوب آسيا وافريقيا .

ولم تقف المواجهة الاسيوية الافريقية لاسرائيل ، عند حد النظر فحسب ، وانما تطورت الى التنديد باعمالها العدوانية فى الأمم المتحدة ، وفى المؤتمرات الأسيوية الافريقية ومؤتمرات عدم الانحياز ... ثم أخيرا المقاطعة الاقتصادية ، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها .

اداة استعمارية واداة عنصرية

على ان موقف شعوب العالم من اسرائيل ليس « فقط » لانها اداة **استعمارية** ، وانما لانها اداة **عنصرية ايضا** . وليست العنصرية شيئا جديدا فى طبيعة اليهود ، لانه موجود فى كتبهم المتوارثة ، فقد ورد بالتلمود .

« نحن شعب الله فى الأرض ، يسخر لنا الحيوان الانسانى ، وهو كل الأمم والأجناس ، سخرهم لنا لانه يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان ، نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير ، ونوع كسائر الامم من أهل الشرق والغرب . ان اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر ابيه ، ومن يصفع اليهودى كمن صفع الله ، يباح لاسرائيل مال أيا كان ، وان املاك غير اليهود كالمال المتروك يحق لليهودى أن يمتلكه » .

وفي **بروتوكولات حكماء صهيون** جاء ما يلي :

« وعندما نصل الى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقائد غير عقيدتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا جميعا أن نكتسح جميع أديان والعقائد الأخرى جميعا . واذا كان هذا يؤدى الى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق ، فهذا مالا يتعارض مع وجهة نظرنا ، ويعتبر فى ذاته مرحلة تطور وانتقال » .

ولم نذهب بعيدا !! فقد ورد لديهم : ليمت جميع الناس ، ويحيا اسرائيل وحده .

القضية هنا ليست قضية عرب ويهود فحسب ، وانما هى قضية العالم كله ... مثل هذه الأيديولوجية العنصرية الكريهة لا تستحق أن تعيش ، ولا يمكن أن تعيش ... **انها بقايا متحجرة ، تسجل أشكالا قديمة للحياة ، وجدت فى الأزمنة البعيدة على حد تعبير توينبى .**

هذا الموقف الذى اتخذه اليهود فى كتبهم ، طبقوه فى معاملاتهم مع غيرهم من الأمميين ، ليس فقط فى دير ياسين ، وانما بدءوه مع الرومان ، فدمروا هيكلهم وشتتوهم سنة ٧٠ م ، وبدءوه مع المسيحيين ، بتآمرهم على السيد المسيح ، وبدءوه مع المسلمين ابان غزوة الأحزاب ... وكان آخر دور لهم لعبوه فى السموع سنة ١٩٦٧ ، وهم يشرعون الآن فى استكمال هذا الدور .

ان قيام اسرائيل يتنافى مع المفاهيم السياسية الحديثة ، لأن هذه المفاهيم قد استقرت منذ القرن التاسع عشر على نظرية القومية العلمانية ، بل ان هناك اتجاها واضحا فى الغرب نحو العالمية ... اذن فالأيديولوجية التى قامت على أساسها اسرائيل متخلفة عن القرن التاسع عشر فضلا « عن » القرن العشرين .

ونفس الصهيونية كدعوة عنصرية عدوانية تصطدم مع الدعوات القومية الأخرى ، ومع السيادة الوطنية للدول ، **فاسرائيل تعتبر اليهود المقيمين خارجها من مواطنيها ، وتحاول أن تجعل الولاء الأول لهم يتجه اليها** . وقد حدث الاصطدام فى هذه النقطة بالذات لا بين اسرائيل ودول العالم الأخرى فحسب ولكن بين اليهود أنفسهم أيضا ... ذلك ما حدث منذ سنوات بين ابن جوريون وناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

الأوضاع العالمية اذن تلعب دورا كبيرا فى ازالة المبرر الأساسى **الذى** قامت عليه دولة اسرائيل .

أن ثورات التحرر فى العالم كله ، وتقدم الزحف الاشتراكى على حساب القلاع المنهارة للرأسمالية والاستعمار ، قد جعل المد ينحسر لحساب القضية العربية .

التمزق الحضارى داخل اسرائيل

ان كثيرا من مفكرى الغرب الذين سبق أن أعلنوا تأييدهم لاسرائيل ثم يلبثوا أن تحولوا عن موقفهم أو أنهم بدءوا يعيدون النظر فى هذا الموقف .

والاعتبارات الأخرى داخل اسرائيل لها دورها أيضا فى حسم الموقف بشكل يجعل المجتمع الاسرائيلى يتمزق من الداخل .

هذا التمزق يتضح اذا عرفنا أنه بعد تدفق سبعمائة ألف يهودى على اسرائيل خلال السنوات الأربع التى تلت النكبة ، نجد أنه ابتداء من سنة ١٩٥٢ خفت حدة هذه الهجرة ، حتى لم يزد عدد المهاجرين الى اسرائيل ـ برغم الاغراء والتحديد ـ على عشرين ألفا سنويا ، بل بدأ تيار هجرة مغاير الى الأوطان الأصلية ، أو العالم الجديد .

وقد ارتاعت اسرائيل لهذه الظاهرة ، **وحاولت جذب أكبر عدد من المهاجرين اليها ، ليكون هذا مدعاة لاستقرارها ، لكنها لم تنجح بسبب استقرار النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى وشرق أوربا ، وهى المنطقة التى تمثل أكبر تجمع يهودى فى العالم** ، وانتعاش أحوال اليهود الاقتصادية فى الغرب ، وبخاصة فى الولايات المتحدة . وقد زاد من خطورة هذه المسألة على أمن اسرائيل فشل أولى محاولات التوسع فى سنة ١٩٥٦ ، ولم يعد لليهود أمل فى أن يضموا الى بلادهم الضيقة الأراضى التى تاه فيها قوم موسى فى الزمن القديم .

وقد ترتب على ذلك أن الزيادة فى تعداد اسرائيل تأتى أساسا ، وبالدرجة الأولى من الزيادة الطبيعية التى يتدخل فيها عامل هام ، وهو الانجاب غير الشرعى كنتيجة مباشرة للانحلال الخلقى الذى يعيشه المجتمع الاسرائيلى .

وترتبط مشكلة الهجرة الى اسرائيل ، والهجرة من اسرائيل ، بمشكلة أخرى ، وهى **مشكلة الزراعة** ، وكلا العنصرين ـ الهجرة والزراعة ـ يشكلان بعدين هامين فى الاستقرار داخل اسرائيل . **فان تكوين العقلية اليهودية منذ العصور الوسطى يمنع اليهودى من الزراعة ،** حيث أن قطاع المال والتجارة هو القطاع الوحيد الذى برع فيه

اليهود ، والذى عن طريقه أرادوا تأكيد ذاتهم وثراء القيم والأخلاق ، والذى عن طريقه أيضا اكتسبوا عداء الشعوب التى عاشوا بينها .

وتتضح الصورة لدينا حين نعرف أن الفئة الوحيدة من اليهود التى تمارس الزراعة – يهود بولندا – وهؤلاء لم تجىء منهم هجرة كبيرة ، الا فى عهد النازية ... وقد هبطت نسبة هجرتهم الى حد بعد التحول الاشتراكى الذى حدث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية :

بل أن مؤرخا يهوديا يقول : **« انه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد فى روسيا ولا فى أمريكا » .**

وقد بدا اتجاه اليهود نحو التجارة ، ونحو عدم ممارسة عمليات الانتاج الأساسية – الزراعة والصناعة – قبل أن يأتوا الى مصر ، ولم يحدث برغم أن اقامتهم بها زادت على القرنين ، لم يحدث أنهم مارسوا الزراعة ، ولم يحدثوا تأثيرا كبيرا فيها حين غادروها ، هذا مع الاشارة الى أن البيئة المصرية بطبيعتها قد امتصت الأقوام الأخرى التى وفدت اليها قبل اليهود وبعد اليهود .

ثم حدث الشتات سنة ٧٠ م ، وعاش اليهود فى مجتمع العصور الوسطى تجارا ، وكانت كلمة يهودى Judaeus تعنى فى تلك العصور أوترادف كلمة تاجر Mercator وعندما كتب شكسبير مسرحيته الشعرية « تاجر البندقية » جعل هذا التاجر هو شيلوك اليهودى .

فى تلك العصور عاش اليهودى فى أحياء (أو حارات) Ghetto خاصة بهم ، لا يهتمون بأحوال الناس ، ولا بأحوال الدولة الا فيما يتصل بقضاء مصالحهم الذاتية . **ففكرة المواطنة لم تكن واضحة لديهم ، أو قل انها لم تكن موجودة عندهم** ، ولا أظن أن الوضع تغير الآن . وهم لم يهتموا بالاستقرار ، ساعد على هذا موقفهم من الأمميين « الجوييم » ، وهم كل الناس من غير اليهود . وقفوا منهم موقف التعالى والكبرياء مضافا اليه موقف الاستغلال وتجارة الربا ، مما أدى الى ردود فعل عنيفة من الآخرين ، كان آخرها ما قامت به النازية فى الثلاثينيات .

لكل هذا فان المحاولات المستمرة من اسرائيل ، من أجل جلب اليهود اليها لم تنجح كما كانت تتصور . كما أن محاولاتها من أجل خلق الفلاح اليهودى لم تنجح أيضا . واذا كانت قد حاولت هذا فى المزارع الجماعية Kibbuts فانها أضافت الى مسئوليات هذا الفلاح مسئولية أساسية ترضى نزعة العدوان عنده ، وهى المسئولية العسكرية .

على أن الزراعة التى تمارس الآن فى اسرائيل ليست هى الزراعة التى تكفى اعاشة دولة .

ووجه آخر لتأصل الطبيعة التجارية والمالية عند اليهودى ، **فهو لا يستطيع أن يعيش داخل مجتمع من اليهود ، لأن نزعة الاستغلال عنده لا تجد تفريغا لها الا وسط مجتمع من غير اليهود .** لذا فان اسرائيل كانت – ولا تزال – تطمع فى أن تكون حارة (جيتو) داخل مجتمع من العرب (الدول العربية) ، تعيش على استغلال هذا المجتمع !! ... وهو أمر لم يتحقق ، ولا أظن أنه سوف يتحقق .

لكل هذا فان الأوضاع الاقتصادية العامة فى اسرائيل تجعلها تعتمد بصفة أساسية على المعونات الأجنبية التى تأتيها من الخارج ، وقد بلغت هذه المعونات خلال الفترة من ١٩٤٩ حتى ١٩٦٢ أكثر من خمسة آلاف مليون دولار . وكانت تأتى من ثلاثة مصادر أساسية هى ، المعونات الأمريكية ، وأموال الصهيونية العالمية ، والتعويضات الألمانية ... ومن هنا يبدو الترابط الواضح بين اسرائيل وبين الامبريالية العالمية .

واذا كان قد وجد فيض هائل من المعونات ، تأتى الى اسرائيل فى بداية عهدها ، فانه لم يلبث أن بدأ يغيض فى السنوات الأخيرة ، نتيجة لانتهاء التعويضات الألمانية ، وتحولها الى معونات وقروض تقل فى المستوى العام عما كان يأتى الى اسرائيل من قبل . كما أن ممولى الضرائب فى أوربا وأمريكا لن يستطيعوا أن يساهموا فى بقاء اسرائيل الى الأبد .

وقد تنبهت اسرائيل الى هذه الحقيقة ، وشرعت منذ سنوات فى برنامج يعرف « **بالسياسة الاقتصادية الجديدة** » أعلن فى ٩ من فبراير سنة ١٩٦٢ . وقد كانت هذه السياسة تهدف الى التصدير ، وخفض قيمة الجنيه الاسرائيلى ، والسيطرة على التضخم النقدى واطراد ارتفاع الأسعار ، وخفض الاستهلاك . وقد حدث نوع من الانتعاش سنة ١٩٦٤ ، لكنه كان انتعاشا وقتيا ، لم يلبث أن ذاب وسط الأزمة الاقتصادية الطاحنة . **وتعانى اسرائيل الآن البطالة ، والعجز فى ميزان المدفوعات ، وارتفاع نسبة القروض ، فضلا « عن » فشلها فى تحقيق خطة التنمية .**

وقد كان فى بداية العهد لقيام هذه الدولة المزعومة بعض الاستقرار فى الاقتصاد الاسرائيلى ، لكنه كان يرجع أساسا الى فيضان المعونات الأجنبية الهائل ، الى جانب أملاك العرب الذين غادروا أرضهم ابان الحرب ، وتقدر هذه الأملاك الآن ببلايين الدولارات .

الموقف الموجه فى مواجهة اسرائيل

هذا هو الموقف داخل اسرائيل ... ولكن اين هو الموقف الغربى ؟ .

الحقيقة أن **العامل الهام والحاسم فى تحديد أبعاد المستقبل هو موقف الجبهة العربية الصلب من القضية الفلسطينية فى دورها الجديد ... وهو أمر واضح تماما لنا جميعا .. فالجبهة العربية بزعامة الرئيس جمال**

عبد الناصر سنة ١٩٦٧ غير الجبهة العربية سنة ١٩٤٨ . والقيادة العربية التى كانت فى الماضى مفككة تحكمها مصالح برجوازية ـ اقطاعية بالدرجة الأولى ، أصبحت الآن أكثر تماسكا ، تزداد قوة يوما بعد يوم ، وخاصة بعد تعاظم هذه القوة فى الجمهورية العربية المتحدة ، ونجاح القوى التقدمية العربية فى أن تكسب كل يوم موقعا جديدا ، وابراز الكيان الفلسطينى ممثلا فى جبهة التحرير الفلسطينية ، كطليعة مناضلة ، تقود الشعب الفلسطينى على طريق العودة ... كل هذا فى وقت بدأ الموقف الدولى ينحسر لصالح القضايا العربية .

نضيف الى هذا أن القومية العربية أضحت عقيدة أساسية للشعب العربى ، زاد من قوة هذه العقيدة ووضوحها ، ترابطها بقضايا الحرية والاشتراكية فى الأقطار التقدمية العربية ، وفى الأقطار العربية الأخرى التى أصبحت قياداتها الرجعية بقايا متخفية ستزول لصلحة قضية العرب الأولى .

ومعنى هذا كله أن الجناح الأسيوى سوف يعبر الجسر الأرضى فى النقب وما تلاه شمالا ، ليلتقى بالجناح الافريقى فى قلب الوطن العربى ... فى القاهرة .

ان قيام اسرائيل يمثل فى حد ذاته تحديا حضاريا وتاريخيا ، لمنطقة ذات حضارة اسلامية متميزة ، وذات تاريخ طويل ، وسيطرد الجسم العربى هذا الجسم الغريب الذى فرضه الاستعمار عليه فى ظروف غير صحية .

ان أمام اسرائيل مصيرا سجله القرآن قبل قرون « عديدة » من قيامها .

« واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم ، وقطعناهم فى الارض أمما ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » .

الأعراف

« وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

البقرة

لن يمنع اسرائيل من مصيرها تصريح ثلاثى أو غيره .. ان التصريح الثلاثى لم تعد له قيمة الآن ... أولا : لأنه تصريح من جانب واحد ، شأنه فى هذا تصريح بلفور وتصريح ٢٨ من فبراير . ثانيا : لأنه فرض وصياية من قبل دول معينة ازاء دول أخرى . ثالثا : وهو الأهم أن نفس هذه الدول التى تعهدت فى سنة ١٩٥٠ بصيانة الحدود فى الشرق الأوسط المحافظة عليها ، حاولت اثنتان منها تغيير هذه الحدود فى سنة ١٩٥٦ ، ولم تثبت بعد براءة الطرف الثالث من هذه المحاولة .

يقولون انه قد مضى نحو عشرين عاما ، ولا تزال اسرائيل باقية ... ونحن نقول لهم ، لقد بقى الصليبيون أكثر مما بقى اليهود .. وذهب الصليبيون وبقى العرب ... وستذهب اسرائيل ... **وتبقى فلسطين .**

عبادة كحيلة

من رسالة الى جونسون

لم لا نقاتل ..
فلنقاتل ..

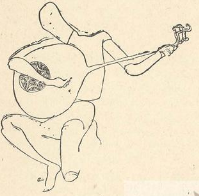
للدفاع عن الحياة الفاضلة ..
هئ ضربة لا غير .. واحدة .. وليست غير ضربة
هى ضربة لا غير نضربها معا لنثير رعبة ..
فلتحرصوا لتكون ضربتنا الوحيدة قاتلة ..
هى ضربة ستصيب قلبه
تستجمع الضربات فيها كل طاقات القصاص
وكل أحلام الخلاص
واذا السواعد كلها قد جمعت فى ساعد
واذا السيوف وقد غدت فى حد سيف واحد
فلتضربوا الغول المخيف
اضرب .. فما هى غير ضربة

(عبد الرحمن الشرقاوى)

الفن ..



فن المعركة



عبد الفتاح البارودى

بصراحة .. يجب أن نعيد تشكيل حياتنا الفنية كلها من جديد على ضوء الدروس التى استفدناها من المعركة ... **معركة** ؟! نعم ... أن هذه المعركة أثبتت لنا أن فنوننا كلها لا تزال على هامش حياتنا ، على الرغم من كثرة ماردده حول ارتباط الفن بالحياة ، وبالمجتمع ، وبالجماهير ، وبالملايين ... الخ ... بل اننا قبل هذه المعركة بالذات لم نكد نهدأ من كثرة ما تردد من عبارات وشعارات عن **« الفن فى المعركة »** ، و **« دور الفن فى المعركة »** .. الخ .. ثم ماذا ؟!

لا أحد ينكر اطلاقا أن الفنانين جميعا وطنيون ومخلصون ، وهم بلا أى جدال يرغبون رغبة أكيدة فى تقديم انتاج فنى يساهم فى معركة حياتنا ، ولكن الرغبة شىء والتنفيذ شىء آخر ، فان انتاجهم يؤكد ــ بلا جدال أيضا ــ أن الفن عندنا لم يرتفع بعد الى مستوى **« المسئولية الفنية »** .

اننا نستطيع أن نحدد الوضع الفنى لو حاولنا أن نسأل أنفسنا : **هل أدت الفنون عندنا رسالتها كأداة فى مجتمع تغير منذ ١٥ سنة ؟! ثم ما هو مفهومنا لهذه الرسالة ؟! ثم الى أى حد تأثرت بالتغيرات التى حدثت فى مجتمعنا ؟** أمامنا عشرات من مثل هذه الأسئلة ، وكلها أسئلة بسيطة جدا ، وتكاد تكون تقليدية وروتينية ، ولكن ماذا يضيرنا من بساطتها أو روتينيتها ؟! ان كل ما نريده هو أن تكون الفنون أدوات حقيقية فى التغيير والتطوير وخلق الحياة الجديدة ... **ان من أهم ما يمكن أن نستفيده من دروس المعركة هو أن نتعلم كيف نضع الفن فى وظيفته الحقيقية ، بالفهم الحقيقى لطبيعة الفن ووسائله وأدواته وقدرته على الفاعلية نتيجة لهذا الفهم .**

ولا شك فى أننا شعرنا بالحاجة الى ذلك ــ أى الى هذا الفهم منذ أن استيقظنا فى **ثورة ٢٣ يوليو** ، وفعلا أحرزنا مكاسب كثيرة ، مثل الاتجاه بالفنون نحو التخطيط ، ونحو الدراسة ، ونحو المنهج ... فمثلا فى بداية كل موسم نسمع عن تخطيطات توضع للانتاج المسرحى ، وعن خطط لمشروعات الأفلام السينمائية ... وهكذا ... ومن الناحية العلمية أنشئت فعلا معاهد للسينما والباليه والكونسرفاتوار ... ومن الناحية المنهجية بدأنا نسمع عن مشروعات محددة داخل مناهج معينة ، فمثلا بدأنا نسمع

مناقشات حول المفاضلة بين الكم والكيف في الانتاج المسرحي والسينمائي ... الخ ... هذه كلها مكاسب في ذاتها .. مكاسب لها وزن فني، ويمكن أن تزداد وزنا كلما استمرت التجارب واستفادت من الاحتكاك بالتطبيقات العملية، ومع ذلك كله فاننا نلمس اننا لا نزال نستكشف الطريق ونتلمس الوسائل ونعاني متاعب الحيرة بين نظريات فنية لا حصر لها من أجل بلورة تجاربنا في نظريات خاصة بها، ومن أجل الاهتداء الى هذه النظريات ذاتها .

والحقيقة بل الحقائق المستخلصة من نتائج تجاربنا الفنية ان فنوننا تواجه مشكلات كثيرة وجوهرية ومختلفة الجوانب، ليس فقط للبحث عن نظريات لانتاج فنانينا، أو محاولة بلورة انتاجهم في نطاق نظري، بل ايضا لمجرد تقييم هذا الانتاج على أساس افتراض انه يختلف عن الانتاج الفني في المجتمع الماضي، مجتمع ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ .

سنجد أنه حدث فعلا تغيير في الانتاج الفني، ولكنه لا يتكافأ مع التغيير الذي حدث في مجتمعنا ... بل سنجد أن التفكير الفني نفسه في حاجة شديدة الى أن يتغير تغيرا يهز رواسبه ومكوناته ليمكن أن يتغير الانتاج من المرحلة الارتجالية ... وطبعا ليس من السهل ولا من الممكن أن يتغير بسرعة الى المرحلة العلمية بالمعنى الاكاديمي مثلا، وانما يكفي أن يتغير الى المرحلة التي يشعر فيها الفنانون بمسئوليتهم عن انتاجهم وبديهي أن مثل هذا التغيير سيؤدي الى المرحلة العلمية، أي المرحلة التي يرتفع فيها الفن الى مستوى القدرة على التغيير والتطوير بما يتكافأ مع احتياجات المجتمع الجديد للانتاج الفني كقوة من أفعل قوى تغييره وتطويره .



كيف نصل بانتاجنا الفني الى هذا المستوى؟!

هذه هي مشكلتنا التي نواجهها منذ ١٥ سنة، وللآن لم نحلها، بل لم نواجهها بالبحث الجاد المفيد كما ينبغي ... ان مسرحياتنا وأفلامنا وأعمالنا الموسيقية والتشكيلية وأعمالنا الفنية كلها تكون « **تشكيلة** » عجيبة من حيث القيمة الفنية والوضع الفني ... انني لا أتحدث الآن عن التفاوت العجيب بين مستوياتها، وانما الأعجب أن تكون للآن غير واضحة الاتجاهات الفنية، بحيث حتى لو حاولنا تقييمها تقييما سريعا لكان من المتعذر قطعا أن نعثر فيها على ملامح محددة، أو على تكنيك معين، وطبعا من المستحيل في هذه الحالة الاستدلال على « **مدارس فنية** »، بينما كان المفروض في مجتمعنا الجديد القائم على التغييرات العلمية، أن نصل بفنوننا الى ظهور اتجاهات فنية لها طابع وعمق وخصائص، أي ممهدة لظهور المدارس الفنية .

وليست مشكلتنا هي مشكلة عدم ظهور مدارس فنية، وانما المشكلة تبدو من أن هذه المدارس هي دلالات على نضوج التفكير الفني الى درجة معينة .

فمثلا في **السينما العالمية** نجد مدارس في التكنيك ومدارس في التفكير الموضوعي، وفي **المسرح العالمي** نجد مدارس أدبية ضخمة وعميقة ومتجددة، وفي **الموسيقى** وفي **الفنون التشكيلية** وفي مختلف أنواع الانتاج الفني، بحيث لو حللت الأعمال الفنية نفسها لوجدت أنها هي نفسها التطبيق العملي لتفكير الفنانين المتكون من « **العلم** » و « **التجربة** »، ومن ادراكهم لضرورة ممارستهم لتجاربهم من خلال العام، وهذا الادراك لهذه الضرورة هو التفسير المبسط لمعنى المسئولية الفنية .

قارن هذا بانتاجنا الفني ... أو خذ من انتاجنا الفني أمثلة للتدليل على تفكيرنا الفني ..

في الانتاج المسرحي — والمسرح هو قمة التفكير الأدبي — تلاحظ ضآلة معرفة قواعد الفن المسرحي وبذلك يتعذر انتاج مسرحيات ذات قيمة علمية، ومع هذا تجد أن بعض المسرحيين يخفون ضآلة المعرفة بادعاء اكتشاف



أشكال جديدة للمسرح ، رغم استحالة اكتشاف شكل جديد لشىء مجهول لديهم ... ولنفس السبب تتضاءل القيمة الموضوعية لمسرحياتهم ، لأن المسرح بالمعنى العلمى – مثل أى فن آخر – تتصاهر فيه القيم الموضوعية والعلمية والجمالية ... الخ .

لا تنتظر بعد هذا أن مثل هذا الانتاج المسرحى يتناول حياتنا ومشكلاتنا ، أو يعطى أى رؤية فنية ، أو يعتبر ممارسة لتجربة فنية فى مجتمعنا الجديد الشديد الحاجة الى التناول الفنى لمشكلاته بالفن ، أى باللغة الفنية .

وكذلك فى السينما ... اننا وان كنا تخلصنا من سيطرة واستغلال « **المنتجين والموزعين** » الذين كانوا يمارسون السينما لمكاسبهم الشخصية كتجار واحتكاريين فقط ، الا أن المستوى الموضوعى والتكنيكى لأفلامنا لا يزيد قيمة أو فنا عن مستوى مسرحياتنا .

ان من الممكن أن تتصور أن معظم مسرحياتنا وأفلامنا منتجة فى بيئة أخرى غريبة عن بيئتنا ، أو هى أكثر اقترابا من البيئة التى نشأت فيها أفلامنا ومسرحياتنا فى المجتمع الماضى ... ولا داعى لتحديد أسماء الأفلام والمسرحيات ، ويكفى أن تجد فيها نفس الشخصيات من حيث مدى ارتباطها ببعضها وعلاقاتها بالكائنات من حولها ، ويكفى أنك لا تكاد تلمس فيها ما حدث فى مجتمعنا من تغييرات ، وما حدث فى تفكيرنا من تطورات جوهرية نتيجة لتطور وتغيير أحداث حياتنا .

هذا التجمد الفكرى ، أو هذا التلكؤ تلمسه أيضا فى انتاجنا الموسيقى ... اننا برغم الاهتمام الظاهرى بفنون الموسيقى فاننا للآن لم نكد نقترب من الانتاج الموسيقى البحت ، أى من الفنون الموسيقية الحقيقية ، **وهى الفنون التى تعتمد على اللغة الموسيقية مثل الانتاج السيمفونى** ، بينما نفضل الانتاج الغنائى أى الموسيقى المصحوبة بالزجل أو الشعر ، وحتى هذا الانتاج لا نقيسه بالأقيسة الموسيقية ، بل نعتمد أساسا على الأقيسة اللفظية مثلا ... فنحن نفهم الأغنية على أنها تأليف أدبى أكثر مما نفهمها على أنها تأليف موسيقى ... ثم اننا فى هذا الانتاج المحدود موسيقيا نمارسه على أساس أنه محدود فنيا أيضا ، فلا نكاد نتجاوز فن « **الأغنية الفردية** » ... ان هذا من أبرز البراهين على أن تفكيرنا الفنى غير متكافىء مع حياتنا ومجتمعنا ، وذلك لأن الأغنية الفردية عمل مرتبط بالمجتمعات المتلخفة ، بينما المجتمعات المتقدمة تتجاوز هذا النطاق الى نطاق الأعمال الفنية المركبة ، أى تتجاوز الأغنية الفردية الى الألحان الأوبرالية .

باختصار ... اننا فى انتاجنا الفنى بصفة عامة لا نزال نسير متلكئين فى نفس الأساليب والقوالب البدائية التى لم تعد متناسبة اطلاقا مع التغيرات والتطورات التى حدثت فى مجتمعنا منذ ١٥ سنة ، **أى منذ أن استيقظنا بثورة ٢٣ يوليو** .

وخذ أمثلة أخرى من انتاجنا خلال معركتين هامتين جدا فى حياتنا الجديدة .. **معركة ١٩٥٦** و **معركة ١٩٦٧** ، وذلك لأن المفروض أن الفنون تجارب تصهرها المعارك ... وحتى اذا سلمنا بأن الانتاج الفنى المرتبط بالمعارك لا تؤخذ أمثلته الا بعد مرور فترة كافية لنضوج التجارب الفنية

فان أمثلة الانتاج الفنى فى معركة ١٩٥٦ تعطينا الدلالات التى نريدها لاضاءة تقييم هـذا الانتاج .

فمثلا بالنسبة للمسرح ... باستثناء بعض الأعمال القليلة جـدا لم يظهر للآن اتجاه فنى أو تيار فنى يمكن أن يقال انه تولد من معركة ١٩٥٦ **وأما فى معركة ١٩٦٧ فان اللافتات التى ظهرت على واجهات مبانى المسارح كانت التعبير الوحيد لهذه المسارح عن المعركة .**

ظهرت قصة واحدة عبرت عن فتاة اكتشفت ذاتها من خلال معركة ٥٦ ، ومع أن هذا تصوير تقليدى فى مثل هذه الحالات الا ان من الممكن اعتبار هذه القصة دلالة على النشاط القصصى، وهو غالبا نشاط يكاد يكون تلقائيا ، لأن الفن القصصى لم يوصل فى بيئتنا تأصيلا علميا ، ولكن فى المجال المسرحى لم يظهر نشـاط ملحوظ متصل بهذا الموضوع فيما عدا مسرحيـة أو مسرحيتين ليس لهما أثر كبير فى الفن المسرحى .

وفى السينما كذلك ... ظهرت أفلام تستوحى معركة ٥٦ ولكن من ناحية التكنيك أو القيمة الموضوعية ليس لها أثر كبير فى الفن السينمائى .

فى الموسيقى ظهرت أغان فردية وجماعية فى معركة ٥٦ ، وتعتبر هـذه الأغانى نقلة هامة فى حياتنا الفنيـة لمجرد طول اعتيادنا على استخدام الأغانى للتطريب ... ولكن لو نظرنا الى القيمة الفنية فاننا لا نجد فيهـا ما يضيف الى مقاييسنا الفنية أو الى أسلوبنا أو تجاربنا ، بل بالعكس انها مثل سائر أغانينا الفردية ، وكلها تصلح كايقاعات راقصة مثلا ، وانما اكتسبت تميزها عن بقية الأغانى بسبب جدية الظروف التى ولدت فيها .

فى الألحان الغنائية التى ظهرت فى معركة ١٩٦٧ لم نجد شيئا ملحوظا ، بل ربمـا ــ لو جازت المفاضلة ــ تعتبر أضعف فنيا من ألحان معركة ١٩٥٦ .

وعلى العموم ليس أدل على مستوى ألحاننا الحماسية من أنها ــ أولا ــ لم تصل الى مرحلة **« فن الأناشيد »** ، وثانيـا لا نزال للآن نفضل فى هذا المجال ألحانا ظهرت منذ أكثر من ٤٠ أو ٤٥ سنة ، ومنها ــ بالتحديد ــ لحن **(بلادى بلادى)** لسيد درويش ، ولحن **(اسلمى يا مصر)** لصفر على .

باختصار شديد أننا للآن لم ينضج تفكيرنا الفنى بحيث يستنقذ انتاجنا الفنى من الهزال المصاب به منذ زمن طويل ... هذه مشـكلة لا تحتاج الى مزيد من الايضاح ، وانما تحتاج الى رؤية شاملة لكى نعرف حقيقـة مسبباتها وكيفية معالجتها .

اننا من اجل ذلك قد نفكر فى تصور نماذج وامثلة من الفنون العالمية لتساعدنا فى النظـرة المقارنة ... اننا لا نقارن للمفاضلة أو للمحاكاة ، وانما لنحاول أن نلمس بالتطبيق أثر العلم فى وجود مابين النوعين من تفاوت شـاسع ... **وطبعا العلم هنا يشمل التجربة ويشير الى شىء هام جدا ، وهو المسئولية الفنية التى يشعر بها الفنان ويزداد شعوره بها كلما ازداد علما .**

ان ادراك هـذه الفوارق وهذا التفـاوت يستدعى تعميق البحث ووضعه فى مستويات مختلفـة لتسهيل تحليـل مختلف العناصر والعوامل ، ولكن قبل كل شىء ينبغى أن نتناول وجهات هذه المشكلة التى نصورها خلال البحث على أنها « أزمة » ، ونصفها أحيانا بأنها أزمـة ثقة ، أو أزمة كفاية ، والحقيقة ــ كما أراها ــ أن الأزمة الفنية عندنا هى أزمة فكرية ، بمعنى



اننا لو ارتفع مستوى تفكيرنا الفنى فستنتهى تماما هذه الأزمة المشتركة فى جميع فنوننا .

من الاسراف أن نتصور ان فنانينا ضعاف الثقة فى انفسهم ، على اعتبار ان هذا الضعف هو سبب الأزمة الفنية ، فالواقع ان كثيرين من فنانينا يصلون الى مستوى امثالهم فى المجالات العالمية كلما اتيحت لهم فرصة التحصيل العلمى والتجربة فى النطاق العالمى ... وامامنا امثلة كثيرة ، ومن اقربها واوضحها **« الفرقة السيمفونية العسكرية»** التى نافست فرقا عالمية فى (مهرجان بارى) وفازت عليها ست سنوات متتالية ... وصحيح انه ليس لدينا سوى فرقة واحدة هى هذه الفرقة فقط ، ولكن هذا الفوز المؤكد ستمرات يؤكد اننا لو اتحنا فرصة التدريب العلمى لفرقة أو فرق اخرى فسيرتفع مستواها حتما الى المستوى العالمى .

واذن فنحن فى حاجة الى المقارنة الواعية لنصل الى « العوامل » التى ترفع مستوياتنا الفنية فى مختلف الفنون ، وسنجد ان فى مقدمتها (العلم والجهد والممارسة والاخلاص ... الخ.) **وباختصار سنجد أن هذه العوامل يجمعها الاحساس الحقيقى بالمسئولية الفنية .**

ولكن ماذا نفعله عمليا ؟!

طبعا توفير أو تهيئة ادراك المسئولية الفنية وممارستها ممارسة عملية على ضوء الخبرة العالمية والمحلية .

وطبعا هذا يستلزم اعادة بحث مناهج المعاهد بحيث تحقق ذلك ، ثم انشاء اكبر عدد ممكن من هذه المعاهد ، والاستفادة من الاحتكاك العالمى سواء بارسال البعثات او تبادل الزيارات ... الخ .

وطبعا هذا كله كلام اصبح روتينيا من كثرة تكراره ، وانما المهم ان يوضع لذلك تخطيط عام وتخطيط خاص بكل فن على ضوء ظروفه وامكانياته واحتياجاته .

ولكى لا يتحول هذا ايضا الى كلام روتينى متكرر ، يجب أن ننظر الى المشروعات التى وضعت فعلا لكل فن ، فان من اسوا عوائق تقدمنا الفنى اننا ننظر الى كل مشروع نظرة فردية ، بمعنى اننا اذا وضعنا مشروعا ما لفن ما لا نكاد نكترث بالمشروعات التى سبق وضعها لنفس الفن ولنفس الغرض ، بينما من الممكن لو نظرنا الى مختلف المشروعات نظرة موضوعية لكانت رؤيتنا اوضح لنتائج التجربة فى كل فن على حدة ، وفى الفنون جميعا بصفة عامة .

اننا ونحن نضع هذه المشروعات ربما لم نحسب احيانا حساب طبيعة كل فن ، **ولهذا أصيب التقييم الفنى « بالتعميم » .**

فمثلا اختلفنا حول « الكم والكيف » دون التفات للفروق الدقيقة بين الفنون ، ودون اعتبار لضرورة البدء بالكيف فى بعض الفنون والبدء بالكم فى بعضها الآخر ، مع ضرورة الوصول فى كلتا الحالتين الى تعميق الكم والكيف معا فى نهاية المطاف .

كذلك لم نلتفت الى عنصر المسئولية الفنية وضرورة توفيره قبل توفير الانتاج الفنى نفسه.

ايضا - وهذا مهم جدا - لم نلتفت الى وسائل التنفيذ ، بمعنى أن التخطيطات مهما كانت سلامتها ومتانتها قد لا تحقق اغراضها اذا لم توضع ضمانات لسلامة ومتانة التنفيذ .

هذا نراه بوضوح فى انتاجنا المسرحى والسينمائى والموسيقى بصفة خاصة ... فنحن نجد ان مجتمعنا الجديد قام على تغييرات صححت مساوىء كثيرة كان يعانيها مجتمعنا القديم ... فمثلا لم يكن للعمال والفلاحين اعتبار اجتماعى فاصبح لهم اعتبار حقيقى فى مجتمعنا الجديد ... كان المفروض ان ينعكس ذلك فى الفنون الوثيقة الصلة بالتعبير عن تشكيلات الحياة ، وطبعا كان المتوقع ان نجد ذلك فى مسرحياتنا وافلامنا ، ولكن من الغريب جدا - فى المسرح - أن مؤلفينا وان كانوا يجاهرون بتفاعل المسرح مع المجتمع فان مؤلفاتهم تكاد تخلو كلها من الشخصيات الاجتماعية ذات الاعتبار الجديد فى حياتنا الجديدة .

وكذلك افلامنا لا تزال قصصها وسيناريوهاتها تدور حول شخصيات قديمة المفهوم والتكوين واسلوب الحياة والتصرفات .. الخ .

هذا يستلزم دراسة «الأدب» باعمق معانيه وأدقها وأصحها ، لتتأصل فى أذهاننا ووجداننا مواضعات التفكير الأدبى ، ونتيجة لذلك تتجه مسرحياتنا وافلامنا اتجاها سليما طالما أنها وضعت فى المجال السليم ، اى المجال الدرامى .

أيضا هذا يستلزم دراسة « التكنيك » بمختلف مدارسه وتياراته الفنية ... هذه مسألة تبلغ مبلغ الضرورة كلما احسسنا بالحاجة الى الإنتاج الفنى الذى يبرز فيه عنصر « الآلة » ... فمن المستحيل مثلا أن ننتج سينما دون أن ندرس تكنيك الكاميرا مهما كان موضوع الفيلم بالغ العمق والدسومة ... وكذلك فى الناحية الموسيقية ... من المستحيل تنفيذ الأفكار الموسيقية بدون دراية كاملة بحرفية الآلات التى تعزف عليها هذه الأفكار .

شيء هام جدا نحتاج الى دراسته أيضا ... امكانياتنا ... ان من الضرورى مراعاة واقعنا الفنى حينما نضع تخطيطات الدراسة والتنفيذ والتكنيك ... فليس من المعقول ـ مثلا ـ أن نبدأ التخطيط الموسيقى « بالأوبرا » ونحن لا نزال مشدودين الى « التخت » ... من هنا نخطىء كثيرا جدا فى تطوير موسيقانا (بالهارمونى والتوزيع الأوركسترالى ... الخ) بالأسلوب الاعتباطى ... هذه مسألة دقيقة وتحتاج الى شرح واسع ، وانما اكتفى الآن بالاشارة الى أن عمليات الهارمونى والتوزيع هى عمليات لازمة لتطويرنا ، بشرط أن نحاول تكييفها مع طبيعة موسيقانا ... ما معنى ذلك ؟! معناه أن ألحاننا المعتمدة اساسا بطبيعتها على التطريب الميلودى ، تفقد هذا الأساس ـ وهو أساسها ـ اذا فقدت ميلوديتها . والموسيقيون عندنا ـ أو معظمهم ـ يفعلون ذلك ، حينما يقحمون **« التوزيع والهارمونى »** بشكل لا يتلاءم مع الألحان نفسها وانما الأنسب أن تستبقى «الميلودية» فى الألحان الميلودية واذا حاولنا توزيعها أو « هرمنتها » فيكون ذلك بالقدر الذى لا يطغى على طبيعتها .

المهم أن نستخدم أساليب التكنيك العالمى بما يتلاءم مع انتاجنا بامكانياته الخاصة به والمميزة له فى نفس الوقت .

ولهذا أعتقد أن من الضرورى فى تخطيط فنوننا أن تراعى كل الظروف والاحتمالات بحيث نخلق الفن الجديد على أسس علمية ولكن بدون أن نفقد خصائصنا ، **وبذلك نخلق الفن الذى يعبر عن وجداننا ويكون أداة من أدوات النضال فى معارك حياتنا الجديدة .**

وبديهى أننا فى تخطيطاتنا الجديدة يجب أن نهتم بالناحية الدراسية مثل تدعيم **معاهد المسرح والسينما والموسيقى** ، ولكن ليس معنى ذلك أن نترك الانتاج ـ خارج هذه المعاهد ـ للتجربة العملية بدون دراسات ... ولا أقصد فقط ضرورة انشاء معاهد حرة اى تقوم بتدريس الدراسات لكل المشتغلين بالفنون والراغبين فى الاشتغال بها بدون أية اشتراكات ، وانما الى جانب ذلك أقصد ضرورة الاهتمام بدراسة نتائج هذه التجارب ... فمثلا ينبغى انشاء جهاز للمتابعة فى كل مرفق فنى ، بشرط أن تكون متابعة علمية وصريحة الى أقصى حدود الصراحة .

ومن الضرورى فى كل هيئة فنية تنظيم ندوات جادة يشترك فيها المتخصصون مع الجمهور لمناقشة كل عمل فنى مناقشة دقيقة.

لا يكفى أبدا أن ننتج ، وأن نستهدف خدمة المجتمع وخدمة الفن ، وانما من الضرورى لكى تتحقق هذه الخدمة أن نستعين بالنقد الذاتى والنقد الموضوعى لكل انتاجنا الفنى ... لا تكفى النوايا الحسنة ... اننا حينما نراجع أفلامنا ومسرحياتنا سنجد أنها محتشدة بالأخطاء الفنية الجسيمة أحيانا رغم توافر النية الحسنة بين مؤلفيها .

لابد من أن يرتفع الفنانون الى مستوى مسئوليتهم الفنية ليمكن خلق « فن المعركة » لابد من أن نترك الارتجال ونتجه نحو الموضوعية الفنية ، ونتعمق فى دراسة قواعد الفن ، وفى دراسة وممارسة تكنيك الفن ، وفى توفير تكافؤ الفرص لذوى الثقافة الفنية .

ان العبرة بعد كل هذا فى التنفيذ ... ان الاقتراحات كثيرة جدا ورؤية الأخطاء ممكنة ، والرغبة فى تصحيحها موجودة ، ولكن هل توافر بين فنانينا « التفكير الدرامى » ؟! هل يدركون معنى المسئولية الفنية وخاصة فى هذه المرحلة من حياتنا ؟! هل يحاولون تعميق تجاربهم بحيث تسفر عن نظريات فنية نابعة من هذه التجارب ومرتبطة بالتيارات العلمية وبالبيئة المحلية .

اننا بمحاولة الاجابة على هذه الأسئلة وعشرات غيرها سنصل فعلا الى خلق الفن الثورى ، وذلك برؤية الحقل الفنى رؤية علمية ووضع تخطيطاتنا الفنية بشكل منهجى ، والارتفاع بمستوى الفنانين الى الاحساس بالمسئولية .

عبد الفتاح البارودى

من رسالة الى چونسون

لا لن تعيش سدوم فى أرض النبوة من جديد
لو عاد داود الجليل بما لديه من الحديد
فلكى ينحيهم عن الأرض المقدسة الحرام
يا حامى الظلمات يا غول الحضارة كيف جئت
ماذا تكون من المنارات القديمة للحضارة
قنديل زيت ليس فى أحشائه قطرات زيت
وطنى الحضارة والمنارة ..
لو كنت تعرف كيف يجرى النيـل فى صمت وقور
يقص أسرار العصور
لو عاد داود الجليل بما لديه من الحديد
وعلى الضفاف الخالدات
الذكريات

(عبد الرحمن الشرقاوى)



ثقافتنا في المعركة

لمعى المطيعي

فى الرسالة الجوابية على هدير الشعب العربى بالتمسك بقائده وزعيمه ورئيسه ، قال القائد والمعلم فى رسالته الى مجلس الأمة :

« انى لأشعر ان النكسة لابد أن تضيف الى تجربتنا عمقا جديدا ، ولابد أن تدفعنا الى نظرة شاملة فاحصة وامينة على كثير من جوانب عملنا » .

وفى تقديرى ان « الثقافة العربية » احد الجوانب الهامة من عملنا التى تحتاج الى نظرة شاملة فاحصة وامينة .

واذا كنا فى مجال محاولة متواضعة لتصور الخطوط العريضة للثقافة العربية فيما بعد « النكسة » فلا يمكن أن تكون المحاولة صادقة الا اذا حددنا القوى التى واجهناها خلال أيام العدوان الغادر وهى :

أولا ـ قوى الثورة المضادة : بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وهى هنا قوى الثورة المضادة العالمية وتشتمل هذه القوى على الدول الراسمالية وبقايا الدول الراسمالية ، والدول الاستعمارية وبقايا الدول الاستعمارية .

وليس هذا الكلام من قبيل تضخيم قوى العدو لتبرير النكسة بل انه الحقيقة والدراسة الموضوعية .. فقبل العدوان وجدنا كندا والدانيمرك تقومان بالمناوشات الأولى .. وخلال المعركة ثبت بالدليل القاطع اشتراك الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ... وفى مناقشات مجلس الأمن وضحت مناورات كثير من الدول .. واذا عدنا الى اسرائيل نفسها لوجدنا نسيجها الاقتصادى والعسكرى والبشرى يتكون من عديد من الدول .



والثورة المضادة توجه راس الرمح الحاد الى الدول النامية والدول حديثة الاستقلال لأنها كانت ضمن سيطرة قوى الثورة المضادة وتمردت على هذه السيطرة وكسرت عددا من حلقات سيادتها .

والثورة المضادة اذا كانت توجه راس الرمح الى الدول التى خرجت من تحت نيرها فانها تنشب أنيابها فى الدول التى تعمل بشكل ايجابى على انهاء الاستعمار والقضاء عليه وفضحه ، وفى الدول التى تقدم نموذجا للنضال ضد القهر الاستعماری وهذا ما يحدث منذ سنوات فى ڤيتنام وما حدث فى الأسبوع الأول من يونيو عام ١٩٦٧ فى البلدان العربية .

ثانيا ــ اسرائيل :

وهى وان كانت تدخل ضمن نطاق قوى الثورة المضادة الا انها تظهر كنقيض مباشر للأمة العربية أو كقاعدة استعمارية ضد الأمة العربية وهى لذلك تحرص على أن تكون ترسانة مسلحة .. وهى بالتعبير الدقيق قاعدة عسكرية للثورة المضادة العالمية .. تلعب دور كلب الصيد تتحرك عند أول اشارة من اسيادها .. وهى باسلوبها وسلوكها تعتبر فرعا جديدا لعصابة توكلوكس كلان الأمريكية المشهورة .

وازاء هذه القوى الشرسة لابد وان تقوم الثقافة العربية بدور فى المعركة .. لابد وأن تؤدى واجبها حسب خطة دقيقة مرسومة وهنا قد يثار سؤال .. هل تقصد أن تكون الثقافة فى المرحلة القادمة موجهة ؟ ونقول نعم .. وبصوت عال .. نعم .. والثقافة فى كل بلاد

الأرض موجهة .. ففى بلاد الثورة المضادة تحكمها التقاليد الراسمالية .. وفى الدول الاشتراكية يحكمها اطار نظرى معين .. وفى اسرائيل — كلب الصيد — تحكمها شهوة الحرب والعنصرية والتوسع ..

وعلى هذا فاذا كان من واجباتنا فى الأيام المقبلة (اعادة البناء العسكرى واعادة البناء السياسى) فمن واجباتنا أيضا (اعادة البناء الثقافى)

واذا كانت الأمة العربية تواجه قوى الشر السابقة فلا مكان ابدا بيننا لما يسمى « الثقافة للثقافة » أو « الفن للفن » .

ولا يعقل ابدا ان تكون شعوبنا فى معركة ضارية مع قوى الظلام ويستمر البعض فى حديث اجوف عن فلسفة الجمال .

ولا يستساغ ان يكون جنودنا الأشاوس يواجهون رصاص الأعداء ونفر من المثقفين يسترخون فى الصالونات يناقشون الموقف الدولى بعبارات طنانة رنانة .

اذن ينبغى أن تكون الثقافة موجهة وان تكون فصيلة صدام قوية ضد القوى السابقة التى أشرنا اليها .. واعتقد ان امورا ثلاثة رئيسية يجب أن تتم .

الأول — تصفية النفوذ الفكرى الاستعمارى :

مما لا شك فيه ان قوى الثورة المضادة العالمية كان لها نفوذ فكرى وثقافى وتعليمى بدرجات مختلفة فى ارجاء الوطن العربى وذلك لأسباب كثيرة .. وهذا النفوذ يتمثل فى اشكال كثيرة كالمدرسة .. المراكز الثقافية .. الصحف .. دور النشر .. دور السينما .. الأفلام .. وطوال السنوات الماضية حد من هذا النفوذ بدرجات متفاوتة ايضا .. **ولكن المطلوب اليوم وبشكل حازم هو أن توضع خطة كاملة مدروسة لتصفية هذا النفوذ الثقافى دون رحمة أو هوادة وعلى نطاق الأمة العربية كلها .. واذا كانت الأمة العربية قد اتحدت كلمتها لمواجهة السلاح بالسلاح فيجب أن تتحد كلمتها لتصفية الرصاص المكتوم الذى يوجه الى أذهان الناس فى الجبهة الثانية .. جبهة الشعب .**



الثانى — مواجهة الثقافة الراسمالية والاستعمارية :

ان المرحلة القادمة تحتم أن تتحول الثقافة الى سلاح وهذا السلاح يوجه ضد كل ثقافات قوى الثورة المضادة العالمية . وهذا السلاح يوجه طرفه الحاد الى قيادة الثورة المضادة العالمية .. الى الولايات المتحدة الأمريكية يفضح تاريخها كله منذ أن رحلوا الى الدنيا الجديدة وابادوا سكانها الأصليين .. ثم مارسوا أبشع وسائل القهر ضد الزنوج .. وسلطوا الاستعمارية الذرية لهلاك البشر وارهاب الأحرار .. ونثروا القواعد العسكرية على سطح الكرة الأرضية .. **علينا أن نركز بطاريات الفكر على أجهزة التآمر والاغتيال .. على الحكومة الخفية التى تسيطر على أمريكا ذاتها .. علينا أن نزيل تماما اية بقايا ساذجة فى أذهان البعض حول الصورة التى كانوا يرسمونها لأمريكا .**

انه واجب شاق ولكنه ممكن اذا تسلح المثقفون العرب بالدراسة والموضوعية واستندوا الى الحقائق وما أكثرها .

الثالث — السلام الحقيقى :

اسهم المثقفون العرب ولا شك بدور كبير فى توعية الشعوب العربية بحقيقة اسرائيل وبطبيعة الصهيونية ودور الاستعمار فى وجودها .. وهذا مفيد ولا شك ولكن هناك دورا مفيدا أيضا أغفله المثقفون العرب **وهو اقناع المثقفين فى الدول الأخرى بحقيقة الوضع ..** والأرض ممهدة أمامنا ولكننا لا نرتادها .. فقد اظهرت الأزمة الأخيرة أن شعوبا كثيرة صديقة تدمغ اسرائيل بالعدوان وتؤيد أخويا نضال

الشعوب العربية من أجل التحرر والاستقلال.. ان هذا التأييد من شعوب العالم يضاعف من مسئولية المثقفين العرب ازاء شرح القضية بأصولها التاريخية والفكرية والواقعية والمادية والاجتماعية .. **وأن السلام الحقيقى للمنطقة ليس هو الاعتراف بالأمر الواقع وانما اقرار الأمر الحق ..** هو بزوال اسرائيل قاعدة العدوان وترسانة الامبريالية العالمية .. وعلينا أن نذهب الى المثقفين فى كافة الدول وخاصة المرموقين منهم .. نذهب اليهم وخلفنا سبعة آلاف عام من الحضارة .. علينا أن ننقل اليهم صورة من حضارتنا القديمة وتقدمنا الحديث .. ان كسب المثقفين المرموقين فى الخارج رصيد كبير لقضيتنا علينا أن نحرص عليه .

ولقد كانت التجربة الأخيرة تجربة عميقة ستكون الدروس التى نفيدها منها أكثر عمقا ، ولقد تعمقت فى نفوسنا وعقولنا حقائق كثيرة منها :

(أ) ... الأرض الحقيقية هى الأرض العربية :

منذ اللحظات الأولى للأزمة وخلال أيام المعركة لم تنم الشعوب العربية وهى تحرس قاعدة النضال والتقدم ، الجمهورية العربية المتحدة ، فالمظاهرات مستمرة ، ومحاصرة ما تبقى من قواعد عسكرية أجنبية فى بعض البلدان العربية ، والتأييد المطلق ووقف الشحن والتفريغ لسفن الأعداء ومكاتب التجنيد تتلقى آلاف الطلبات للتطوع .

وعلى نطاق الحكومات أيدتنا حكومات المغرب وتونس والسعودية ولبنان ووقفت الى جانبنا حكومات الجزائر والسودان والكويت واليمن والعراق ، واستبسلت فى القتال معنا حكومات الأردن وسوريا .

وبعد النكسة ، لم تفقد الشعوب والحكومات العربية يقظتها فقد قامت كلها فى وقت واحد تحيط القائد والمعلم بقلوبها وتحرص على قائد المعركة حتى استجاب القائد وبقى فى موقعه الذى اختارته له الأمة العربية ..

وباختصار .. حدث .. تأييد فى المعركة دون شروط واستبسال فى القتال الى أقصى حد ، ومواقف صلبة ممتازة .. فما معنى هذا ؟ معناه أن الأرض الحقيقية هى الأرض العربية .. هى أرضنا أولا وأخيرا وعليها دون غيرها يجب ان نعتمد .

ومن هنا تكون مسئولية المثقفين العرب فى المستقبل .. عليهم التعريف بتاريخ بلادهم .. وتاريخ نضال شعوبهم .. والتراث العربى .. والفلسفة .. والفن .. والأدب.. والثقافة.. وكل ما هو مشرق على هذه الأرض العربية .. والمشرق فيها كثير ..

عليهم واجب دعم التكوين النفسى المشترك .. وهذا العنصر الأخير أحد العناصر الرئيسية فى تكوين القومية .. بعبارة أخرى لتكن القومية العربية حجر الزاوية أو المنطلق الواضح لاتجاهنا الثقافى الجديد .

(ب) ... الثقافة للجماهير :

قال المناضل الباسل جمال عبد الناصر « وأول ما ينبغى أن نؤكده بفهم واعتزاز ، وهو واضح من الآن أمام عيوننا ، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد الى الأبد . »

وفى مرحلة النضال الوطنى ضد الاستعمار والصهيونية لا يمكن أن تكون الثقافة مجرد أعمال رفيعة . وفى مرحلة التحول الاشتراكى لا يمكن أن تكون الثقافة منعزلة عن ظروف الأحداث وتطورها ، وهنا من الخطأ اعتقال الثقافة فى برج عاجى وحرمانها من أدواتها الفعالة التى تصل بها الى الجماهير العريضة.. والثقافة للجماهير تتم بعنصرين :

١ ـ فى المضمون .. وهو خدمة تحالف قوى الشعب العامل من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ثوريين ورأسمالية وطنية .

٢ ـ فى الشكل .. من حيث الكتاب والمقال والصورة ، والمعزوفة والأغنية والمسرحية والفيلم .

(ج) ... ثقافة العالم الثالث :

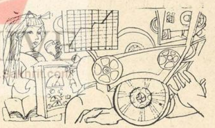
الأصدقاء الذين يفضحون العدوان .. والدول الصديقة من « العالم الثالث » كثيرة .. **وقد آن الأوان لنفتح نوافذ كبيرة على ثقافة دول العالم الثالث ..** نضالها وتاريخها وقادتها.. ، ويتقارب مثقفوها على طريق التفاهم المشترك .. والمعركة ضد الامبريالية العالمية

والصهيونية طويلة الأمد وقد نخسر معركة ولكننا لن نخسر الحرب ومن المفيد ان يكون تأييد الأصدقاء راسخا مبنيا على وضوح رؤيا وهذا فى تقديرى دور المثقفين .

بقى بعد ذلك عنصر اساسى هو العنصر العملى فى الموقف وهذا العنصر يتفرع الى ثلاثة اعمال رئيسية وهامة :

الأول ـ اتحاد للمثقفين العرب :

ان اى كلام لا يساوى الحبر الذى كتب به اذا لم يقم شكل تنظيمى يضع هذا الكلام موضع التنفيذ .. ولذلك فان اى تخطيط جديد للثقافة العربية يجب ان يصاحبه فورا **قيام اتحاد للمثقفين العرب ..** كل المثقفين العرب وكل العاملين فى وزارات الثقافة فى كل البلدان العربية وعن طريق هذا الاتحاد يمكن تنظيم اية **خطوات عملية .**



الثانى ـ المثقفون واعادة البناء العسكرى :

ان المفهوم المباشر لاعادة البناء العسكرى هو ما يتعلق بالقوات المسلحة ولكننا نود بهذا الصدد أن ينسحب هذا الشعار ولو فى جزء منه على الشعب بعامة وعلى المثقفين بخاصة ... ويمكن للأجهزة المعنية فى جميع البلدان العربية ان تقيم **معسكرات تدريب للمثقفين ، التدريب العسكرى ،** واستخدام السلاح ونحن على ثقة بأن السلاح فى يد المثقف الى جانب القلم سيفجر لديه طاقات ابداعية جديدة ، لها لون جديد ، ولها طعم جديد بل ولها اتجاه جديد واتجاه الشعب .. لأن هذا الموقف سيضع المثقف فى مناخ المعركة الحقيقى الذى يستحيل معه اى اتجاه الى الاسترخاء الذهنى او التأملات التجريدية .

الثالث ـ المثقفون واعادة البناء السياسى :

حرص الاستعمار فيما مضى على أن يفصل المثقفين العرب عن المجتمع الذى نبتوا منه بزعم أن الثقافة يجب أن تظل بعيدة عن السياسة وقد تم هذا بالفعل بدرجات متفاوتة فى البلاد العربية .. **واليوم اذا كان من واجب المثقفين شن أكبر حملة أيديولوجية ضد النظام الاستعمارى وضد الصهيونية فمن واجبهم أيضا أن يندمجوا اندماجا كاملا فى البناء السياسى .** واية أفكار او اية محاولات تباعد بين المثقفين وبين البناء السياسى سواء من داخل المثقفين او خارجهم يجب مناقشتها وطرحها .. ان اندماج المثقفين فى البناء السياسى يجعلهم يسهمون فى صنع الأحداث بدلا من الاكتفاء باستقبال الأحداث يفسرونها ويتناولونها بالبحث والتحليل .

وموجز القول ان الثقافة العربية فى المرحلة القادمة فى حاجة الى تخطيط جديد يستند الى الاستراتيجية العسكرية والسياسية حتى تسهم الثقافة فى البناء العسكرى والبناء السياسى وحتى يكون المثقفون العرب جديرين بشرف الانتماء الى هذه الأمة العربية .

لمعى المطيعى

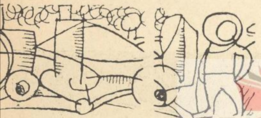
أطفال العرب

يعبرون برسومهم

عن مأساة اللاجئين العرب



إسرائيل والاستعمار الجديد فى إفريقيا



كان ارتفاع أعلام الاستقلال السياسى فى افريقيا يعنى بالنسبة للدول الغربية ظهور خطر جديد داهم يشكل تهديدا مباشرا لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية . فقد ظلت هذه القارة التى تقدرمساحتها بحوالى ٣٠ر٣١٣ر٠٠٠ كيلومتر مربع ، ومن ثم تأتى فى المرتبة الثانية بعد آسيا من حيث المساحة فى العالم منطقة نفوذ كامل لأوربا – سياسيا واقتصاديا وعسكريا . حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثم اخذت أمريكا هى الأخرى تبسط لنفسها نفوذا مماثلا ان لم يكن اكثر حجما وابعد مدى : **ذلك لأن افريقيا الى جانب ما تتميز به من سعة المساحة تحتل موقعا استراتيجيا حساسا ، اذ تطل من جهة الشرق على المحيط الهندى والبحر الأحمر وتساحلشواطئها الشمالية كلها البحر الأبيض المتوسط كما تقع كل حدودها الغربية على المحيط الأطلسى ، وفى الجنوب تشرف على نقطة التقاء المحيطين الكبيرين هذا الى جانب سيطرتها على ثلاثة مضايق من أهم وأخطر المضايق العالمية ... وبهذا النوع الجغرافى الممتاز يصبح لأفريقيا دور استراتيجى حاسم فى أى صراع دولى مرتقب.**

فاذا ما انتقلنا الى أهمية افريقيا من الناحية الاقتصادية برز لنا على الفور ثقلها الهائل كمصدر من اثمن مصادر المواد الخام ذات القيمة الاساسية فى ميدان التصنيع والانتاج الحديث بكل فروعه وتوعياته ويكفى ان نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ان هذه القارة تنتج ٩٨فى المائةمن معدن الماس فى العالم و ٩٧٪ من الفوسفات و ٨١٪ من الكوبالت و ٧٠٪ من زيت النخيل و٦٩٪ من الكاكاو ، و ٦٥٪ من الذهب و ٢٧٪ من النحاس ، هذا الى جانب كميات هائلة اخرى من المعادن المتنوعة كاليورانيوم والرصاص والحديد والزنك والفضة والبترول والفحم

عبد الواحد الإمبابي

- **وأمام هذه الحقائق التى تكشفت أمام أعين الشعوب الافريقية بدأت بعض دول القارة التى كانت مخدوعة باسرائيل تفطن الى المؤامرة الخبيثة التى حاكها الاستعمار فى دهاء ومكر مستخدما فيها الدول العميلة .**

- **اذا أرادت الدول الافريقية أن تؤكد استقلالها الحقيقى فعليها من الآن ألا تسمح لأى ظل اسرائيلى أن يهيمن على حياتها ، لأن اسرائيل ليست الا واجهة تختفى ورائها كافة القوى الاستعمارية باعتبارها صورة من صور الاستعمار الجديد .**



الحجرى والقصدير والمغناسيوم والألمنيوم والمطاط والقطن والخشب والعاج و ٤٠٪ من الطاقة المائية فى العالم .

وليست هذه الوفرة الهائلة فى المواد الحيوية الخام هى كل ما يعطى لافريقيا أهميتها الاقتصادية ويجعل منها مطمعا تتقاتل عليه الدول الغربية ، بل أنها فى الوقت نفسه تمثل سوقا كبيرة تسهم قوته الشرائية فى امتصاص قدر هائل من السلع والمصنوعات الغربية ، هذا الى جانب أنها بحكم امكانياتها الضخمة وظروفها التاريخية والحضارية قد أصبحت مجالا خصبا وواسعا أمام فائض الرأسمال الأجنبى الذى يمارس عملية استثمارية بطريقة استغلالية جشعة وغير انسانية على الاطلاق ..

كل هذه العوامل وغيرها من عوامل أخرى تجعل من أفريقيا منطقة ذات أهمية بالغة بالنسبة للعالم الغربى ، ومن ثم كان حرصه الشديد على ابقاء نفوذه الكامل عليها ، غير أنه لم يستطع أمام ثورة الشعوب الافريقية وضغط حركة التحرير الشاملة ويقظة الجماهير التى طال استغلالها وحرمانها من خيرات بلادها أن يحتفظ بسيطرته السابقة فى صورتها الكلاسيكية القديمة ، **فأخذ يبحث عن شكل بديل يحاول أن يبقى من خلاله على وجوده السابق هدفا وجوهرا وتمثل هذا الشكل البديل فى قناع أخفى به ملامح وجهه الحقيقية وهو ما أصبح يعرف فى عالم السياسة المعاصرة باسم الاستعمار الجديد ، وكانت اسرائيل احدى وسائله فى فرض هذا الأسلوب من التحامل فى الدول التى نالت استقلالها حديثا وكانت من قبل مستعمرات أو شبه مستعمرات ..** وسنكتفى هنا بالقاء الضوء على هذا الدور العميل لاسرائيل فى أفريقيا ، لأن الوجود الاسرائيلى على أى شكل من الأشكال فى أفريقيا لا يعنى الا الامتداد المادى للنفوذ الغربى ووجوده ليس الا استمرارا لتحدى القوى الاستعمارية بكل سيطرتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وبالتالى تدمير المعنى الحقيقى للاستقلال والسيادة القومية التى ناضلت شعوب افريقيا طويلا من أجل الحصول عليهما ..

المطامع الصهيونية فى أفريقيا :

واطماع الصهيونية العدوانية فى افريقيا ليست وليدة اليوم أو حتى الأمس القريب ، ولكنها اطماع تضمنها مخططهم الاستعمارى الأول الذى وضعوه من أجل السيطرة على العالم ، فحين انعقد اول مؤتمر صهيونى ـ وكان ذلك فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ـ لبحث موضوع انشاء وطن قومى يجمع شتات اليهود من جميع العالم **ارتفعت صيحة بعض قادته تطالب بأن تكون أوغندا هى هذا الوطن الموعود** ، حتى اذا كان المؤتمر الرابع الذى انعقد فى مدينة لندن عام ١٩٠٣ كانت هذه الفكرة قد استقرت فعلا فى أذهان الكثيرين من زعماء هذه الحركة وراح البعض يطالب بضرورة تنفيذها على الفور ، واستجاب الرأى العام الرسمى فى بريطانيا لهذه الرغبة فانتهز جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانية فرصة انعقاد المؤتمر فى العاصمة الانجليزية وحمل بين يديه مشروعا طرحه أمام الأعضاء يتضمن موافقة حكومته واستعدادها الكامل لتهويد أوغندا وتحويلها الى وطن قومى تقيم فيه الصهيونية دولة اسرائيل المأمولة ، كما تقدم اللورد لانزاو وزير الخارجية البريطانية ايضا باقتراح آخر يعرض فيه استعداد حكومته لجعل هذا الوطن القومى لليهود فى منطقة العريش المصرية بدلا من أوغندا ، ولم يتردد الزعماء الصهاينة فى قبول العروض أو الاعتراض عليها ولكنهم كانوا يعتبرون هذه الخطوة مرحلة ثانية يمكن أن تتحقق بعد نجاحهم فى الحلقة الأولى من أطماعهم التوسعية ، وهذا ما وضح فى خطاب هرتزل الذى وجهه الى وزير المستعمرات البريطانى حين كتب اليه يقول **« يجب أن نقيم قاعدتنا الأولى فى فلسطين أو بالقرب منها ، ثم نستعمر أوغندا بعد ذلك »** بل ان اوغندا لم تصبح وحدها هدف الصهاينة فى افريقيا ، اذ انها منطقة مقفلة لا تطل مباشرة على ساحل المحيط ، واليهود يطمعون فى أن تكون لهم دولة تتحكم فى أهم المواقع البحرية التى تجعل منهم قوة عالمية فى الميادين الاقتصادى والاستراتيجى ، ومن ثم كان لابد من التفكير فى الاستيلاء على منطقة اوسع فى أفريقيا تتوافر لها كل الامكانيات التى تساعدهم على تحقيق ما يطمعون اليه ، **ولهذا سارعوا بالمطالبة بكل منطقة شرق أفريقيا وكانوا يقصدون بذلك كلا من كينيا وتنجانيقا بالاضافة ـ طبعا ـ الى أوغندا نظرا لأهمية مواردها الاقتصادية . وحتى** تكون لهم السيادة على البحر المتوسط ومضيق **جبل طارق لم ينسوا أن يضعوا فى مخططهم أيضا تحويل مراكش الى مستعمرة يهودية** ، وقد عبر هرتزل نفسه عن هذه الأطماع حين بعث الى لوردروتشيلد ـ وهو مليونير صهيونى انجليزى معروف ـ برسالة يخبره فيها بما استقر عليه رأى زعماء الحركة الصهيونية ، وجاء فى هذه الرسالة **« يجب أن تبدأ الدولة اليهودية بانشاء مجموعة من المحطات تكون كل شرق افريقيا نواة الوطن الأم فيها ثم نقيم بعد ذلك محطة أخرى فى مراكش ، وبذلك تصبح لنا السيطرة الكاملة**



على تجارة المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط » .

وكان اليهود يعتمدون فى ذلك كله على القوى الاستعمارية الأوربية التى كانت تحتل هـذه المناطق من افريقيـا ، وكانت من جانبها على استعداد كامل لتقديم كل التسهيلات اللازمة لتنفيذ هـذه الخطة ، اذ كانت ترى فى وجود اليهود فى هذه القارة ـ ومعظمهم ان لم يكن كلهم من العناصر الأوربية ـ امتدادا ماديا ومعنويا للوجود الأوربى .

فاذا ما تغيرت الظروف العالمية لسبب من الأسباب وأرغمت هذه الدول الاستعمارية على التخلى عن مواقع السيطرة المباشرة على الشعوب والأرض الافريقية فان عملية السيطرة هذه يمكن ان تستمر عن طريق غير مباشر بفضل هذه الجماعات اليهودية .

غير ان أطماع الصهاينة فى احتلال اى جزء من أفريقيـا كان هدفا لم يضعه زعماؤهم فى المرحلة الثانيـة من مخططهم ـ كما سبق ان ذكرنا ـ ولهذا تخلوا عنه مؤقتا ريثما يفرغون من السيطرة على المنطقة التى تعالت الأصوات بضرورة المبادرة اليهـا أولا ، وكانوا يعنون بها فلسطين ..

مؤامرة بعد المؤامرة :

وأخيرا وبعـد مؤامرة استعمارية تزعمتها بريطانيا أولا ثم انضمت اليهـا أمريكا ومعظم الدول الأوربية فيما بعد برزت الى عالم الوجود مشكلة معقدة اسمها دولة اسرائيل خلقتها هذه الدول الاستعمارية فى قلب الوطن العربى عام ١٩٤٨ لكى تجعل منها الوجه المستعار الذى تختفى هى من ورائه لتمـارس كل أسـاليب الاستغلال والتسلط والسيطرة على شعوب آسيا وافريقيا بعد أن أرغمت على التخلى عنها ، اذ لم **يكن حماس هذه الدول لاقامة اسرائيل فى هذه المنطقة نابعا من ايمان منها أو اقتناع من جانبها بحق اليهود دينيا أو قانونيا أو حتى انسانيا فى أن يكون لهم وطن قومى فى فلسطين أو فى غيرها وانما كان هذا الحماس المنقطع النظير دفاعا تراه هذه الدول ضروريا لاستمرار نفوذها وحماية** **احتكاراتها الرأسمالية** ، وقد تجلت هذه الحقائق بصورة واضحة فى كل خطوة قامت بها اسرائيل بعد ذلك فى المناطق التى تسربت اليها فى افريقيا .

العمالة لبريطانيا :

فحين اشتدت حركة المقاومة الوطنية فى غانا واحست بريطانيا بأنها لن تستطيع البقاء طويلا فى هـذا الاقليم الافريقى سارعت على الفور فأوعزت الى اسرائيل بأن تحتل مكانها فى مواقع السيطرة الاقتصادية ، وقبيل الاستقلال بأشهر قليلة شهدت غانا جيشا زاحفا يضم مجموعة متنوعة من الخبراء والفنيين اليهـود يعرضون خدماتهم ورءوس أموالهم على المسئولين فى حكومة غانا لتنفيذ المشروعات الانشائية والعمرانية التى تتطلبها ظروف دولـة ناشـئة ستحصل على استقلالها بعد قليل ونشطت بريطانيا تعمل على اقناع الغانيين بضرورة التعاون مع دولة صديقة ادعت أنها احـدى دول آسيا ، تستطيع بحكم امكانياتها الفنيـة والاقتصادية أن تسهم بدور فعال فى بنـاء مستقبل غانا . **وكان أبناء غانا فى ذلك الوقت لا يعرفون الـكثير عن حقيقة دولة اسرائيل فوقعوا ضـحية الخداع والتضليل ،**

ولم تمض الا اربعـة أشهر فقط بعد الاستقلال حتى تم توقيع اتفـاق اقتصادى وتجارى بين اسرائيل وهذه الدولة الافريقية الجديدة ، وفى عام ١٩٥٨ تأسست فى غانة شركة يهودية بحرية باسم « بلاك ستار » Blsck Star تملك بريطانيا وحدها ٦٠٪ من اسهمها ، ثم توالت مشروعات اسرائيل بعد ذلك فى شتى القطاعات الزراعيـة والصـناعية والمصرفية والتجـارية وتركزت بصفة خاصة فى قطاع المقاولات للبناء والتعمير ، وكانت كل الشركات الاسرائيلية التى تمارس نشاطها داخل غانا تعتمد على نصيب كبير من راس المال البريطانى مثل شركة «سوليل يونيـــــه » و « ذيم » و « ديزنجوف » و « كيتان ليمتد » **مما يؤكد أن اسرائيل ليست فى الواقع الا امتدادا فعليا للاستغلال البريطانى السـابق بكل أبعـاده** ، وقد حرصت اسرائيل او بعبـارة أصح بريطانيا على احتكار سوق غانا التجارى عن طريق شركة ديزنجوف التى

انفردت وحدها بتسويق جميع المنتجات الزراعية وتصدير كل ما تحتاج اليه غانا من مواد البناء على اختلاف انواعها وكذلك المنسوجات والادوية والآلات الكهربائية والمعدات الهندسية والفواكه المحفوظة، والملابس الجاهزة والأفلام السينمائية وغير ذلك من المصنوعات المختلفة الأخرى . ولم تكن غانا هى المسرح الوحيد الذى القت بريطانيا على خشبته بعميلتها اسرائيل بعد ان ألبستها قناعا مزيفا لكى تلعب دورها المقدور لها تحقيقا لاستمرار النفوذ البريطانى فى مستعمرة سابقة كانت تمارس استغلالها المباشر لموارده وثرواته حتى عهد قريب، **بل قامت بتنفيذ هذه المؤامرة أيضا وفى كل المناطق والأقاليم الافريقية التى كانت تبسط عليها سيطرتها من قبل، فعلت نفس الشىء فى سيراليون وفى نيجيريا التى تحولت بمساندة الاستعمار الانجليزى الى ميدان من أخصب ميادين الاستثمارات الاسرائيلية بل أصبحت بعد الاستقلال منطقة مغلقة للاحتكارات الأجنبية التى تمثلها اسرائيل**، ويكفى ان نذكر هنا ان راس المال الذى طرحته اسرائيل لاستغلاله فى مجال النشاط الزراعى فى نيجيريا قد وصل الى حوالى اربعة ملايين ونصف مليون جنيه استرلينى حتى عام ١٩٦٢ قدرت عوائده بأرقام خيالية لا يمكن ان يتصورها انسان، هذا الى جانب عمليات الاستيطان الواسعة لليهود فى مختلف الأقاليم الزراعية الخصبة فى هذا البلد الافريقى الفسيح واستيلائهم على مساحات هائلة من حقول المطاط والكاكاو ونخيل الزيت والغابات الغنية بأشجار الخشب والفواكه ذات الشهرة العالمية .

كذلك دفعت انجلترا باسرائيل الى كل مستعمراتها السابقة فى مختلف مناطق وسط وشرق افريقيا، فحين ادركت أن مشروع الاتحاد الذى كانت تهدف من ورائه الى تقوية قبضتها على دول وسط أفريقيا - **روديسيا الجنوبية والشمالية ونياسالاند** - (زمبابوى وزامبيا ولادى الآن) لم يعد من الممكن تنفيذه وفى نفس الوقت أدركت أنه لن يكون بمقدورها فرض وجودها المباشر فوق هذه المنطقة الى الأبد كما كانت تتصور من قبل نظرا لاشتداد حركة المقاومة الوطنية فيها سارعت كعادتها تطلب الى اسرائيل ان ترتدى قناعها المزيف وان تقوم بلعبتها التقليدية عميلة مأجورة لصالح الاستغلال البريطانى، وكانت اسرائيل تحترق شوقا الى أن تبسط لنفسها اى قدر من النفوذ فى منطقة وسط افريقيا حتى تستطيع أن تربط شرق القارة بغربها وبذلك يسهل عليها وضع الحزام الاقتصادى الذى كان حلم كل الدول الاستعمارية الأوربية السابقة والذى سعت البرتغال ودخلت فى صراع طويل مع دول مؤتمر برلين ١٨٨٥ من اجل أن تحققه لنفسها .

ولما كانت انجلترا تحتل كل منطقة شرق افريقيا تقريبا - تنجانيقا واوغندا وكينيا وجزر زنجبار وجزءا من الصومال بصرف النظر عن الشكل القانونى لنوع السيطرة الذى كانت تسميه مرة وصاية ومرة أخرى حماية الخ فقد كانت بحكم هذه العلاقة السياسية فى موقع النفوذ الذى يعطيها حرية التصرف فى كل مقدرات أمور هذه المنطقة شعوبا وارضا، ولذلك **فحين وجدت نفسها عاجزة عن الوقوف أمام الثورات الوطنية التى انفجرت فى عنف وبطاقة مذهلة رأت ضمانا لابقاء استغلالها الاقتصادى وسيطرتها الاستراتيجية فى هذه المنطقة بالذات ضرورة احلال قوة أجنبية أخرى تستطيع أن تمارس أهدافها من خلال وجودها الشكلى ومن ثم دفعت باسرائيل الى كل مواقع النفوذ داخل بلدان شرق افريقيا المختلفة** وبدأت بأن طلبت الى فرنسا ان تمنح اسرائيل ميناء جيبوتى الصومالى لادارته، ومن هذا الميناء الحيوى امتد النشاط الصهيونى الى المناطق الساحلية الشرقية شمالا وجنوبا وقامت المؤسسات الصهيونية المختلفة وعلى راسها شركة راسكو تفتح فروعا لها فى المدن الهامة من هذه المنطقة ..

وهكذا كانت انجلترا حريصة على أن تمكن اسرائيل من أن ترثها فى مستعمراتها السابقة فى افريقيا لأنها العميلة الوحيدة التى تستطيع أن تمارس عن طريقها كل نشاطها الاستغلالى السابق .

اسرائيل عميلة لأمريكا فى افريقيا :

وأمريكا هى الأخرى فى حاجة ماسة الى ثوب تتنكر به لتخفى من تحته ملامح صورتها الحقيقية، لأن افريقيا الجديدة التى حتمت عليها ظروفها الحضارية أن تلتزم بالأسلوب الاشتراكى

طريقا يسرع بها الى مرحلة التنمية المطلوبة لم تعد على استعداد لتقبل النظام الراسمالى الذى تمثل امريكا قمــة استغلاله ، **كذلك فان كل افريقى يحس فى قرارة نفسه بكراهية لا حدود لها لسلوك الأمريكيين حكومة وشعبا فى معاملة الزنوج الذين جعلهم ســوء طالعهم من سكان الولايات المتحدة التى يرتفع فيها تمثال هائل وضخم يرمز الى الحــرية التى يتمتع بها كل مواطن فى أمريكا !!** وهـــذا السلوك اللاانسانى مع زنوج امريكا يمتد ليكون اسلوبا يحكم العلاقة بين كل ابيض وكل ملون ، وهــو شــكل من العنصرية المتعصــبة لا تقوم على اى اســاس مقبول ، وتعد امريكا احدى دولتين فى العالم تمارســه بصورة مكشوفة وسافرة ومن ثم فان شعوب افريقيا لا تحس بأى نوع من التعاطف مع أمريكا ولا تشــعر بالارتيــاح للتعــاون معها ، **يضاف الى هذين العاملين عامل ثالث هام وخطير هو أن أمريكا قد تخلت تماما عن مبادئها التى نادت بها من قبل ولم تعد تلتزم بما أسمته يوما حق الشعوب فى تقرير مصيرها وضرورة توفير الحرية لـكل أمة واتخــذت موقفها الى جانب القوى الاســتعمارية التى فقــدت افريقيا كل ثقتها فيها .**

وامام كل هذه الظروف التى وضعت امريكا نفسها مختارة فيها لم تستطع ان تطلب من الشــعوب الافريقية أن تمد لها يد الصداقة والتعاون ، هذا الى أن امريكا بحكم طبيعتهــا الراسمالية لا تريد صداقة ولا تعاونا وانما تبحث فقط عن وسائل الاستغلال والسلب وافريقيا ــ كما سبق أن ذكرنا ــ منطقة بكرا فى كل شىء ومجال هائل يسيل لها لعــاب الاحتكارات الامريكية ، اذن فلتبحث فى سرعة عن عميــل يمكنها من تحقيق اطماعها ، ولم يكن البحث عن العميل صعبا ، لأن لدى العم سام عميلته التى صنعها لاداء مثل هذا الدور ، وعلى الفور بدأ الغزو الأمريكى لافريقيا تحت ستار اســـمه اسرائيل ..

وفى مقدورنا أن نصل الى جوهر الحقيقة اذ ما القينــا نظرة سريعة على قوائم الصادرات



والواردات بين اسرائيل ومجموعة الدول الافريقية التى تتعامل معهــا ، وبدون دخول فى متاهات الأرقام وجداول الحسابات المعقدة نطرح أولا هذا السؤال العابر : **ما هى أهم صادرات اسرائيل الى افريقيا ؟ .**

يقول واقع هـــذه الاحصائيات فى صراحة ووضوح ان اسرائيل تصدر الى مختلف بلدان افريقيا مواد البناء بكل انواعها وكذلك كميات ضخمة من السيارات والثلاجات وانواعا لا حصر لها من الأجهزة الكهربائية والأقمشــة والملابس الفاخرة ، هـــذا الى جانب فيض هائل من المصنوعات الكمالية .

وطبيعى أن يسلمنا هذا السؤال الى آخر : **من أين لاسرائيل بكل هـــذه الكميات الوفيرة من مواد البناء مثلا ، فى الوقت الذى يعانى فيه الشعب الاسرائيلى أزمة حادة فى قطاع الخدمات الاسكانية ، وتعيش نسبة كبيرة منه ــ كما تقول التقــارير التى كتبهــا بعض الذين زاروا اسرائيل ــ فى بيوت فقيرة وغير صحية ؟** الجواب هو ان كل الشركات الاسرائيلية التى تتولى عملية المقاولات فى مجال الانشاء والتعمير داخل افريقيا فروع لشركات امريكية معروفة من اهمهــا واشــهرها شركة هازار وشركة كونستركشن كومبــانى وســوليل بونيه الخ . وزيادة من اسرائيل فى التمويه على أن تطلق دائما على هذه الشركات اسماء البلاد التى تقيمها فيها مثل الشركة الليبيرية للمبانى وشركة النيجر للمبانى ايضــا الخ لأن الأســماء واللافتات لا تغير من الواقع شيئا .



واسرائيل ليست من الدول المتقدمة صناعيا حتى تغمر الأسواق الافريقية بكل هذه الأنواع المختلفة من المنتجات الصناعية ، وحتى لو افترضنا انها دولة ذات مستوى صناعى متقدم نسبيا فليس من المعقول مطلقا أن تستطيع بما هو معروف عنها من امكانيات محدودة تزويد الأسواق الافريقية — وهى تزود أيضا بعض الأسواق الآسيوية — بكل هذه الكميات الضخمة . **ومن هنا يتضح أن دور اسرائيل فى تغطية بعض الأسواق الافريقية بهذه الصادرات — حجما ونوعا — ليس الا دور الوسيط المأجور للشركات الأمريكية الاحتكارية الكبرى .**

وحتى تستكمل الصورة كل أبعاد اطارها يصبح من الضرورى أن نجيب كذلك عن سؤال آخر .. **ما هى المواد التى تستوردها اسرائيل من افريقيا ؟ وهل هى فعلا فى حاجة اليها ؟**

ومرة اخرى نلقى النظرة السريعة على قوائم الواردات الاسرائيلية من افريقيا ، وعلى الفور تواجهنا حقيقة مذهلة ، فهذه القوائم توضح أن معظم هذه الواردات تتركز حول المنتجات الكمالية مثل الكاكاو والبن وبعض المعادن النفيسة الأخرى ، وهى تستورد هذه المنتجات بكميات هائلة للغاية وبصورة لا تتوقف عن التزايد المستمر ... **فهل الشعب الاسرائيلى الذى لا يتجاوز تعداده المليونين تقريباً والذى يؤكد واقعه الاجتماعى أنه يعيش فى مستوى أقل من المتوسط — ان لم يكن منخفضا — قادر فعلا على استيعاب كل هذه الواردات ؟ وهل حقق لنفسه درجة الاكتفاء الذاتى فى المواد الضرورية ، ولم تعد تنقصه الا هذه الكماليات ؟ .**

الحقيقة التى لا يستطيع احد حتى اسرائيل نفسها ان ينكرها هى أن الشعب الاسرائيلى لا يزال واحداً من شعوب العالم الفقيرة التى كثيرا ما تتعرض لأزمات الخبز والمواد التموينية الأساسية ، وهذا ما أكدته تقارير لجنة الأغذية التابعة للأمم المتحدة اكثر من مرة .. تفسير هذا الاندفاع اذن على استيراد هذه الكماليات فى الوقت الذى لا تسمح فيه امكانيات الشعب هناك بالحصول عليها معناه فى وضوح أن اسرائيل تقوم بهذه العملية لحساب شعب آخر تتيح له ظروفه الاقتصادية الاستمتاع بهذه الكماليات وثابت من حركة الملاحة ان السفن المكدسة بالبضائع المستوردة من افريقيا تواصل سيرها دائما الى ما وراء المحيط .

واذا كانت بريطانيا قد أتاحت الفرصة لاسرائيل لكى تخلفها فى منطقة شرق ووسط وبعض دول غرب افريقيا فان أمريكا هى الأخرى — حرصا منها على تحقيق مطامعها الخاصة — قد قامت بنفس الدور وبدأت تدفع بعمليتها اسرائيل الى احتلال مواقع النفوذ الاقتصادى فى كثير من بلاد افريقيا ، وبالذات فى الأجزاء القريبة من القارة نظرا لوجود حماية أمريكية على الساحل الغربى تتمثل فى وجود مجموعة من القواعد العسكرية التى أقامتها الولايات المتحدة فى أكثر من مكان على الشاطىء الشمالى والغربى .

ولما كانت ليبيريا هى احدى دول غرب افريقيا التى تربطها علاقات قديمة بالولايات المتحدة والتى تعتبرها من أهم مراكز نفوذها فى القارة كلها فقد كانت حريصة على أن تفتح أبوابها أمام عملائها وسماسرتها من الاسرائيليين تستخدمهم فى المزيد من الاستغلال واحتكار النفوذ ، وتجعل منهم فى ذات الوقت رصيدها الاحتياطى الذى يمكن أن نعتمد عليه فى الابقاء على سيطرتها اذا تغيرت الأوضاع لسبب من الأسباب .

ولم يكن مخططو السياسة فى أمريكا قانعين بهذه النتائج التى حققتها لهم اسرائيل فى افريقيا ، فالسيطرة على مصادر الثروة فى بلدان هذه القارة قد تواجه بتهديد خطير تقوم به العناصر الافريقية الواعية التى تتمثل فى جماعات المثقفين وأعضاء النقابات العمالية الذين يشكلون اليوم الطليعة القيادية التى تتزعم العمل الوطنى ، **وأفضل الوسائل لجذب هذه العناصر الثائرة هى غزوهم فكريا والتأثير عليهم عن طريق**

العلم باسلوب ملفوف لا تظهر فيه أمريكا بصورة مكشوفة وعلى الفور أوعزت الولايات المتحدة الى عميلتها التى صنعتها على يديهـا بأن تنشط لتحقيق هذه المهمة فأعلنت اسرائيل من جانبها عن انشاء عدد من المعاهد الأسيو افريقية فى تل أبيب ادعت انها قد انشئت خصيصا للمساهمة فى رفع مستوى الفنيين والنقابيين من أبناء القارتين لتخريج اكبر عدد ممكن من المزودين منهم بأحدث التطورات العلمية الحديثة فى ميادين التكنولوجيا والدراسات العمالية ومن خلال هذه المعاهد يمكن لأمريكا أن تلعب دورها فى عملية الغزو الفكرى عن طريق تأكيد القيم الأمريكية واشعارهم بأن المجتمع الامريكى هو وحده النموذج الذى يجب ان تحتذى كل مبادئه والذى يجب التعاون معه دون سواه .. ولكى نلقى بعض الضوء على حقيقة هذه المعاهد ودور أمريكا فيها وان لم تكن هذه الحقيقة فى الواقع فى حاجة الى مزيد من الضوء يكفى ان نذكر أن معهدا من هذه المعاهد مثلا ، وهو « **المعهد الآسيو أفريقى للدراسات النقابية** » يقوم بالتدريس فيه اساتذة معظمهم من الأمريكيين كما يضم مجلس ادارته طائفة ضخمة من قادة الحركات النقابية الأمريكية من امثال « لوثررونر » وهاريسون رئيس نقابة عمال السكك الحديدية الأمريكية وغيرهما من زعماء الحركة النقابية المعروفين فى أمريكا بل ان الرجل الذى يشرف على ادارة هذا المعهد هو الآخر نقابى أمريكى معروف هو « جورج مينى » ، رئيس النقابات المهنية السابق فى الولايات المتحدة الأمريكية .



ان أمريكا حين خلقت فى الشرق الأوسط ما أسمته بدولة اسرائيل لم تكن تتحرك — كما ادعت — بدافع من العطف على زعماء الحركات الصهيونية الارهابية ، أو بدافع من الاحساس المرهف تجاه الذين يحتكرون الحياة الاقتصادية فى اوربا وامريكا والا لكان الأولى بها أن تظهر هذه المشاعر — اذا كان لديها مشاعر على الاطلاق — بالنسبة لشعب صغير مثل شعوب فيتنام لم يفعل شيئا سوى اصراره على حقه الطبيعى فى أن يعيش حرا آمنا فوق ارضه التى تقع فى آسيا لا فى أمريكا ، **ولكن زعماء واشنجتون حين زرعوا فوق التربة العربية هذا النبت الخبيث الذى يسمى باسرائيل انما كانوا ينطلقون بدافع الحرص على استمرار عمليات السلب والنهب التى يقومون بها لموارد الثروة فى بلاد آسيا وافريقيا وابقاء سيطرتهم السياسية على حاضر ومستقبل شعوب هاتين القارتين العملاقتين ، وهذا ما كان يعنيه المناضل العربى** جمال عبد الناصر **حين أكد أكثر من مرة أن « أمريكا هى اسرائيل واسرائيل هى أمريكا » .**

عمالة لكل القوى الاستعمارية :

وهذه حقيقة تؤكدها مواقف وتصريحات كل المسئولين فى الدول الغربية التى عرفت بمساندتها وتدعيمها المادى والمعنوى لاسرائيل ، وكما سبق أن قلنا فى أكثر من موضع — **ليست هذه المساندة لصالح الشعب الاسرائيلى أو حرصا على رفاهية اسرائيل بقدر ماهى ضرورة تحتمها دوافع المحافظة على كيانها الاقتصادى — وهذا ما أعلنه صراحة مندوب بريطانيا فى المؤتمر الذى انعقد فى مدينة باريس فى شهر نوفمبر عام** ١٩٦٢ وكان يضم تسع دول أوربية هى « **هولندا ولكسمبرج وبريطانيا والنمسا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا وسويسرا وألمانيا الغربية** » لمناقشة موضوع المساعدات الممكن تقديمها لاسرائيل ، فقد صرح هذا المندوب البريطانى بأن « **الهدف من هذه المساعدات ليس صالح اسرائيل بقدر ما هو وسيلة لحماية مستقبل أوربا الاقتصادى ، واذا كنا قد اعتمدنا مبلغ خمسين مليونا من الدولارات للمساهمة فى سندات التنمية التى تصدرها اسرائيل فان علينا أن نضاعف هذا**

الاعتماد وباستمرار ضمانا لمصالحنا فى الدول المتخلفة » .

ومن هذا التصريح ومن السيل الذى لا يتوقف من التصريحات التى يعلنها المسئولون فى الدول الغربية فى كل مناسبة عن الهدف من تقديم المساعدات المختلفة لاسرائيل يستطيع كل انسان أن يدرك لماذا تقف القوى الاستعمارية بكل ثقلها الى جانب الوجود الاسرائيلى ، **انها واجهته المصطنعة التى يخفى بها أنياب الاستغلال ويتستر من ورائها لتظل قبضته محكمة على رقاب الشعوب التى تريد أن تستمتع باستقلالها الاقتصادى بعد أن حصلت بالكفاح والنضال على استقلالها السياسى .**

جزء من الثورة المضادة :

واسرائيل باعتبارها حليفة للقوى الاستعمارية والاحتكارات العالمية يصبح من الطبيعى أن يكون مكانها فى صفوف الثورة المضادة ، وقد كانت امينة ومخلصة فى اداء هذا الدور ، فبالنسبة لقضايا التحرر والاستقلال فى افريقيا مثلا لا يذكر احد على الاطلاق انها ساعدت سواء داخل الامم المتحدة ام خارجها فى حصول اية دولة افريقية على حقها الشرعى والطبيعى فى الاستقلال والحرية .

فقد صوتت فى الأمم المتحدة عام ١٩٥٢ ضد **استقلال تونس** وعارضت بشدة فى عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ اقتراح بعض اعضاء الامم المتحدة **باستقلال المغرب** وامتنعت عن تأييد **الكتلة الأفرو آسيوية** فى طلب اجراء انتخابات فى الكاميرون قبيل استقلالها ، وايدت **اتحاد جنوب افريقيا** فى محاولته ضم اقليم جنوب غرب افريقيا دون اجراء انتخابات او استفتاء . كما ايدته كذلك فى موقفه من التفرقة العنصرية ووقفت ضد **استقلال الجزائر** عام ١٩٥٦ وكذلك فى عام ١٩٥٧ ، وايدت فرنسا ضد القرار الآسيو افريقى الذى اعترف بحق الجزائر فى الاستقلال فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٨ ، وقدمت مساعداتها لسوستيل وغيره من زعماء منظمة الجيش الفرنسى السرية الارهابية . وقد اعترفت صحيفة الفيجارو الفرنسية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٢/٢/٧ بأن اسرائيل ارسلت عددا كبيرا من الارهابيين الاسرائيليين الى الجزائر لمساعدة هذه المنظمة الارهابية ، كذلك هاجمت بشدة وعنف **الاتحاد الذى قام بين غانا وغينيا** فى عام ١٩٥٨ ، وصوتت ضد مشروع القرار الذى تقدمت به المجموعة الآسيو افريقية فى الدورة الرابعة عشرة للأمم المتحدة عام ١٩٥٩ بخصوص وقف التجارب الذرية فى الصحراء الافريقية الكبرى وعارضت المشروع الخاص بتصفية الاستعمار ، وهو المشروع الذى وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الخامسة عشرة عام ١٩٦٠ : وقبل ذلك اعلنت معارضتها حق منح الشعوب تقرير مصيرها . ووقفت اسرائيل كما وقفت القوى الاستعمارية كلها وراء تشومبى ، وذكرت تقارير الامم المتحدة أن قواتها فى الكونغو قد عثرت على مخزن ضخم للسلاح الاسرائيلى تابع لقوات تشومبى المرتزقة ، وامتنعت اسرائيل اكثر من مرة عن التصويت على الاقتراح بمنح تنجانيقا ورواندا اورتدى الاستقلال . وكما تمارس الدول الغربية وعلى راسها امريكا سياسة التفرقة العنصرية مع السود سواء اكانوا من الزنوج الذين يعيشون داخل الولايات المتحدة أم من الملونين وبالذات الافريقيين فى كل مكان **فان اسرائيل هى الأخرى اقتداء باسيادها تمارس هذه السياسة وبصورة أكثر عنفا وحقدا لا ضد السود فقط بل كذلك ضد اليهود المهاجرين الى اسرائيل من الدول الشرقية** وقد اكدت مجلة « هاعولام » الاسرائيلية هذه الحقيقة حين نشرت فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٢/٦/١٥ مقالا جاء فيه « ان الممثلين الدبلوماسيين الافريقيين قد بدءوا يهربون من اسرائيل لشعورهم بالألم والمرارة بسبب قسوة التفرقة العنصرية التى تمارس عندهم فى كل مكان ، وترديد كلمة كوشى كوشى التى تعنى الزنجى فى وجوههم اينما ذهبوا » .

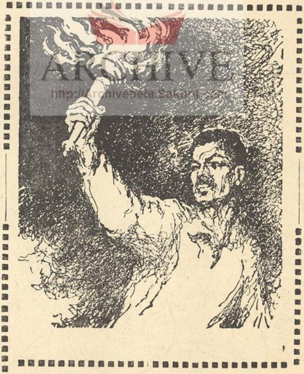
سقوط القناع المزيف :

وأمام هذه الحقائق التى تكشفت أمام أعين الشعوب الافريقية بدأت بعض دول القارة التى كانت مخدوعة باسرائيل تفطن الى المؤامرة الخبيثة التى حاكها الاستعمار فى دهاء ومكر مستخدما فيها هذه الدويلة العميلة ، وكانت غانا فى عهد نكروما من بين هذه الدول الافريقية

التى سارعت بتحرير سياستها الاقتصادية وانقاذها من نفوذ الأخطبوط الاسرائيلى ، فقامت باجراء مفاوضات مع الهستدروت (منظمة اتحاد العمال الاسرائيلية) بشأن شراء حكومة غانا لنصيب اسرائيل من شركة الانشاءات الأهلية الغانية وحصتها كذلك من شركة النجمة السوداء للملاحة البحرية ، وتزعم المرحوم الرئيس المسلم احمدو بللو حركة مقاومة النفوذ الاسرائيلى الذى كاد أن يهدد استقلال نيجيريا ويقضى على اقتصادها القومى واتبع فى هذا الصدد خطوة ايجابية حين أمر باغلاق كل أسواق المنطقة الشمالية من نيجيريا وهى المنطقة التى تعيش فيها غالبية مسلمى نيجيريا فى وجه البضائع الاسرائيلية ومراقبة راس المال الصهيونى خوفا من تسلله .

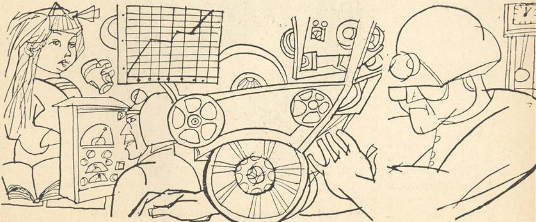
ثم كان للمؤتمرات الافريقية دور اساسى فى القاء الضوء على حقيقة الوجود الاسرائيلى فى افريقيا ، ففى قاعات هذه المؤتمرات طرحت بعض الوفود الافريقية أمام الأعضاء مشكلة التغلغل الاسرائيلى فى بعض بلدان القارة باعتبارها مشكلة لا يمكن عزلها عن المشكلة الاستعمارية ككل ، واذا أرادت الدول الافريقية أن تؤكد استقلالها الحقيقى ، وان تشعر بأنها قد تحررت بالفعل من كل نفوذ أجنبى فعليها من الآن ألا تسمح لأى ظل اسرائيلى أن يهيمن على حياتها ، لأن اسرائيل ليست الا واجهة تختفى وراءها كافة القوى الاستعمارية باعتبارها صورة من صور الاستعمار الجديد .

عبد الواحد الامبابى



الى النصر ..
للفنان جمال كامل

بناء
القومية
العربية



ان القومية العربية فكرة سياسية قومية اجتماعية انسانية :

- فهى فكرة سياسية لأنها تهدف الى تحرير العرب من الاستعمار بشتى أنواعه .
- وهى فكرة قومية لأنها ترتكز الى وحدة الامة العربية فى مقوماتها الثلاثة : اللغة العربيــــة والتــــاريخ العربى والأرض العربية .
- وهى فكرة اجتماعية لأنها تحاول أن تحقق العدالة داخل الوطن العربى وخارجه .
- وهى فكرة انسانية لأنها تؤمن أن العصر هو عصر تحرر الشـــعوب وليس عصر التهـــام الشعوب على مائدة الأقوياء . فهى مع الانسان وقضايا الانسان .

علــــى بــــدور

الكلام المسئول على القومية العربية ، يرتبط ارتباطا مباشرا بقضية الأمـــة العربية من حيث **وحدة أرضها** ، **ووحـــدة شعبها** ، **ووحدة أهدافها** ، **ووحدة الوسائل** المؤدية الى تلك الأهداف .

فقضية وحدة الأرض تثير مشكلة وحدة الأرض المباشرة أم وحدة الكيانات ؟ ..

وقضية وحدة الشعب تثير مشكلة وحدة اللغة العربية ووحدة التاريخ العربى ، وما يتفرع عن ذلك كله من قضايا الأقليات اللغوية ، أو الطائفية أو العنصرية .

وقضية وحدة الأهداف تثير بالنسبة للمواطن العربى مشكلة الانســـان العربى وتحريره من سيطرة الحاجة وضغط الظروف ، وتزويد عقله بأفكار الانسان الحديث وملء قلبه بحب الحياة وجعله يتكيف مع الحضارة الحديثة فاعلا ومنفعلا . كما تثير بالنسبة للأمة العربية تحررها من الاستعمار المادى وحمايتهـــا من الاستـــعمار المذهبى ، واتخاذها النظام الاشتراكى أساسا لبنـــــاء المجتمع العربى بناء سليما .

وقضية وحدة الوسائل تثير مشكلة الحكم على أساس التنظيم الواحد ذى العقيدة الثورية والقيادة الجماعية أم على أساس تعدد الاحزاب واصلاح أخطاء الديمقراطية الغربيـــة بالمزيد من الديمقراطيـــة بمعنـــاها المحدود فى الغرب .

وحدة الأرض

انقسم الباحثون فى قضايا الأرض وصلتها بالأمة الى قسمين ، قسم يبحث فى الأرض على أنها مكيف للانسان ومؤثر فيه بحيث يسبق عندهم البحث فى الأرض أى بحث آخر فى الأمة أو الشعب وبمعنى أدق فى الانســـان ، وقد

تبلور مفهوم هؤلاء الباحثين في أن الأرض هي التي تحدد واقع الأمة وحدودها البشرية .

أما القسم الثاني من الباحثين فقد أعطى للأرض بعض المزايا ولكنه ربط هذه المزايا بواقع الأمة بعد التكون وخصص مفعول الأرض وتأثيرها في العوامل الاقتصادية ومدى انعكاس هذا كله على امكانات الشعب وابداع أفراده ، وتنوع هذا الابداع تبعا للثروات الطبيعية واستثمار هذه الثروات وفق مبادىء العلم الصناعي الحديث ، ولكنه من حيث الحدود المادية للشعب فقد ربطها بحدود معنوية أولها اللغة اذ حيث تنتهي اللغة ينتهي الوطن ، وقرن اللغة بوحدة التاريخ حتى اذا سار التاريخ جنبا الى جنب مع اللغة كان للحدود الوطنية معنى الاصالة عبر التاريخ والواقع .

والأمة العربية هي أمة ذات أرض واحدة في اللغة والتاريخ ، وقد التحمت روح اللغة فيها بالمدى التاريخي عبر قرون عديدة . وحدودها المادية في الأرض هي حدودها المعنوية في اللغة العربية والتاريخ العربي ، فحيث تنتهي اللغة العربية شرقا وحيث تنتهي غربا وحيث تنتهي ما بين الشمال والجنوب ، تكون رقعة واحدة من الأرض قد تفاوت فيها العوامل الجغرافية ونوع التربة والثروات الطبيعية ، ولكنها توحد توحدا أصيلا في أنها ـ أي الأمة العربية ـ تعيش وحدتها الأصيلة رغم تلك المتنوعات الجغرافية التي لم تخل منها أراضي سائر الأمم في هذا العالم .

وما يجعلنا أميل الى القسم الثاني من الباحثين الذين اعتمدوا اللغة كعامل أساسي في تحديد الجهات الأربع التي تنتهي عندها الأمة هو أن اللغة والتاريخ اذا اجتمعا معا كونا أمة من الأمم . ولكن الأرض بمعزل عن السكان ليست شيئا على الاطلاق ، يضاف الى ذلك أن المآخذ على عامل طبيعة الأرض وحدها كثيرة ، أبسطها الواقع المعاش والتجربة الحية . ففي الوطن العربي عدة نماذج أراد لها كثيرون أن تكون وطنا بمعزل عن اللغة العربية والتاريخ العربي ولكن هذه النماذج ظلت أحلاما في رؤوس أصحابها ولم تستطع جهودهم وجهود من يعطفون على محاولاتهم أن تخلق أوطانا بلا لغة ولا تاريخ ، لان وحدة اللغة العربية ووحدة التاريخ العربي : ظاهرتان قوميتان انسانيتان تطبعان وحدة الأرض بطابعهما وتؤكد أن هذا التلازم بين معنى « الأرض اللغة » وبين معنى « الأرض التاريخ » وبين وحدة الأرض في ظل وحدة اللغة ووحدة التاريخ .

أرض واحدة لاكيانات

ان الاقتناع بفكرة وحدة الأرض العربية يناقض الاقتناع بفكرة الكيان ، اذ أن الكيان في العلم والتاريخ يدل على الوحدات الثلاث مجتمعة ، التي هي **الأرض واللغة والتاريخ** فيقال كيان انجليزي وكيان فرنسي .. ولكن لا يقال كيان على قطر أو اقليم من أقطار العروبة أو أقاليمها ... لان هذا الكيان ليس له لغة مستقلة ، ولا تاريخ خاص وما نغمة الكيانات سوى نشاز في المقطوعة العربية ، بعد أن تطورت فكرة الاستقلال والخلاص من المستعمر الى فكرة الكيان والتقوقع داخله على جزء من الأمة العربية وقدر بسيط من حقائق الوجود القومي للأمة العربية .

وعلى الرغم من أننا لا نريد أن نخوض في أصل أكثر الحدود السياسية القائمة داخل الأرض العربية وكيف وجدت ومن أوجدها ، لان هذا معروف مشهور ، فان هذه الحدود (وبمزيد من التساهل من حيث اخضاعها لمقياس الفكرة القومية) هي أنها حدود ادارية شأن الحدود الادارية داخل كل دولة من الدول العربية القائمة ، تلك التي تدل على التقسيمات التي تفرق فيما بين المحافظات أو الألوية .

والحدود السياسية في الأصل ـ ولدى أكثر دول العالم أن لم نقل كلها ـ هي حدود قومية في نفس الوقت ، فحيث تنتهي الحدود السياسية تنتهي ظلال الدولة : والدولة لا تقوم الا اذا تكونت في الواقع والتاريخ ، أمة من الأمم أو شعب من الشعوب . ولا تكون الأمة الا اذا قامت لها لغة وقام الى جانب لغتها تاريخ متصل مستمر حيث تتفاعل الامكانيات اللغوية والتاريخية لترمز الى استمرار وجود هذه الأمة أو تلك في الزمان والمكان .

والأمة العربية ، أمة ذات أرض هي الأرض العربية ، تنتهي حدودها السياسية حيث تنتهي حدودها القومية في اللغة والتاريخ ، والمستقبل العربي وحده كفيل بان يوضح هذه الحقيقة ولو اقتضى ذلك منه جهد أجيال تتلوها أجيال .

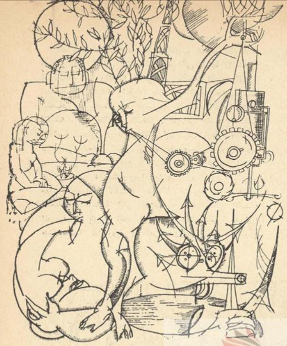
وحدة الشعب

يتردد في الأذهان وعلى الألسنة أن هناك شعوبا عربية تلتقي عند وحدة الأمة العربية ، كما يتردد من الجانب الآخر أن الشعب العربي هو شعب أمة واحدة .. وما ذلك التعبير عن الشعوب العربية (بصيغة الجمع) الا ظاهرة

مؤقتة بسبب تعدد الكيانات السياسية فى الوطن العربى ، **فلو كانت الامة العربية لا تزال دولة واحدة لما قام من يقول (الشعوب) بل لاستمر من يقول (الشعب) ،** ونظرة تلقى حولنا نجد أن الاتحاد السوفياتى يضم شعوبا عديدة بسبب تعدد اللغات والتواريخ ويقولون تجوزا الشعب الروسى وهم يقصدون عدة الشعوب التى يضمها الاتحاد السوفياتى ، **وكذلك الامر فى وحدة الشعب العربى التى لا تنفصل عن وحدة أرضه بسبب وحدة لغتـه ووحدة تاريخه : وكل تفرقة على أساس الكيانات القائمة أو تجزئة وحـدة الشعب العربى الى شعوب ونعتهـا باسماء أقطارها المتعددة انما هى ظاهرة نشاز فى الفكر القومى** ينبغى التذكير بنشازها هذا ما دام فى الوطن العربى انسان واحـد يؤمن بهذه التجزئة فى الشعب تبعا لمبدأ التجزئة فى الارض .

ان وحدة الشعب تبدأ عندما تلتحم اللغة الواحدة بالتاريخ الواحد ، أو عندما يبدأ التاريخ كحركة تقدم وتطور يمد اللغة بزاد الحياة . وعندما تصور اللغة ـ وهى المعبرة عن وجـدان الامـة ومشاعرها ـ تقدم التاريخ وتطوره .

وتنتهى وحدة الشعب العربى عندما تنتهى الارض العربية ... لان نهاية الارض هى نهاية اللغة والتاريخ معـا .



وحدة اللغة العربية

فاذا تساءلنا عن المقصود من وحدة اللغة العربية وجدنا الجواب أنه فى السنوات الأخيرة ترددت هنا وهناك أقوال اتخذت من « العلمية » ستارا لتتحدث عن اللهجات المحلية التى أسمتها لغات ، وفرقت بين لهجة الكلام وبين لغة القراءة والكتابة واعتبرت أن اللهجة التى يتكلم بهـا الشعب هى لغته الحية ، ولكن هل كان المقصود من ذلك كله هو هذه « العملية » التى يتبادر نفر من الناطقين بالعربية الى نصرتها ؟ . **ان القصد الأول والأخير هو أن يوجدوا للحدود السياسية التى أقامها الاستعمار ، لغة خاصة بها** ، اضافة للتاريخ الذى يعود الى فترة سبقت فترة التاريخ العربى واللغـة العربية ، وبمعنى أوضح وأدق : فترة الحياة العربية والحضارة العربية .

وكان أن التقى نفر من الكتاب على تسمية اللهجة العامية « **لغة الشعب** » كما التقى معهم على الطرف المقابل من يدعون الى الكتابة بالأحرف اللاتينية كما فعل الاتراك تحت ستار التيسير وتعميم التعليم لاهداف بعيدة لم تعد خافية على أحد ، أبسطهذه الاهداف **الدعوة لقوميات صغيرة عفى عليها التاريخ لترسيخ الحـدود السياسية القائمة عليهم يفلحون فى شق صف العروبة لغة : بالدعوة الى لهجة محلية باحرف لاتينية ، وشق صف العروبة تاريخا ، بالقفز من فوق التاريخ العربى الى تواريخ محلية منقرضة فى الواقع والحيـاة ، وشق صف العروبة فى وحدة شعبها باقامة الحـدود السياسية القائمة هنا أو هناك على اساس انها حدود قومية للهجة خاصة وتاريخ خاص وشق صف العروبة فى وحدة ارضها من المحيط الى الخليج** بالدعوة الى كيـان موهوم واسـتقلال مؤبد لا يتحد أو يتوحد .

مرامى التنقيب عن الآثار

وقد اتخذ الاستعمار من أعمال التنقيب عن الآثار فى الوطن العربى خلال القرن التاسع عشر وبداية هـذا القرن ، مادة حية يشوه بها التاريخ العربى واسلوبا ينفذ به لتمزيق وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الارض ، واحياء اللهجات والتواريخ القديمة وجعـل الحـدود السياسية التى جزأ بها الوطن العربى ، حدودا قومية ، ليقضى بذلك على وحدة الأمة العربية فى لغتها وتاريخها وارضـها .

لقد رافق الكشف عن هذه الآثار . دعوات للاستقلال الوطنى على أساس تلك الكيانات التى خلقها الاستعمار فى المنطقة كما رافقتها الدعوة الى اعتماد اللهجة المحلية العامية لغة الكتابة والقراءة بدلا من اللغة العربيـــــة الفصحى ، بحيث يجد الاستعمار الحدود القومية لتلك الكيانات التى خلقها فى المنطقة . اذ الى جانب « اللغــة الخاصة » حاول عن طريق الآثار أيجاد « التاريخ الخاص » فلا تنتهى الحدود السياسية الا بلغة متميزة وتاريخ متميز بعد طمس اللغة العربية والتاريخ العربى وتسمية العرب غزاة فاتحين ، كما وجهوا بعثاتهم الى الجزيرة العربية مهد العرب الأول لاكتشاف خصائص عنصرية للعرب فتكون اللعبة الاستعمارية التى أستهدفت القضاء على الأمـــة العربية كما يلى : الحديث عن حضارات متميزة متحاربة متناقضـــة كالاشورية فى العراق والحيثيــة فى سوريا والفينيقية فى لبنان ، والفرعونية فى مصر ، والبربرية فى المغرب ، والعرب فى جزيرة العرب ... والاسرائيلية فى فلسطين ، حتى اذا جاء الحديث عن وحدة عربية أو أمة عربية قال من يقول « أن العرب فى جزيرتهم .. أما فى الاقطار الأخرى فليس هناك الا بعض القشور العربية بحكم التاريخ المتميز والواقع السياسى القائم واللغـة المحلية الخاصة « وهذا ما ردده ويردده أنصار العزلة والكيانات والاقليمية وأعداء الوحدة العربية والأمـــة العربيـــــة ، أولئك الذين وقفـوا فى صـف الاستعمار بارادتهم أو بغير ارادتهم طوال السنين الأخــــيرة وهم يوطدون للاستعمار فكرته الخبيثة فى محاربة اللغة العربية بالدعوة الى اللغة المحلية ، ويحاربون التاريخ العربى بالدعوة الى تواريخ محلية سابقة على التاريخ العربى ، ويحاربون فكرة وحدة الشعب بالدعوة الى الكيان الموهوم



ذى الحدود السياسية التى هى فى المنطق القومى وبمزيد من التسامح حدود ادارية داخل الارض العربية .

معنى انتصار التاريخ فى الجزائر

أن نفى اللغة المحلية يكمن فى أن اللغة التى يتحدثون عنها هى لهجة .. واللهجات قائمة فى سائر مناطق العالم : فضلا عن أنها لهجة بلا أحرف ولا أصوات ولا قواعد سوى الأحرف والاصوات والقواعد العربية .

وأن نفى التاريخ المحلى الخاص يكمن فى أن التاريخ الذى يتحدثون عنه هو تاريخ ميت . والتاريخ العربى الذى ينفونه هو تاريخ حى مستمر ، وتاريخهم الميت ذاك ليس له لغة ... وليس له ذلك الشعور الذى تبعثه فى النفس ذكريات معركة أو كشف علمى أو فكرى أو أنباء نهضة تبنى الحياة الاجتماعية للشعب بجد وابداع ، والأمة العربية عندما قامت تبنى الحضارة قد صقلت الفكر فى المنطقة فجعلته فكرا عربيا بعد أن كان يونانيا أو رومانيا وصقلت الشعور فجعلته شعورا عربيا يتحسس بعواطف الأخوة العربية ويثور لكرامة الامة العربية ، كما مسحت الى الأبد تلك الحدود القومية أو الحضارية او اللغوية او التاريخية التى كانت قائمة على الأرض العربية ، وهى بعد أن انتصرت فى هذه المعارك القومية كلها ، فلم يبق عليها الا تأكيد انتصارها فى الجولة الثانية .. التى بدأت فى معركة الجزائر ، اذ بعد أن احتل الاستعمار الأرض ، وأوشك أن يطمس اللغة اصطدم بالتاريخ .. فاذا الذين تعلموا الفرنسية وحدها يحملون السلاح ضده الى أن ارغموه على الاعتراف بهزيمته وضياع جهوده . **وأن ثورة الجزائر هى ثورات متعددة تؤكد وحدة الأرض ووحدة الشعب ووحدة اللغة .. ووحدة التاريخ ليس فى الجزائر وحدها .. بل فى سائر أرجاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج .**

قضايا الأقليات المختلفة

شغلت قضايا الأقليات أوربا خلال القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن ، ولم يكن سبب هذا كله الا وجود فوارق متأصلة من جهة : ووجود دعوة على أساس العنصر أو الدم . وقد انتقلت رياح ذلك الخلاف المستحكم الى وطننا العربى مع جمهرة المثقفين المؤمنين بالعروبة والناكرين لها .. ونشأ هنا وهناك من دنيا العرب خلاف مكشوف وخفى بين من يقومون العروبة بالدم .. وبين من يقومونها باللغة أو الفكر والشعور ولا يزال الخلاف مستحكما الى اليوم .

وطبيعى أن ينشأ عن ذلك الخلاف ، مشكلة أو مشكلات فئات أخرى قد لا تجد دم العروبة كدمها بسبب اختلاف المنشأ والطبيعة .

وتقويم العروبة على أساس دين معين يضعنا مباشرة أمام تفسير دينى صرف لهـا ، الأمر الذى يضعنا أمام مشكلة الطائفية وجها لوجه .

وتقويم العروبة على أساس اللغة يضعها أمام اللغات الأخرى فى الوطن العربى الأمر الذى يضعنا أمام مشكلة الاقليات اللغوية ..

ولكن هل هذه المشكلات الاساسية التى تقوم فى وجه فكرة الوحدة العربية أو القومية العربية أم أنهـا فى مشكلات كانت لشىء ثم حولت لشىء آخر ؟ بمعنى أنها كانت لمقاومة فكرة معينة .. فلما تطور الزمن وجدت قضايا أخرى حول هذا السلاح العلنى والخفى لمقاومة تيار جديد .

ولنتكلم بصراحة هذه المرة .

خصائص القومية العربية

أن القومية العربية فكرة سياسية قومية أجتماعية أنسانية .

● **فهى فكرة سياسية لانها تهدف الى تحرير العرب من الاستعمار بشتى انواعه** ، سواء أكان أستعمارا ماديا يهدف الى السيطرة على الارض والثروات بأسم الاحلاف والمعاهدات أم كان أستعمارا مذهبيا يهدف الى السيطرة على الفكر والوجدان وهى بذلك – أى القومية العربية – من هذه الناحية ناحية التحرر من الاستعمار تعنى ايمانها بالحرية .

● **وهى فكرة قومية ، ترتكز الى وحدة الامة العربية فى مقوماتها الثلاثة : اللغة العربية والتاريخ العربى والارض العربية** ، وهى سلبية من جهة أخرى : فهى سلبية بمعنى أنها تقاوم دفاعا عن بقائها كل عدوان على اللغة ... وكل تشويه للتاريخ وكل احتلال للأرض ، فاذا فقدت جزءا من الارض أنسحبت الى اللغة والتاريخ . فـاذا أوشكت أن تفقد اللغة انسحبت الى التاريخ .. وتاريخ العروبة من القوة بحيث لا يغلب .. حتى اذا جاءت الردة

قوية استعاد التاريخ مواقعه العربيـــة وتنفست اللغـــة السعداء ، وأوشك العدو أن يجلو عن الارض ، وتجربـة القومية العربية من الناحية القومية .

● وهى - أى القومية العربية - ايجابية ، بمعنى أنها تتقدم لجعل اللغة لغة الشعب كله ، واللغة الفصحى بالذات ، وكشف عناصر القوة والمعيار الفكرى والسمو الانسانى فى التاريخ العربى لأن التاريخ العربى ليس تاريخ حكومات أو ملوك بقدر ماهو تاريخ شعب وتاريخ حضارة وتراث . وفى الوقت الذى تحاول فيه القومية العربية طرد الاستعمار عن الارض لاتقف عند هذا الحـد .... بل تحاول أن تجمع هـــذه الاجزاء المتنافرة فى دولة واحدة أو اتحادية حسب ما تقتضيه طبيعة العصر وارادة الشعب ومقتضيات الظروف ، وهى بذلك - أى القومية العربية - من هذه الناحية ، ناحية الفكرة القومية تعنى الوحدة دون الخوض فى أنواع هذه الوحدة .

● وهى - أى القومية العربية - فكرة اجتماعية بمعنى أنها تحاول أن تحقق العدالة داخل الوطن العربى وخارجه ، فالعدالة داخل الوطن تمس الفرد المواطن وتمس الوطن كله ، فهى تمس الفرد بمعنى أنها تؤمن له حقه فى العيش الكريم والعمل الشريف ليطمئن ويبدع ، وهى تمس الوطن كله لانها تحقق له الاشتراكية التى تتلاءم وظروفه بحيث تأتى - أى الاشتراكية - متفقـة ومنجزات الشعب العربى ومعبرة عن شخصيته ولا تحول دونه والابداع الفردى ضمن المجموعة البشرية التى ينتمى اليها الفرد العربى .

● وهى فى خارج الوطن العربى تعكس ايمانهـــا بالاشتراكية بوقوفها مع العدالة الاجتماعية ، وضد نهب الشعوب واستثمارها وامتصاص دمائهـا من أى جهة كان هذا العدوان ، ولذلك فالقومية العربية - من الناحية الفكرية الاجتماعية - تؤمن بالاشتراكية .

● وهى - أى القوميـــة العربية - فكرة انسانية فى الداخل أو الخارج وعلى المدى الطويل ، وهى فكرة لأنها :

- لا تتعصب ضد غيرها من الافكار القومية كما هو الحال فى أوربا ، وهى لم تجمع صفوفها للانقضاض على غيرها من الافكار القومية ، بل لتحرر نفسها وتبنى وطنها وتجمع صفوفها .

- تؤمن أن فهم الفـكرة القوميـــة بشكلها الانسانى ، هو الاســـلوب الوحيد الذى يقرب الشعب العربى من الانسانية ، وخير الف مرة للعرب أن يعرفوا الى العالم بقوميتهم من أن لا يكون لهم هذه القومية .

- تؤمن بحرية كل شعب وبحق الانسان أى انسان ، بأن يعيش ويفـكر ويتصرف دون أن يؤذى الآخـــرين وتؤكد هذا الحق لمواطنيها جميعا ، وتدافع عنه فى وطنها وفى العالم .

- تؤمن أن العصر هو عصر تحرر الشعوب وليس عصر التهام الشعوب على ملكة الأقوياء ، فهى مع الضعيف الى أن يقوى ومع الفقير الى أن يغنى ، ومع المريض الى أن يشفى ومع المحتاج الى أن تقضى حاجته ، وهى مع الانسان وقضايا الانسان فى كل مكان وكل زمان .



القومية العربية وسائر الأقليات

فاذا جئنا الآن لنرى كيف تبين القومية العربية رأيها فى سائر الاقليات وجدنا أن **القومية العربية فكرة تقوم على ثلاثة مبادىء** متداخل بعضها فى بعض وهى :

وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الأرض .

فأمام وحدة اللغة تناقش مشكلة الاقليات اللغوية .

وأمام وحدة التاريخ تناقش مشكلة الاقليات العنصرية .

وأمام وحدة الارض تناقش مشكلة الاقليات القومية .

وأمام القومية العربية كرسالة تحررية قوميـــة ، اجتماعية ، وانسانية تناقش مشكلة الاقليات الدينيـة أن كان ثمة أقليات دينية فى الوطن العربى .

ولكننا قبل أن نجيب على هذه الاسئلة التى تثيرها قضايا الاقليات ، يجدر بنـــا أن نعرف العربى ، **اذ فى الحقيقة من هو العربى ؟ .**

من هو العـــربى

ان العربى مبدئيا هو من كانت العربية لغته أولا ، ومن كان يسهم فى صنع التاريخ العربى ، ثانيا ، ومن

عاش على الأرض العربية ثالثا ، فاذا ما أنتفى شرط واحد من هذه الشروط الثلاثة وبقى شرطان ظل العربى عربيا .

● فالعربى من تكلم العربية ، وعاش على الأرض العربية .

● والعربى من تكلم العربية وساهم فى صنع التاريخ العربى ولو لم يعش على الأرض العربية .

● والعربى من عاش على الأرض العربية وساهم فى صنع التاريخ العربى ولو كان يتكلم لغة ثانية الى جانب العربية ، ذلك أن المساهمة فى صنع التاريخ العربى هى المعيار الحقيقى للمواطن العربى . واذا كان التاريخ العربى والايمان به هما شرطان أساسيان للعروبة .. فان الاقامة على الأرض العربية كفيلة بأن تكسب الوافدين أفرادا وليس جماعات ، مقدرة على تكلم العربية والاندماج فى الحياة العربية ومن ثم المساهمة فى صنع التاريخ العربى باعتباره حياة مستمرة نابعة من الماضى عبر الحاضر والمستقبل .

واذا أردنا تبيان الموقف العربى القومى من الأقليات اللغوية وجدنا أنه ليس فى العالم العربى أقليات لغوية .. ما دامت هذه الأقليات تساهم فى صنع التاريخ العربى ... والمواطنون العرب يعرفون هذه الأقليات اللغوية ويعرفون التى تساهم منها فى صنع التاريخ العربى والتى لا تساهم فيه .

أما موضوع الأقليات العنصرية ... فليس فى العالم **العربى من أقلية عنصرية سوى اسرائيل : شعبا ودولة .. لأن القومية العربية لا تعترف أصلا بها كدولة وتنفى كل امكان التقارب رغم الزمن ومنتهى حيل الاغراء والاعيب الحواة فهى لأنها لا تساهم فى صنع التاريخ العربى ولأن شعبها لا يتكلم العربية ستبقى أقلية عنصرية وسيبقى العرب فى كل يوم مطالبين باجتثاث جذورها من الأرض العربية .**

أما موضوع الأقليات القومية .. فان القومية العربية لا تعترف بالتجزئة الواقعة على الأرض العربية وتعتبر وحدة الأرض قضية مقدسة وكل اقتطاع طوعى أو بالاكرام حصل على الأرض العربية لفئة أو فئات ليست عربية من مقومات العروبة فيها لا يعتد ولا يعتبر حاضرا ولا مستقبلا وسيصحح ذات يوم .

أما موضوع الأقليات الدينية فليس فى العالم العربى من أقلية دينية سوى اسرائيل بسبب وحيد هو أن اسرائيل أتخذت من الدين شعارها القومى والعنصرى .. **والقومية العربية من حيث مدلولها العربى لا تضع دينا معينا شرطا مسبقا للايمان بالعروبة** والمقومات الأساسية للعربى هى كما قلنا اللغة العربية ، وصنع التاريخ العربى ، والحياة على الأرض العربية ، وكذلك فان العربى هو من توفر له شرطان من الشروط الثلاثة التى ذكرناها .

أما تأسيس العروبة على دين معين أو دينين معينين، فأمر مرفوض لعدة أسباب ، منها وجود أفراد يدينون بهذا الدين أو ذاك خارج الأرض العربية ... وما من مواطن واحد يستطيع أن يخدم العروبة الا اذا ساهم فى صنع التاريخ العربى وكان يتكلم العربية ولذلك **فان أدخال الدين كعنصر فى المقومات فكرة ذات جذور غريبة عن الدين الصحيح بالذات . فقد كانت فكرة عبث بها الاستعمار خلال عصور الانحطاط وضعفت المملكة العثمانية لأنها كانت دولة تقوم على دين معين الأمر الذى فتح قضية الأقليات أمام الدول الكبرى . وقد عبث بها المستغلون للفريق بين مواطنين يساهمون فى صنع التاريخ العربى ويتكلمون العربية ويعيشون على الأرض العربية.**

وحدة الأهداف

قضية الأهداف أخذت تثير جدلا كثيرا هنا وهناك من دنيا العرب اذ أن الهدف فى حقيقته تكريس لحاجات الانسان كلها ، وطاقاته كلها .. وهو بعد ذلك وضوح أشبه ما يكون باليقين .

ان الانسان العربى الذى استفاق مع بداية هذا **القرن قد وجد نفسه ، أسير عبودية سياسية تتمثل فى الاستعمار بانواعه ، وأسير عبودية اجتماعية تتمثل فى الاقطاع وسيطرة رأس المال الأجنبى ، وأسير عبودية التخلف بعد أن سبقه الى التقدم والتطور الانسان الغربى بمسافات بعيدة ، وكان يضاف الى هذه العبوديات كلها الحاح مادى وفكرى منظم على تشويه الفكرة العربية والحضارة العربية** ، فلا يبقى للانسان العربى وهو واقف وسط الأعاصير مقيدا بالسلاسل أى بارقة أمل فى نهضة عربية تعيد لنفسه الثقة بوجوده وبأمته وبطاقتها على الابداع والاسهام فى أغناء الحضارة ، وتنزع عنه شبح الخوف من الغد ، وتدحض أكاذيب المستعمرين ومن مشى فى ركابهم يعاونهم على طعن العروبة أرضا وأمة وفكرة ، فى صميمها طعنات مميتة .

ولكن الاصالة العربية التى مكنت العرب من الانتفاضة على غزو الابادة فى حطين وعين جالوت ، وبقاء اللغة العربية كالمصباح الذى ينوس رغم نضوبه من الزيت خلال أربعة قرون من الجهل العثمانى المنظم ، هذه الاصالة نفسها قد بعثت فى العربى من جديد قوة معنوية ومادية ، فأخذ ينتفض هنا وهناك من دنيا العرب ، على العبودية السياسية المتمثلة فى الاستعمار ، فأنتصر عليها هنا وهناك من دنيا العرب ، بحيث كان الجهاد داخل الحدود التى أقامها الاستعمار يحمل فى طياته جهادا شاملا ضد كل مخلفات الاستعمار وتحقيقا لكل الأمانى

التى مات من أجلها ملايين الشهداء العرب خلال حقبات لتاريخ الطويلة ، وهم **يحلمون بولادة انسان عربى جديد صاف كالشعاع ، قوى كالفجر ، كريم كماء السماء ، وبأمة عربية مبدعة قوية ترهب (بضم التاء) الأشداء ويطمئن الى حمايتها الأصدقاء وهى تنشر الحضارة ورسالتها الانسانية على أرضها وفى العالم ضمن نطاق من التعاون الذى لا يعتدى ولا يقبل العدوان .**

الانسان العربى الجديد

أن قضية التطور تتشعب وتتنوع ، فهى على مستوى الانسان ينبغى أن تنزع عن نفسه عقدة النقص حيال أى أنسان آخر فى العالم . ولا يمكن لذلك أن يتم الا اذا تساوى وأياه ... ولا يمكن أن يتساوى وأياه الا اذا لحق به وأستعمل الوسائل التى أستعملها . وهذه الخطوة مرتبطة قبل كل شىء بهذه الحضارة التى شملت كل شىء . اذ **لا يمكن للانسان العربى أن يتقدم خطوة واحدة فى طريق تحرره من عقدة النقص التى تلازمه الا اذا آمن بالعلم الايمان المطلق وانطلق فى طريق العلم كمن ينطلق فى طريق الايمان ، والا اذا أزال من طريقه العقبات التى تحول دونه وهذا العلم البصير** الذى يكشف عن ألف باء الحضارة الجبارة التى تهدر طاقتها فى أربعة أطراف المعمور ، والى جانب هذا كله ينبغى أن يقترن السعى من أجل العلم واللحاق بركب الحضارة ، بالسعى من أجل اختصار المسافات وضغط الزمن .

والوجه الثانى لقضية التطور يتصل بنضال الانسان العربى بالجانب القومى اذ ينبغى أن يقترن نضاله من أجل العلم والحضارة بنضاله من أجل التحرر من عبودية الاستعمار وسيطرة الاقطاع ورأس المال وطنيا كان أم أجنبيا : وتوزيع الثروات العربية توزيعا عادلا من أجل اقامة المجتمع المتحرر سياسيا والمجتمع المتحرر اجتماعيا، والمتحرر قوميا ، والمتحرر اقتصاديا ، فالتحرر السياسى الصحيح لابد من أن يقود الى وحدة الشعب ووحدة الأرض والتحرر الاجتماعى لابد من أن يؤدى الى التحرر من الاقطاع وسيطرة رأس المال الوطنى والأجنبى .

والتحرر القومى لابد من أن يؤدى الى تمكين الأمة العربية من لغتها وتاريخها وفكرها وعدم تأثرها بالأفكار والعقائد الطارئة على وجودها القومى حرصا على تأمين السلامة التامة للأرض العربية واللغة العربية والتاريخ العربى من أجل وحدة عربية تبرز شخصية الأمة العربية وعطاء العقل العربى ومساهمته فى الحضارة وبناء السلام ، والتحرر الاقتصادى لابد من أن يؤدى الى **خلق الاقتصاد الوطنى القوى والاعتماد على الثروات العربية** الدفينة والظاهرة ، لخلق اقتصاد زراعى صناعى تجارى متطور تام ، يوازى الاقتصاد العالمى فيتأثر به ويؤثر فيه ويبلور أمكانيات الأمة العربية فى نطاق منسجم من **التوزيع الصحيح لقوى الانتاج والاستهلاك ويحول دون تمركزها فى أيد قليلة محاربا الاحتكار** والسيطرة بالتشاريع التى توجد المراقبة المرنة، وتحول دون أنتكاسات رأس المال وتجنبه مخاطر الدورات الاقتصادية ، **وفق أنظمة عادلة تتفق والروح الثورية الاشتراكية التى تعطى لكل مواطن حقه من الفرص المتكافئة** ليبدع ذاته ويؤكد وجوده **ولا سبيل الى ذلك كله الا اذا قام فى الوطن العربى جبهة طليعية تحدد أهداف الأمة العربية فى الداخل والخارج** ، وتنهج نهجا ثوريا فى تنفيذ هذه الأهداف الكبرى .

وحدة الوسائل

أن تحقيق الأهداف الثورية للأمة العربية مرتبط ارتباطا كليا باعتماد الوسائل الثورية ، اذ لا معنى للأفكار الثورية اذا لم تكن الوسائل المؤدية اليها ثورية كذلك ، وفى التاريخ ، قديمة وحديثة ، أمثلة كثيرة على فشل كثير من الأفكار التى كانت ثورية فى زمانها ، ولكنها فشلت لأنها طبقت بأساليب غير ثورية ويتصل ذلك أكثر مايتصل ببنية الفكر الأصيل ، فالفكر الثورى لا يتجزأ فكرة ووسيلة الا اذا أردنا تبسيطه وشرحه ليكون مستساغا لأفهام الجماهير الثورية ، ولكنه فى حقيقته واحد لا يتجزأ كل لا ينفصل فيه هدف عن وسيلة .

طريق العروبة طريق السلام

لقد كان العرب ، لا يزالون طلاب وحدة عربية ، ولكنهم لا يزالون بحاجة الى من يطمس فى قلوبهم وعيونهم بعض الحدود السياسية التى أقامها الأجنبى على أرضهم ليلتقى المشرق بالمغرب والشمال بالجنوب ، وتقوم الدولة بكيانها القومى فيرتفع لواء العروبة على أساس من وحدة الأرض ووحدة الشعب ، ويترسخ انتصار الانسان العربى على التخلف وعقد النقص بمساهمته فى تحقيق أهداف أمته ومساهمته فى الحياة الانسانية والحضارة البشرية بعقل متوهج وقلب حار ، وتتوطد انتصارات الأمة العربية على التجزئة والكيانات، وعلى التخلف الاقتصادى بتوطيد النظام الاشتراكى العربى بشكل ثورى يمس الجذور العميقة ويغير الحياة الرتيبة تغييرا جذريا عميقا ، لتخط الأمة العربية بوحى من اصالة لغتها وتاريخها أول سطر فى صفحة الفكر العربى أو اليسار وتقوم الشخصية العربية بطابعها المتميز بعد أن تتولد كيانا واحد كان مبعثرا فى كيانات وأمة واحدة كانت موزعة فى شعوب ، ويجد المجتمع العربى سبيله الى التفاعل والتكامل بوحى من الظروف الجديدة لينفتح على العالم مجتمعا وضحت معالمه ووجد طريقه نحو الأهداف الكبرى للأمة العربية على المدى الطويل ، **حيث الاشتراكية بدلا من الظلم الاجتماعى ، وحيث فجر الوحدة بدلا من التجزئة ضمن نظام يتخذ من مبدأ التنظيم الثورى الواحد منطلقا لترسيخ أهداف القومية العربية فى عالم تسوده الحرية وتخفق فوقه رايات السعادة والرفاهية والمجد .**

على بدور

قضية فلسطين

على أقلام الغربيين

فتحى العشرى

● ايثيل مانين الكاتبة الانجليزية تتنبأ لعرب فلسطين بالعودة الى وطنهم السليب ! .

● الفريد ليلينتال الكاتب اليهودى الامريكى يستنكر العدوان الاسرائيلى ومناصرة أمريكا له ! .

● آلان تيلور المؤرخ الأمريكى يدين اليهود لجريمتهم البشعة فى فلسطين ! .

● ابنة موشى دايان تكشف عن عدم رغبة اليهود فى الاقامة داخل اسرائيل ! .

● أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل كان ذات يوم يؤيد القومية العربية ! .

نستعرض على هذه الصفحات أراء طائفة من كتاب الغرب الذين يدينون الاحتلال الصهيونى لأرض فلسطين كما يدينون أوطانهم أو بالأحرى يدينون حكومات أوطانهم المستعمرة لأن الشعوب لا تدان !.

الطريق الى بئر سبع

الكتاب الأول الذى يطالعنا هو رواية « الطريق الى بئر سبع » للكاتبة ايثيل مانين ..

وايثيل مانين روائية معاصرة من أصل ايرلندى ولدت فى لندن عام ١٩٠٠ ، وترجمت رواياتها الى الفرنسية والألمانية والهولندية والاسبانية والايطالية . أما هذه الرواية « الطريق الى بئر سبع » فلم تترجم الى اية لغة غير اللغة العربية .. (مطبوعات كتابى ترجمة الدكتور نظمى لوقا) .

والرواية تصور بصدق خالص وموضوعية كاملة مأساة العدوان الصهيونى على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .. تلك السنة المشئومة الغادرة .

وقد اهدت المؤلفة الانجليزية روايتها الى :

اللاجئين الفلسطينيين ومن أجلهم .

أولئك الذين قالوا لى فى الأقطار العربية التى استضافتهم :

ــ لماذا لا تكتبين قصتنا نحن ، قصة الخروج الآخر .. خروجنا نحن ؟! .

كما ذكرت المؤلفة كلمة شهيرة ليشوع يقول فيها لليهود : « واعطيتكم أرضا لم تتبعوا عليها ومدنا لم تبنوها وتسكنون بها ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون . »

ولا تعنينا الآن الرواية على قيمتها والتى نوصى بقراءتها ، ولكن الذى يهمنا حقا هو تلك المقدمة التاريخية الرائعة التى قدمت بها المؤلفة روايتها التى لا تقل عن مقدمتها روعة .

تقول ايثيل مانين : « ثمة بلد يسمى فلسطين كان قائما حتى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وهو بلد عربى تزيد نسبة العرب فيه على ٩٠٪ حتى وعد بلفور ١٩١٧ الذى أكدت فيه الحكومة البريطانية تعهدها بقيام وطن قومى لليهود فى فلسطين . فالعرب مسلمين ومسيحيين كانوا ٦٧٠ ألفا بينما اليهود كانوا ٥٠ الفا فقط . »

وتستكمل الكاتبة الانجليزية غير المنحازة عرضها لتطور الزحف الصهيونى غير المشروع ، كاشفة عن مطالبة السير « هربرت صمويل » اليهودى الصهيونى بهجرة ثلاثة أو اربعة مليون يهودى الى أرض فلسطين .. وكاشفة أيضا عن تأييد الزعيم الصهيونى وايزمان للدعوى التى دعت فى سنة ١٩٢٠ الى الانتداب البريطانى على فلسطين وانشاء مكتب للجوازات فى برلين لتزويد هجرة اليهود الى فلسطين .. **وقد ظن العرب أنهم بالوقوف الى جانب الحلفاء يسعون من أجل الحصول على استقلالهم ولكنهم فى الحقيقة خدعوا خدعة كبرى .. خدعوا لأن عدد اليهود ارتفع من ٥٠ ألف الى ٦٠٠ ألف .. وخدعوا لأن قرى عربية دمرت عن آخرها وانشئت بدلا منها مستعمرات يهودية .**

ثم قامت الحرب العالمية الثانية نذير شؤم على الآمال العربية .. وظهر واضحا أن الفرض لم يكن انشاء وطن قومى يؤوى اليهود من الاضطهاد فى مختلف البلاد ، وانما هو اقامة دولة يهودية كاملة الدعائم مستكملة الأركان .

وهكذا اتخذ اليهود من الاضطهاد النازى سندا قويا لاستدرار عطف ضعاف القلوب وضعاف العقول .

وتقرر الكاتبة ان ترومان هو الذى عجل فى سنة ١٩٤٦ بدخول ١٠٠ الف يهودى الى فلسطين وهو الذى فتح ابواب الأرض السليبة لكل يهودى مهاجر ومغامر ..

واخيرا « احيلت اوراق فلسطين » الى الأمم المتحدة التى اوصت بتقسيم جسد هذا البلد المفترى عليه . بل ان ترومان نفسه تحدث عن الضغط الصهيونى الذى لم يواجه البيت الأبيض مثله من قبل ، وكذلك تحدث روبرت نوفيت وزير الخارجية عن نفس هذا الضغط .

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ٤٧ قررت الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين باغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وامتناع ١٠ عن التصويت .

اما قرار التقسيم فقد قضى بمنح ٦٠٪ من فلسطين — مع اختيار أخصب المناطق — لليهود الذين أصبحوا يمثلون ثلثى السكان .. ولم يتبق غير مليون فلسطينى طردوا وشردوا وكوموا فى الضفة الغربية من الأردن التى ضمت بعد حرب ٤٨ الى الضفة الشرقية فقامت دولة الأردن . وأصبحت غزة ، وهى أرض فلسطينية حرة ، خيمة كبيرة للاجئين . وفى عام ١٩٦٢ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر دستورا خاصا للمنطقة يكفل لها حق الوجود وشرف الحياة .

فر العرب اذن من الارهاب الاسرائيلى ولم يبيعوا ارضهم كما يقال .. ومذبحة «دير ياسين» فى ابريل ٤٨ خير شاهد على هذا .. ولم يحدث أن تلقى اى طريد عربى تعويضا عن بيته السليب .

وفى كل عام تؤكد الأمم المتحدة حقوق عرب فلسطين ولكن ما من أحد يسمع وما من أحد يستجيب .. وفى كل عام يعتدى اليهود على خطوط الهدنة فتنذرهم هيئة الهدنة الدولية ، ولكن ما من أحد يسمع وما من أحد يستجيب .

وكم من بلاد قسمت وظل سكانها كما هم ، وكم من بلاد سلبت وظلت أسماؤها كما هى .. أما فلسطين فقد قسمت بل انتزعت ولم يعد لها سكانها الأصليون بل لم يبق لها اسمها الأصلى .. شىء واحد هو الذى بقى : التشتت الفلسطينى ومأساة اللاجئين .

وهكذا تنهى ايثيل مانين مقدمتها الموضوعية لروايتها الانسانية التى أصدرت بعدها رواية أخرى عن عرب فلسطين اسمها « طريق العودة » .. وكأن المؤلفة تشاركنا هذه الأيام الروائع التى تشهد طريق العودة رغم كل تآمر ورغم كل عدوان .

الوجه الآخر من العملة

والكتاب الثانى لكاتب يهودى أمريكى هو **ألفريد ليلينتال** واسم **الكتاب « الوجه الآخر من العملة »** الذى يكون مع كتابى « **كم تساوى اسرائيل ؟** » و « **هكذا يضيع الشرق الأوسط** » ثلاثية « الأرض المقدسة » .

يسير تفكير ليلينتال فى اتجاهين أولهما يعبر عن الجانب الأمريكى فى شخصيته والذى ينظر من خلاله الى واقع السياسة الأمريكية كما يتغلغل فيها النفوذ الصهيونى فيورطها فى الانحياز لاسرائيل ضد العرب ، ويجعلها تضع اسرائيل فى مقدمة أعمالها الدفاعية والعدوانية معا . ويستنكر ليلينتال هذه السياسة المنحازة لما يراه من تأثير سىء على أمريكا ومصالحها فى الشرق الأوسط .

وثانى الاتجاهين يعبر عن الجانب اليهودى فى تفكيره ، ولكنه اليهودى المعتدل الذى يدافع عن المصالح اليهودية بالوسائل المعقولة فيرى **أن النشاط الصهيونى المحموم وقيام اسرائيل على أساس عنصرى ومطالبتها بولاء جميع اليهود فى العالم ، كل هذا وكثير غيره كان من شأنه الاضرار بالوجود اليهودى فى كثير من بلدان العالم والاضرار كذلك باليهودية نفسها من حيث هى دين .**

ويضم كتاب « اسرائيل .. الوجه الآخر من العملة » ١٤ فصلا يبدؤها المؤلف بقوله انه لم يكن يكتب فى هذا الموضوع الحساس وفى ذهنه العاصفة التى ستهب فى وجهه والحملة التى سيشنها عليه يهود العالم وصهاينته . لأنه لو فكر فى هذا لما كتب موضوعه أصلا أو لما كتبه على الأقل بهذا الوضوح وتلك الصراحة . فهو يرى أن المشكلات التى يناقشها ستزداد عواقبها الوخيمة على كل من اليهود انفسهم والولايات المتحدة اذا ما تجاهلها ، وستقل اذا ما كشف عنها وحاول أن يقدم لها العلاج .. وهو كيهودى محب لدينه وأمريكى محب لوطنه ، يضحى بالعاصفة الجماعية المحمومة فى سبيل الصالح الكلى العام وفى سبيل اقناع أكبر قدر ممكن من الأفراد كل على حدة .

يقول ليلينتال : « ان الكارثة الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية هى ان كثيرين ممن تراودهم الشكوك الخطيرة فى السياسة التى يتبعها الاسرائيليون ويتعهدها الأمريكيون بشكل واضح ، يخافون خوفا عميقا من اعلان هذه الشكوك .. **ولا يمكن باى حال من الأحوال عرض السجل الحافل بالوان الضغط والقمع والارهاب التى يتعرض لها الأمريكيون الخائنون ، ذلك لأن ضحايا الاستسلام للضغط الارهابى اليهودى يخشون عادة ويخجلون من فضح ما يتعرضون له .** »

كل هذا غير واضح فى ذهن اليهودى العادى لأن اسرائيل لا تزال تمثل فى نظره ، وكما خدعوه ، الملاذ العاطفى الذى تهفو اليه نفسه ان لم يكن جسده أيضا .

وتحت عنوان « داخل الصهيونية » يكشف المؤلف عن نشاط المنظمات الصهيونية وتحالفها مع المانيا النازية ، وميل وايزمان وبن جوريون وموسى شاريت الى ذلك التحالف الذى كان يعد خطوة اساسية نحو انشاء دولة سياسية وليس نحو انقاذ روح الانسان اليهودى ..

حتى يخيل لنا ان الشىء الوحيد المغفور لهتلر من بين كل جرائمه هو هذه الجريمة التى اراد ان يتخلص بها المانيا من خطر اليهود وخطورتهم .. ولكن **الصهيونية استطاعت بعد ذلك أن تبث الشعور بالذنب فى ضمائر الألمان** فاجبرتهم على تعويض اسرائيل بالمال والسلاح تكفيرا عن (الجريمة) التى ارتكبها هتلر .. والحقيقة أن الرجل على الرغم من كل جنونه كان يحمى الألمان من غدر اليهود .. بل ان اليهود هم الذين اصابوه بالجنون وحولوه الى سفاح ودفعوه الى اشعال نار الحرب العالمية الثانية كما يحاولون اليوم ان يدفعوا جونسون الى اشعال نار الحرب العالمية الثالثة .

ونقول للألمان اليوم هل التكفير عن الذنب ، ان صح انهم قد اذنبوا ، معناه **تسليح اسرائيل بما تقتل به العرب** ؟ هل التكفير عن الذنب معناه مساعدة من وقع عليهم الذنب لايقاع الضرر بغيرهم وتحمل آثام ذنب جديد ؟ هل التكفير عن الذنب أصبح هو ارتكاب الذنب ؟!

ولنعد الى ليلينتال لنسمعه يقول : « فى الشهور الأولى من حكم هتلر كان الصهيونيون هم وحدهم اليهود الذين يتصلون بالسلطات الألمانية ، وكانوا يستغلون مراكزهم لطعن القوى المعادية للصهيونية ، وكان أمل الصهيونية المتمركزة فى المانيا ان يؤدى اختلافهم مع النازى الى هجرة اليهود الى فلسطين ، ونتج عن ذلك أن تم الاتفاق بين السلطات النازية والوكالة اليهودية لفلسطين على مساعدة الصهيونيين فى مشروعات الهجرة الى الأراضى المقدسة ، بل لقد ساعد الجستابو وفرق القمصان السود فى عمليات التهجير لأن ذلك فى رايهم كان وسيلة اخرى لتخليص أوربا من « اليهود المكروهين » » .

ويستطرد الكاتب اليهودى الأمريكى غير المنحاز قائلا : « ان هتلر هو السبب الذى ادى الى انتصار الصهيونية وقيام دولة اسرائيل ، فلولا جرائمه معهم لما استطاعوا بعد ان جندوا عددا كبيرا منهم أن ينجحوا فى تحقيق هدفهم » .

ويعلن المؤلف صراحة ان الأمريكيين من اليهود الذين خضعوا منذ نشأتهم للدعاية الصهيونية اصبحوا اليوم وبارادة كاملة يخونون الوطن الذى نشأوا فيه .. أصبحوا يخونون أمريكا نفسها !

وهكذا تضيع أسطورة **« الولاء المزدوج » التى نادى بها بن جوريون ، ولاء اليهود للدولة التى يعيشون فيها وولاؤهم فى الوقت نفسه لدولتهم الأم اسرائيل ..**

تضيع هذه الأسطورة لأن الاضرار بالدولة الوطن فى سبيل اسرائيل لا يعد ولاء مزدوجا ولا غير مزدوج لأنه بالضرورة **خيانة لاحدى الدولتين** .. بل ان بن جوريون يقولها صراحة .. يقول ان الدبلوماسيين الاسرائيليين المبعوثين فى أمريكا والدول الأخرى لممارسة مهامهم الدبلوماسية انما يقومون فى الوقت نفسه بدور الجاسوسية لحساب اسرائيل . لذلك لم يكن من قبيل المصادفة ان يكشف احد الدانمركيين من اليهود وهو أوتو ليفيسون رئيس الطائفة اليهودية فى كوبنهاجن ، أن يكشف خرافة الولاء المزدوج فيرد على بن جوريون قائلا : « اننا معشر الدانمركيين من اليهود لا نريد مكانا اسعد من هذا المكان الذى نعيش فيه .. اننا لا نعانى من مركبات النقص وانما نشعر أننا جزء لا يتجزأ من الشعب الدانمركى .. اننا دانمركيون أولا ثم يهود بعد ذلك ولم يورطنا هذا فى أى منازعات على الاطلاق . »

ثم يؤكد مؤلف « اسرائيل .. الوجه الآخر من العملة » أن سيطرة الصهيونية على الراى العام الأمريكى والبريطانى هى السبب القوى فى نجاح مخططاتها ، وهو يلقى اللوم على العرب الذين لا يبذلون جهدا كبيرا لانارة الراى العام الذى لو علم الحقيقة لما سار فى ركب الدعاية والخداع .

المدخل الى اسرائيل

بعد الكاتبة الانجليزية ايثيل مانين والمؤلف اليهودى الامريكى الفريد ليلينتال يجىء هذا الكاتب آلان تيلور صاحب كتاب « **مدخل الى اسرائيل** » .

وآلان تيلور مؤرخ امريكى معروف بدراساته غير المنحازة للاستعمار الاسرائيلى فى فلسطين وهو فى كتابه هذا الصغير والخطير معا يستعرض فى ايجاز الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ .

ويؤكد المؤلف الأمريكى أن الاستعمار الاسرائيلى ما هو الا حركة عدوانية لا تحيد عن هذا الخط وله سياسة تتمثل فى حشد اليهود داخل اسرائيل وتوسيع حدود هذه الرقعة من الأرض بحيث تشمل النيل والفرات وما بينهما .. ثم يبين المؤلف الدور الذى قامت ولا تزال تقوم به الولايات المتحدة لمساندة اسرائيل وجعلها راس حربة تسيطر بها على الشرق الأوسط وفى طليعته الجمهورية العربية المتحدة .

ويبين المؤلف أن **الحركة الصهيونية حركة سياسية وليست حركة دينية كما يعتقد الكثيرون** .. والدليل القاطع على ذلك هو تأكيد زعماء اسرائيل أنفسهم لهذا المعنى .. وما قالوا بفكرة الدين الا لكى يرسموا صورة رومانتيكية لفكرة « العودة » يجذبون بها اليهود من أطراف العالم .

وبعد ان تحدث آلان تيلور طويلا عن الصهيونية السياسية التى لا تستهدف سوى اقامة الدولة اليهودية ، يتحدث طويلا ايضا عن الصهيونية الثقافية التى تهتم ببعث اللغة العبرية والتراث اليهودى .. غير أنه يستبعد هذه الصهيونية الثقافية كحركة لها اثر كبير فى التخطيط السياسى الذى مهدت له الدبلوماسية الصهيونية الطريق واسعا وطويلا منذ الحكام الأتراك والقياصرة والألمان الى الساسة الانجليز ثم البيت الأبيض فى الولايات المتحدة .

سعى اليهود فى البداية الى أنشاء دولتهم فى الأرجنتين ولكنهم عادوا فعدلوا عن هذه الفكرة .. ثم سعوا لانشائها فى أوغندا ولكنهم استبعدوا هذه الفكرة أيضا لعدم تحمسهم للمكان .. وأخيرا لم يجدوا غير فلسطين لما فيها من خيرات ولما تتضمنه من معنى دينى من شأنه جذب يهود العالم ولقربها من قناة السويس حلم الصهيونية بعيد المنال .. وهكذا قبلوا أيام الانتداب البريطانى أن يقيموا فى صحراء سيناء على الرغم من جفافها انتظارا للانقضاض على فلسطين وتكوين دولتهم فيها تمهيدا للزحف الطائش على سائر المنطقة العربية .

وفى ختام الكتاب الذى يعد « وثيقة تاريخية خطيرة ضد الحركة الصهيونية وضد اسرائيل وضد الدول التى ساعدت على قيامها . » يقول آلان تيلور : « عندما فرض الصهاينة دولتهم فى ارض شعب آخر دون أدنى موافقة منه ، عرضوا انفسهم بذلك العدوان لعداوة هذا الشعب ومعارضته الشديدة . ان هذه العداوة سوف تجعل دوام وجود اسرائيل فى الشرق الأوسط أمرا مستحيلا . »

نعم ان وجود اسرائيل فى فلسطين لن يدوم ، ولسوف تعود فلسطين الى أبنائها ولسوف يعود الأبناء العرب الى امهم فلسطين .. ان لم يكن اليوم ففى الغد القريب والقريب جدا .

طوبى للخائفين

ونترك الصيحات المنصفة التى تجىء من دول الغرب بل من الدول التى ساعدت اسرائيل فى عدوانها الغاشم الاخير وهى أمريكا وبريطانيا ، نتركها الى حين لنسمع الصيحات المذعورة الخائفة التى لا تزال تشعر بالاثم والذنب ومن ثم بالخوف والقشعريرة والتى تنطلق من داخل اسرائيل .. من هذه الصيحات صيحة الأديبة الشابة **يائيل دايان** فى روايتها قبل الأخيرة «**طوبى للخائفين**» .

ويائيل دايان هى ابنة موشى دايان وزير الدفاع الاسرائيلى الذى عين فى الأيام الأخيرة فى هذا المنصب لما عرف عنه من ميول مجنونة للحرب .. ولكن يبدو أن ابنته على النقيض منه تماما ، فقدكتبت هذه الرواية « طوبى للخائفين » وهى فى العشرين من عمرها محاولةبذلك أن تحذو حذو الكاتبة الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساجان .

والرواية بمثابة صـــورة بانورامية مكبرة للمجتمع الاسرائيلى والمنـاخ النفسى الرهيب الذى يعيش فيه هذا المجتمع السارق المتخفى فى الظلام .

تبــدأ الرواية فى احدى القرى الاسرائيلية بالقرب من سوريا قبل قيـــام دولة اسرائيل فى شكلها الراهن ، ذلك لأن فلسطين كانت لا تزال قائمة ..

وبطل الرواية هو الطفل « نيمرود » الذى جاء مع أبويه الروســـيين الى قرية « بيت عـــون » الفلسطينية . الأم شديدة الطيبة بالغة التدين اما الاب فلا هو طيب ولا هو ممن يقدســـون الدين ، فهو يريد أن ينزع الرحمة والايمان من قلب الطفل حتى ينشـــأ قويا لا يخاف مقاتلا ولا يخشى الموت .. ومع ذلك فالطفل نيمرود يترك غيره من الأطفال الذين يلعبون لعبة « من هو القوى ؟ » معرضـــا عن مثلهم الأعلى وهو « جيـــديون » أو الرجل الصخرة كما تسميه القرية الى « لاميش » الأسكافى العجوز الذى يؤمن بالله ويصحب الطفل معه الى الكنيسة .. ويثور الأب وينهر الطفل ويمنعـــه من مخالطة لاميش هذا ، لأنه فى نظر الأب نموذج لليهودى الضعيف الخائر الذى يعبد الرب القديم دون أن يشعر بما طرأ على ربه من تغيير . ولذلك فهو يضع حفنة من تراب الأرض الجديدة فى يدى ابنـــه صـــارخا فى وجهه : « هـــذا هو ربك الوحيد » .

وتحتفل الأسرة بعيد ميلاد نيمرود فيهديه الأب خنجرا لامعا حادا بينما يتسلل لاميش ليترك له تحت الوسادة ارنبا من الجلد .. وهنا يتصدى له الأب فيدخل الاثنان فى هذا الحوار : انني اريد ان يكون نيمرود شجاعا لا يخاف .. ويرد الأسكافى العجوز : الشجاعة صفة حميدة اما عدم الخوف فهو صفة بشعة دميمة ،انك تريد أن تقتل فيـــه كل خوف ولكن يبقى له خوف رهيب .. خوفه من أن يخاف . ويرد الأب : وما العيب فى ألا يخاف ؟ . فيجيب العجوز : من لا يخاف لا يستطيع ان يحب ! .

ويكبر الطفل فتكون الحرب العالمية قد انتهت وتكون دولة اسرائيل قد أعلنت ويكون لاميش قد مات .. أما جيديون الصخرة فقـــد أصبح واحدا من ضحايا الحرب بترت ذراعه وقطعت احـــدى ســاقيه .. وذات يوم يزور نيمرود « الصخرة » فى بيتـــه فيجده مهزوما مكسورا ينهـــاه عن آرائه العدوانية القديمة وينصحه بالعودة الى تعاليم لاميش .. ولكن الأوان قد فات فنيمرود قد شب على الأفكار السائدة بين أبناء القرية : العنف والالحاد وعدم الخوف ..

ويصل فوج جديد من المهاجرين اليهود .. فوج قادم من بودابست بالمجـــر .. ويلتقى نيمرود الشاب القوى الذى لا يخاف بايللى الفتاة الرقيقة الحالمة التى تصدمها الحياة الجسدية التى تحياها القرية غير عابئة بالمعانى والمشاعر والأحاسيس .. ومـــع ذلك يولد الحب بين الطبيعتين المختلفتين وينمو على الرغم من ذلك الى أن يعرف طريقه الى الزواج .

وتختفى صـــورة نيمرود قليلا تاركة أرض الرواية لصور أخرى كثيرة تصور جوانب التمزق الحضارى داخل المجتمع الاسرائيلى .. تصور **التناقض المائل فى احتقار اليهود الأوربيين لليهود الشرقيين .. وتصور التناقض الصارخ بين أهل المـدن وأهل القرى وصـــعوبة التعامـــل بين الفريقين .. وتصور استحالة ارتباط اليهودى بالأرض وتحويله الى مزارع فلاح بعـــد أن كان تاجرا سمسارا** يفيـــد من المجتمع الذى يعيش فيه ..

وبعد ان تصور الكاتبة كل هذه التناقضات التى يطفح بهـــا المجتمع الاسرائيلى تعـــود الى صورة نيمرود من جديد ، تعود اليه لتصوره فتى شجاعا لا يخاف ، يحاول أن يتسلق « جبل الثلج » القائم عند حدود سوريا ولبنان . وهى رحلة رمزية تكشف عن رغبة اليهود فى التسلل والتوسع **واختراق الاطار المغلق الذى يعيشون فى داخله وهو اسرائيل .**

غير أن عودة نيمرود من «جبل الثلج» تسجل هبوطا اضطراريا فى خطه الصـــاعد وكذلك فى نجمة اسرائيل الهاوية الى الحضيض .. فقد ماتت الشجاعة فى قلبه بموت الرجل الصخرة « جيديون » الذى مات منتحرا بعد أن يئس من نفسه ومن الحيـــاة ، كما نبت الخوف فى قلبه عندما رأى ابنه مشرفا على الغرق فى نهر الأردن وهو يلعب مع أترابه لعبة « من هو القوى ؟ » ..

وفى نهـــاية الرواية يبكى نيمرود الصخرة الجـــديد الذى يتحطم كما تحطم من قبـــل مثله الأعلى جيديون الصخرة القديم .

وهنـــا يظهر والد نيمرود ليقول لابنـــه الصخرة التى فتتتها موجات الحياة وألقت بها على شاطىء اليأس :

« ابك يا بنى .. بلا خجل ! حدث ابنك بحكايات لاميش القديمة وحاول أن تصلى ! » .

وقد قدم الأستاذ **أحمد بهاء الدين فى كتابه الهام « اسرائيليات »** عرضا وافيا لهذه الرواية ،



ولكن الذى نستخلصه من الرواية هو أن المؤلفة ارادت أن تكشف القناع عن حقيقة الوجود الاسرائيلى مبينة انه لم يقم على فكرة الدين لأن اليهود أنفسهم يهربون من دينهم ، ولكنه قام نتيجة لاحتقار المجتمع الأوربى لليهود واضطهاده لهم ، وما تكوينهم دولة خاصة بهم الا ثأرا من المجتمع الأوربى نفسه ومحاولة لرد الاعتبار .. كما تنفى المؤلفة فكرة اقامة « جنس ممتاز عن سائر البشر » وترى أنها دعوة عنصرية فاشلة لا تسعى الا الى تشويه الانسان ولا تعدو أن تكون فكرة نازية جديدة .. ذلك أن فكرة القوة والتوسع والعدوان هى الفكرة التى تتسلط على اليهود فى بناء مجتمعهم القائم على السلب والعدوان .. وما رواية المؤلفة فى النهاية **الا كلمة الجيل اليهودى الجديد الذى يعيش داخل اسرائيل ويعانى المتناقضات** الماثلة فى مجتمعه غير المستقر والمصاب بالهوس والجنون .. **انه جيل حائر « يكاد يرى أن انشاء دولة اسرائيل بالنسبة له لم يكن حلا للمشكلة ولكنه كان بداية مشكلة هائلة** .. مشكلة تتلخص فى عبارة : الى أين ؟! »

الى الجحيم بلا شك .. الى الفناء بلا أدنى جدال ..

موجة القومية

ونترك ابنة المحارب المحترف والمقاتل المرتزق موشى دايان لنلتقى بالسياسى الذى لا يقل عنه احترافا والدبلوماسى المرتزق هو الآخر أبا ايبان صاحب كتاب «موجة القومية» .

وأبا ايبان هذا هو وزير خارجية اسرائيل كما نعرف جميعا وهو **يهودى فلسطينى الأصل يجيد اللغة العربية حتى لقد قام بترجمة رواية توفيق الحكيم الشهيرة « يوميات نائب فى الأرياف »** .

وكتابه « موجة القومية » كتاب خبيث ، ولكن على الرغم مما فيه من خبث نستطيع أن نقف عند الفقرات التى تهمنا نحن تاركين الفقرات التى تهمه هو .. أما الفقرات التى تهمنا فهى تلك التى يعترف فيها بفكرة القومية العربية وامكان قيام هذه الفكرة وتحقيقها على أرض العرب .. فهو يقول : « ان مركز الحركات القومية قد انتقل من أوربا الى آسيا وأفريقيا .. وأكثر هذه الحركات سطوعا هى تحرر الأمة العربية .. فلم يحدث فى تاريخ العرب أن كانت لديهم الفرص فى ظل أكثر من ١٠ دول عربية مستقلة عدد سكانها أكثر من ٨٠ مليونا ومساحتها أربعة ملايين ميل مربع تضم ثروات طبيعية هائلة وتضم مراكز الحضارة العربية التى وصل فيها العقل العربى الى أقصى درجات الاشعاع مثل القاهرة ودمشق وبغداد .. ولم يحدث فى تاريخ العرب أن كانت لديهم الفرص الهائلة سياسيا واقتصاديا كالتى تتوافر أمامهم الآن .. فرص ضخمة تزيدها ذكريات المجد ثراء . »

ولكنه يعود فيرجع صعوبة قيام الوحدة العربية لأسباب أهمها توتر العلاقات بين العرب أنفسهم ، وتوتر علاقتهم بالغرب وتوتر علاقتهم باسرائيل ..

قال أبا ايبان هذا كله منذ وقت بعيد ولكنه لم يضع فى اعتباره هذه الأيام المجيدة التى تعيشها الأمة العربية وقد توحد العرب شعوبا وحكومات

للسببين اللذين ذكرهما وهما توتر علاقة العرب بالغرب وتوتر علاقتهم باسرائيل . بل ان هذا التوتر الذى يتحدث عنه أبا ايبان قد تصاعد الآن حتى اصبح حربا ضارية يخوضها العرب جميعا ضد أمريكا وتابعتها بريطانيا واداتهما اسرائيل .. اسرائيل التى يراس هو نفسه وزارة خارجيتها ويسعى لدى أسياده من ساسة الغرب ليدافعوا عنها ، ذلك الدفاع العدوانى الغادر ، ولكن هذا الاسم المؤقت (اسرائيل) ستمحوه وحدة العرب ان آجلا أو عاجلا وقد أصبحت اليوم وحدة حية حقيقية بعد أن كانت بالأمس حلما صعب التحقيق فى راس أبا ايبان .

وحشية اليهود فى اسرائيل

وليس أدل على وحشية اليهود فى اسرائيل نفسها ولا مشروعية الوجود الاسرائيلى بل الضمير الاسرائيلى نفسه من هذه الفظائع التى يرتكبها الاسرائيليون فى معاملتهم للعرب الفلسطينيين الذين يقيمون فى داخل اسرائيل .. فهذا الكتاب « **وحشية اليهود فى اسرائيل** » الذى ألفه لفيف من الكتاب اليهود والأجانب فى اسرائيل وفى خارجها يندد بوحشية السلطات الاسرائيلية فى معاملتها للعرب الذين يعيشون فى فلسطين المحتلة ، اما لأغراض حزبية أو لانتفاضة ضمير هؤلاء الكتاب .

كتب الصحفى اليهودى الأمريكى هال لهرمان يقول : « فى اسرائيل لا يسمح للعرب أن يهتموا برعاية مزارعهم وأراضيهم فهم يقيمون فى أماكنهم تحت ضغط الارهاب ولا يسمح لهم بالتنقل أو السفر بل هم يدفعون فوق ذلك ضرائب عن أراض وعقارات لا يستفيدون منها شيئا ، وهم يعيشون فى بطالة مخيفة .. وقد كانت لهذه الأقلية وزارة الغيت منذ وقت طويل . »

وكتب الكاتب اليهودى ميرى يقول : « على بعد دقائق من انوار تل أبيب يفاجأ المرء بأكداس من الخرائب تكون حى المنشية العربى فى يافا .. ان المسافة لا تتجاوز مسيرة ثلاث دقائق ولكنها تنقل المرء من عالم الى عالم آخر مختلف عنه كل الاختلاف ، فهذا العالم الذى يسكنه الفلسطينيون من العرب عامر بالقذارة والبؤس ، يعيش فيه ٧٥ ألف عربى ضربت حولهم الأسلاك الشائكة واقيمت الحراسة المسلحة وحظر عليهم مغادرتها .. مغادرة هذه الأسلاك . »

وكتب الكاهن الكاثوليكى الموفد الى اسرائيل من قبل الكردينال الكاثوليكى الامريكى لتفقد حالة العرب يقول :

« ان اليهود يعاملون الأقلية العربية معاملة من شأنها القضاء على الجنس العربى فى اسرائيل ، وان اللاجئين الذين يعيشون فى خارج اسرائيل لهم بالنسبة لاخوانهم المقيمين فى اسرائيل كمن يعيش فى جنة النعيم . »

وقد أخفى الكاهن اسمه خشية انتقام يهود أمريكا ! .

وكتب المحرر السياسى لجريدة « كول هاحام » الصهيونية يقول : « ان ما تلحقه سلطات تل ابيب بالأقلية العربية المقيمة فى اسرائيل من تعذيب تهدف من ورائه الى اجلاء هذه الأقلية عن وطنها أو جعل المناطق الخاصة بهم بمثابة منفى للعرب يلاقون فيه صنوف العذاب ، وكأنهم حفنة من المساجين . »

وكتب أخرى كثيرة

وهناك كتب أخرى كثيرة لا يتسع المجال هنا للتحدث عنها أو حتى لعرضها ولكنها بصفة عامة تؤيد القضية الفلسطينية وتدافع عن الحق العربى فى فلسطين فى الوقت الذى تدين فيه اليهود الصهيونيين وتكشف عن مؤامرة الغزو ومؤامرات التوسع التى يضعون فى اعتبارهم أنها الخطوة التالية للجريمة الأولى ..

من بين هذه الكتب كتب تعرضت لحرب السويس كاشفة عن فشل العدوان الثلاثى وخيبة الأمل التى حلت باسرائيل الى جانب الخسائر المادية التى لحقت بطرفى العدوان .. وكم من كتب ستتعرض لحرب سيناء الأخيرة كاشفة عن العدوان الثلاثى الجديد !

الكتاب الأول للكاتب الفرنسى **هنرى آزو** ويسمى « **فخ السويس** » .

والكتاب الثانى للكاتب الأمريكى **هيرمان فينر** ويسمى « **دالاس والسويس** » .

والكتاب الثالث للكاتب اليهودى **ميشيل بن زوهار** ويسمى « **السويس .. سرى جدا** ».

والكتاب الرابع للمؤلفين الأمريكيين اليهوديين **چون ودافيد كيشى** ويسمى « **الطرق السرية** » ولهما كتاب آخر اسمه « **أقدار متصادمة** » بين عرب فلسطين ويهود اسرائيل .

اما عن عرب فلسطين فنذكر كتاب المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى « **فلسطين .. جريمة ودفاع** » ..

وأما عن يهود اسرائيل فنشير الى كتاب المؤلفة الأمريكية **الين بتى** « **أزيلوا .. اسرائيل** » ..

أجل .. سوف نزيل اسرائيل !

فتحى العشرى

حول أدب المقاومة في فلسطين

عبد المنعم صبحي



كان القهر ، دائما ، يقابله ادب يدعو لانهاء هذا القهر . وقد لعبت القصيدة دورا كبيرا فى هذا المجال ، وخاصة فى المراحل الأولى للتاريخ . ربما لأن القصيدة أسهل حفظا وتداولا . ولأنها تعبر تعبيرا غنائيا حماسيا . والنظرة الاولى تجعلنا نجد امثلة عديدة ، عن شعراء لاقوا الاضطهاد ، نتيجة قصائد كتبوها فى مهاجمة الطغيان . واثناء الاحتلال النازى لفرنسا ، لعبت القصيدة دورا خطيرا فى تعبئة الشعور ضد الاحتلال . ويحدثنا مؤرخو هذه المرحلة وادباؤها ، خاصة : **كلود روا** ، وسارتر ، **وروجيه فايان** ... كيف كانت تطبع قصائد **أراجون وايلوار** ، وغيرهما من شعراء المقاومة على مطابع سرية ، وتوزع عن طريق أجهزة المقاومة ...

ولـكن ليس معنى ذلك ان القصـيدة كانت السلاح الوحيد فى المعركة . فلقد دخلت ـ بتعقد وسـائل النشر واتسـاعها ـ الوان أخرى من الأدب . **فالكاتب التشيكى : (جوليوس فوتشيك)** كتب فى سـجنه ، وقبل اعدامه مباشرة ، كتابا بعنوان : (تحت ظلال المشنقة) . وهذا الكتاب بين ان يكون ترجمة ذاتية لفترة من حياة الكاتب ، وعمل روائى له ظلال الذاتية . وقد كان لمسرحية سارتر (الندم) أثرها الكبير فى استفزاز الشعور القومى الفرنسى ، رغم أن مؤلفهـا تناول موضوعا كلاسيكيا ، **هو قصة عودة (أورست) للانتقام لمقتل أبيه أجاممنون ، بمعاونة أخته الكترا** . وهى القصة التى عالجها أدباء اليونان الكلاسيك . وتناولهـا الأدباء المعاصرون ، يضعون فيها وجهات نظر جديدة . فكان ان أسقط على احداثها (يوجين أونيل) النتائج التى وصل اليهـا سيجموند فرويد عن التحليل النفسى . وكان سارتر حريا أن يفعل عملا مشـابها ، لولا أن بلاده كانت واقعة آنئذ تحت القهر النازى ، فعبر فى مسرحيته عن فكرة المسئولية والاختيار ...

وأدب المقاومة : اذا ما شئنا أن نلقى اليه نظرة عريضة ، فانه ينقسم الى نوعين رئيسيين : الأول ... أدب تسجيلى لما يحـدث فى ظلال القهر . والثانى ... أدب يدفع الى تغيير هذا القهر .

والى اللون الأول ، تنتمى **القصة الروسية ، التى تألقت قبل الثورة الروسية** ، على ايدى : جوجـول ، وتولسـتوى ، ودستويفسكى ، وتشكوف ، وغيرهم من الكتاب . وفى « المفتش العام » لجوجول ... يكشف لنا الكاتب ، فى سخرية مريرة ، عن سوء النظام ، ومن فيه من انحطاط . و « البعث » وغيرهـا من أعمـال تولستوى ... كشف للنفوس الخربة التى كانت تعيش فى الروسيا آنئذ . ولأن هذا الأدب كان يعبر عن المجتمع ، بصدق شديد ، فنحن نجد فيه ارهاصات الثورة المقبلة . ويكشف لنا الناقد السوفيتى يرميلوف عما فى أعمال تشيكوف ، خاصة ، مسرحية ، « بسـتان الكرز » من الاحساس بأن شيئا ما يتغير .

ولكن هناك أدبا يواجه ، تماما ، القهـر . وبسهولة نجد هذا اللون فى أشعار **الشاعر التركى : ناظم حكمت ... والشاعر الشيلى : بابلونيرودا** . واذا كانت كلمات ناظم حكمت ، ذات أثر فى الخارج أكثر منها فى تركيا ... فان كلمات نيرودا كان لها أثرها على شيلى نفسها . وتحت الشمس الحارقة ، وتحت الأمطار ... كان عشرات الآلاف من العمـال ، يقفـون ، ليستمعوا الى أشعاره الثائرة ...

والعرب على طول تاريخهم ، عرفوا أدب المقاومة . وفى الأوقات التى كان يشتد فيهـا القهر ، كان الأدب يلجأ الى وسائله الشهيرة فى هروبه من السلطة . فكان يلجأ الى الرمز ، لكى يحمله ما يخشى أن يقوله . وفى أدبنا الشعبى ، خاصة ، **سيرة عنترة بن شداد ، وسيف بن ذى يزن ، وعلى الزيبق وابى زيد الهلالى ...** بذور لمحاربة النظام الذى كان قائما وقت كتابتها ...

وفى العصر الحديث ... تبلور أدب المقاومة ، واصبح أكثر فاعلية فى المعركة . والمؤرخ لثورة ١٩١٩ ، يلمس أثر سيد درويش ، فى دفع الثورة ضد الانجليز ، بموسيقاه ، واناشيده الوطنية . ولكن الدور كان بعد ذلك للقصـيدة ، تلعب دورها ، فى كافة البلاد العربية .

* * *

وقد انتجت نكبة ١٩٤٨ أدبا متعلقا بهـذه النكبة . ولهذا الأدب ثلاثة مصادر رئيسية : الأول ما كتبه الأدباء العرب عن فلسطين . والثانى ما كتبه شعراء فلسطين فى المنفى ومخيمات اللاجئين . والثالث ما كتبه الأدباء الذين يعيشون تحت القهر فى اسرائيل ، يعبرون عن أكثر من ربع مليون فلسطينى عربى ، يحكمهم النار والحديد ، ويحسون بأقسى ما يحس به انسان من مرارة ...

ومن الغريب ان الملاحظة الأولى ، تجعلك تحس فيما كتبه الأدباء الفلسطينيون فى خارج الوطن ، والعرب عامـة ، برائحة النكبة . أما ما يتسلل من داخل الأرض المحتلة ، فتستطيع أن تدرجه ، بسهولة ، تحت أدب المقاومة .

وللوهلة الأولى ... يتوقع الناقد والقارىء ، العكس . فالاديب العربى ، فى خارج فلسطين ، يحس برؤية أوسع للموقف ، وبالتالى ، يتوقع التغيير بشكل اوضح . أما الأديب العربى فى الأرض المحتلة ، فانه يحس بالسلطة تثقل على أفكاره وحياته ، وبالتالى ، يبدو الأمل غائبا فى ضباب الواقع الكثيف ... ولكن ما يحدث يكسر هذه القاعدة . وهذا شيء يصعب تفسيره . ولكن ليس ثمة من تفسير يقال ، الا ان الادباء فى الأرض المحتلة فى احساسهم اليومى بالقهر يرون ضرورة التغيير . أما الادباء خارج الوطن ، فيحسون بمرارة « النفى » ، ويجترون ما حدث من مآس ...

ولكن ما هى السمات الأساسية فى هذا الأدب ؟ .

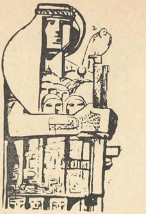
يقول « جاك بولان » فى كتابه : « وجها لوجه مع القومية العربية » ... ان أبرز ما يميز الأدب الفلسطينى سمة الالتزام . ويدلل على ذلك بهذه الأبيات :

.. وأنت صديقتى العذراء
ما دامت اغانينا
سيوفا حين نشرعها
وانت وفية كالقمح
ما دامت اغانينا
سمادا حين نزرعها

فالشاعر هنا ، مزج بين الحب والحرب العادلة التى يحلم بها ، والأرض المعطاء . وهذا المزج ليس جديدا على الأدب . ولكنك تحس به حقيقيا ، وصادقا ، فى كلمات الشاعر الفلسطينى فهو لا يستطيع ان يحب ، دون أن يفكر فى الاستقلال . وسعادته مع من يحب مرتبطة ارتباطا جذريا بالعودة الى الأرض السليبة :

ويتضح ذلك فى هذه الأبيات للشاعر الفلسطينى محمود درويش :

واقسم ...
من رموش العين سوف اخيط منديلا
وانقش فوقه شعرا لعينيك
واسما حين اسقيه فؤادا ذاب ترتيلا
يمد عرائش الايك ..
سأكتب جملة احلى من الشهداء والقبل :
« فلسطينية كانت .. ولم تزل »



فلسطينية العينين والوشم
فلسطينية الاسم
فلسطينية الأحلام والهم
فلسطينية المنديل والقدمين والجسم
فلسطينية الكلمات والصمت
فلسطينية الصوت
فلسطينية الميلاد والموت
حملتك فى دفاترى القديمة
نار اشعارى

حملتك زاد أسفارى

والالتزام هنا يقوم على صعيدين . الأول جماهيرى . والثانى ذاتى . والكاتب الفلسطينى يحس بالجماهير ، ويعبر عنها عندما يكتب ، ليس لأنه يختار موقفا . فالكاتب الايطالى او الفرنسى ، مثلا ، يختار بين ان يكون معبرا عن الجماهير ، أو ان يكون ذاتيا ، يعبر بأدبه عن مشاعره وافكاره الخاصة . والحكم فى ذلك تكوينه وضميره . ولكن الكاتب الفلسطينى ، يحس ، دائما ، واحد من مجموعة ، الانفصال عنها غير ممكن . ان الكاتب الفلسطينى يحس ببساطة ، انه يلبس ثوبا مثل الذى يلبسه كل الفلسطينيين . والثوب ــ مثلما يحدث فى الجيوش ــ يعطى التزاما من الواحد ازاء الكل ...

والكاتب الفلسطيني ملتزم على أساس شخصي ، لأن مشكلته الشخصية مرتبطة بالمشكلة العامة . وقد يستطيع الكاتب أن يحل مشاكله المادية او الأدبية عن طريق مهاراته الخاصة . لكنه يظل محروما من الاحساس بالوطن . لذلك فالمشكلة بالنسبة له ليست مشكلة فردية ، بل مشكلة متعلقة بكل الفلسطينيين الآخرين ، وبمشكلة الوطن نفسه ..

لذلك ، فالالتزام – ببساطة – ضرورة ، لا يستطيع ان يهرب منها كاتب فلسطيني ، حتى لو شاء ذلك .

* * *

محاولات تأريخ آداب المقاومة لدى شعب من الشعوب ، تتم عادة بعد التحرير . فالرؤية عندئذ تكون أوضح . ولأن كثيرا من أدب المقاومة يكون له قيمة وقتية . ولكن تأريخ أدب المقاومة الفلسطيني يبدو ضرورة ملحة . وهو ليس ضرورة سياسية فحسب ، لكنه ضرورة أدبية أيضا . فقد مرت على النكبة أكثر من تسعة عشر عاما ، تكفى لبلورة رؤى واضحة . الى جانب أن هذا الأدب يضرب بجذوره الى ما قبل عام ١٩٤٨ . كما أنه من الهام تقييم هذا الأدب ، لسبب بسيط ، هو أن أروع ما فى أدب المقاومة الفلسطينية ، ربما لم يكن قد كتب بعد ... وفى حاجة الى التمهيد له بوسائل كثيرة ، من بينها تقييم ما هو موجود فعلا ...

ولكن محاولة رصد الأدب الفلسطيني تستمر محاولة ناقصة ما دام التحرير لم يكتمل . وما دامت المحاولة ليست فى داخل حركة المقاومة نفسها ، على حد تعبير الكاتب الفلسطيني غسان كنفانى – حيث أرضه الطبيعية . وحيث المكان الذى ولد فيه الأدب ، وعاش فيه ، والتقى بالجماهير .

وقد كان الأدب العربي فى فلسطين قبل الكارثة يشكل رافدا له قيمته فى التيار الذى شغل النصف الأول من هذا القرن ، متخذا من القاهرة مركزا لانطلاقه ، متأثرا بالآداب المصرية واللبنانية والسورية – التى كانت فى ذلك الحين رائدة ثورية لمرحلة جديدة ، خاضها الأدب العربى ، بعد استغراق طويل فى الأشكال والأفكار التقليدية ...

وبعد النكبة ، لعبت الطلائع الفلسطينية المثقفة دورا بارزا فى المنفى . لكن هذا الأدب ليس مشابها لأدب المهجر ، وان بدا أن الظروف متشابهة . فالأديب هنا بعيد عن وطنه ، وهناك ، أيضا ، بعيد عن وطنه . ولكن كان موقف كل منهما سببا فى اتخاذ كل من الأديبين تيارا مختلفا . فالأديب المهجرى ، اختار نفيه باختياره ، وهو فى النهاية يستطيع ان يعود الى وطنه ، فى حين ان الأديب الفلسطيني اجبر اجبارا على النفى . ثم هو لا يستطيع ان يعود الا بحرب يضع أحلامه عليها . وكان لهذا الاختلاف نتيجة متميزة . وهى ان ادبا هنا صار ادبا فلسطينيا ، له كل سمات المواطنة ، رغم انه كتب فى المنفى .

وقد لمع بين ادباء المنفى كثير من الادباء الفلسطينيين . **غالبيتهم ممن عاشوا أطفالا فى مخيمات اللاجئين . وشهدوا المحنة قبل ذلك أطفالا** . وفقدوا اسرتهم او بعضها فى حرب فلسطين . وربما كان ألمع هؤلاء الكتاب **غسان كنفانى ، ومعين بسيسو ، وحليم بركات ..**

وغسان كنفانى ابن لأحد المخيمات ، تعلم ، وسافر الى عديد من البلاد العربية ، يعمل مدرسا ، أحيانا ، حتى انتهى به المطاف الى أن احترف الكتابة . وكتب عن فلسطين والفلسطينيين التائهين ، المنتظرين لحظة العودة فى رواياته وقصصه : « رجال فى الشمس » ، و « أرض البرتقال الحزين » ، و « الهاربون » ، و « موت سرير رقم ١٢ » ، وغيرها . وله ندين بالفضل فى التعرف على الأدب الفلسطيني والأرض المحتلة ، وهو الذى بقى لوقت طويل عالما مجهولا بالنسبة لنا . وقد نشر هذه الأعمال فى كتاب بعنوان : « أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة » .

وتفرد غسان كنفانى يأتى من أنه يملك الى جانب القدرة على النفاذ الى حياة اللاجئين ، القدرة الفنية التى تضعه فى مصاف كبار كتاب القصة العربية . فهو كاتب يدرك صنعة القصة جيدا . ولا يقع فى أحابيل الخطابة والمباشرة .

ويلتقى معه فى قدرته حليم بركات . بل تبدو قدرات هذا الكاتب الأخير متفردة ككاتب عربى . وان كان يبدو اقل مواصلة للكتابة . ومن السهل أن نستنتج من أعماله الأدبية ، وهما روايتان على قدر تتبعى . انه شهد النكبة شابا ،

او على الأقل صبيا على قدر كبير من القدرة على تذكر التفاصيل ومتابعة الأحداث . وان كان يبدو في كتاباته أن الأرض التى يقف عليها أقل صلابة ، وان احساسا غائما بالنفى يجتاح صدره ...

ومعين بسيسو شاعر له قدرة كبيرة ولكنه حول شعره الى السياسة اليومية ، فسقط فى المباشرة ، مما جعل قيمة بعض قصائده ليست كبيرة ، وان **كانت قصائده التى يعبر فيها عن الأزمـــة من أروع ما كتب فى الأدب الفلسطينى ...**

وهناك صف ثان من الأدباء أقل قدرة ، واكثر حماسا لأن يحولوا أدبهم للمعارك اليومية .

ومن هؤلاء : ناهض الريس ــ الذى يعيش فى قطاع غزة . ويقول فى احدى قصائده :

شـيلوك دائنك الأخس,أنا ، وقاضـينا الدماء
وشـهودنا البرية الخرسـاء والسهل والعراء
والوقت بعد غد ، صــباحا أو مســاء

* * *

وكان للنكبة أثر هام هو أنها حولت ــ كليا أو جزئيا ــ كثيرا من الأدباء الى أدباء معبرين عن فلسطين .

يـبدو هـذا التعبير متفاوتا فى قصائد : **بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وعبد الوهاب البياتى ، وفدوى طوقان** ... وروايات : **يوسف السباعى ، وزكريا تامر ، وتوفيق يوسف** . ولكن فى النهاية تنتمى الى الروح الفلسطينية .

ومن الصعب ، احيانا ، أن تميز بين قصائد العرب المعبرين عن الأزمـة الفلسطينية وبين الكتاب الفلسطينيين أنفسهم . وفى قصيدة : اغنيـة من قصائد الى يافا ... نحس بهذا الاحساس الذى يمكن أن يكون نقيضا للنفى :

« يافا » يسوعك فى القيود
عار تمزقه الحناجر ، عبر صلبان الحدود
وعلى قبابك غيمة تبكى
وخفاش يطير



يا وردة حمراء ، يا مطر الربيع
قالوا .. وفى عينيك يحتضر النهار
وتجف ، رغم نفاسة القلب الدموع
قالوا : تمتع من شميم
عرار نجد ، يا رفيق
فبكيت من عارى
« فما بعد العشية من عرار »
فالباب أوصده « يهوذا » والفريق
خال وموتاك الصفار
بلا قبور ، يأكلون
أكبادهم ، وعلى رصيفك يهجعون

وقد استعمل البياتى فى هذه القصيدة قصة العربى الذى ترك نجد ، فقبل ان يتركها اخذ يشم عرارها ، قائلا لنفسه ، أو قال له احدهم :

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار !

وفى هـذا الموقف كل الاحساس بالغربة المتوقعة . وهو الاحساس الذى جـذبه من عشرات القـرون ، لكى يسقطه على النفى الجديد .

بعد النكبة تفرق الفلسطينيون فى الأراضى العربية الأخرى وفى المنافى . ولم يبق بفلسطين نفسها الا جزء من السكان لا يزيدون كثيرا عن ربع مليون نسمة ــ كانوا ــ رغم كل ظروف القهر المريرة ــ يعيشون على أرض الوطن .

وان كانت مواطنة بلا سلطة ، ولا حرية ، ولا ضمانات .

ولم يكن الناقد يتوقع ان ينبع من هذه المجموعة أدب ما . ولكن الواقع خيب توقعات النقاد . وكان النقاد يرون ان هذه المجموعة ، تعيش فيظروف لا يمكن ان تساعدها على انتاج أدب من أى نوع .

أولا : كان المثقفون ، عامة ، قد غادروا فلسطين الى المنفى . ولم يبق فيها الا مجتمع قروى ، أو شبه قروى ، فى بعض الحالات . وكان هذا المجتمع يعيش فى ظروف حصار سياسى واجتماعى وثقافى نادرة بالنسبة لأى مجتمع عانى من القهر . بل نستطيع ان نقول انها ظروف فريدة على مر التاريخ دون ان نجانب الصواب .

ثانيا : المدن عامة تمثل شكلا من أشكال احتضان الأديب النابع من الريف . وهذا دور ضرورى ولا هروب منه . وحتى الأدباء المفكرون الذين ارتبطوا بالقرية وانعزلوا عن المدينة مثل : فروست ، وثورو ، وشولوخوف .. كانت للمدينة فضلها فى احتضانهم عندما خرجوا الى الدنيا بمواهبهم .

ثالثا : انعزال الفلسطينيون فى الأرض المحتلة تماما عن الأدب العربى . فاذا ما تأملنا ثمار هذا الأدب خلال العشرين عاما الماضية فى مجال الرواية والقصة والشعر والنقد ، رأينا أى جفاف فكرى عاش فيه هؤلاء . هذا الى جانب انعزالهم عن الأدب العربى ، نتيجة الحصار الفكرى من ناحية ، ونتيجة عدم اتقان هؤلاء للغات من ناحية أخرى .

رابعا : السلطات الصهيونية تملك وتمول كافة وسائل النشر . وهى لا يمكن أن توافق على أدب يعبر عن الفلسطينيين ، وعامة لا تشجع أى انتاج أدبى لهم ، مهما كان ما يعبر عنه .

كانت هذه هى الصورة التى رآها الناقد ، ومن السهل ان تستنتج منها بعد ذلك انه لا يمكن ان يقدم ادب له قيمة .

ولكن ما حدث بعد ذلك ، أثبت أن الأدب من الممكن ان يزدهر فى الصخور ، كما يزدهر فى الوديان . فقد هبت موجة من الأدب الفلسطينى ، ولم ندرك جوانبها كلها نتيجة الحصار الصهيونى ، ولكن ما لمسناه منها حتى الآن ، يدل دلالة واضحة على عمق وروعة وصدق هذا الأدب .

ونحن مدينون بشكل كبير للكاتب الفلسطينى غسان كنفانى فى التعرف الى هذا الأدب . فقد جمع كثيرا من النصوص النثرية والشعرية فى كتابه : « أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة » .

وبديهى ان يكون للقصيدة فى مثل هذا المجتمع دورها المتميز ، أولا نتيجة لظروف القهر ، وثانيا لامتداد طبيعى لدور القصيدة فى الأدب الفلسطينى . فمنذ عشرات السنين ، ان لم يكن أكثر . وهى أداة فى المعركة .

وليس من أديب فلسطينى الا وقد قرأ — أو حفظ — تلك القصيدة التى كتبها مجهول من شهداء عام ١٩٣٦ ؛ بل تبدو تلك القصيدة كما لو كانت عملاقا يسقط ظله على الأدب الفلسطينى بكامله . وهى من الشعر الشعبى .

يا ليل ، خلى الأسير تا يكمل نواحو
راح يفيق الفجر ويرفرف جناحو
تا يتمرجح المشنوق فى هبة رياحو
شمل الحبايب ضاع وتكروا قداحو

* * *

يا ليل وقف تا قفنى كل حسراتى
يمكن نسيت من أنا ..
ونسيت آهاتى .
يا حيف ! كيف انقضت بيدك ساعاتى
لا تظنى دموعى خرف ، دمعى على وطانى
وعاكمشة زغاليل بالبيت جوعانى
مين راح يطعمها بعدى ؟
واخوانى اتنين قبلى شباب ع المشنقة راحو

يقول غسان كنفانى .. ان القصيدة الشعبية كانت أكبر ألوان الأدب الفلسطينى انتشاراً ، لسبب بسيط ، هو أنه من الصعب تتبع صاحبها الأول ، وانزال العقاب به .

ومن القصائد الشعبية ـ التى يعرف قائلها يقول « المؤلف المجهول » :

هبت النار والبارود عنى
تسلم لينا يا بو خالد
يا حامى ظعنا
تسلم لينا يا أبو خالد
يا حامى هالديرة

ومنذ عام ١٩٤٨ طبع بالعربية فى الأرض المحتلة ١٨ ديوانا من الشعر ، و ٥ روايات . وهنا يثور سؤال .. كيف سمحت السلطات الاسرائيلية لهذا الانتاج أن يرى النور . ولكن ذلك يعود الى عدة أسباب :

أولا : ان السلطات الاسرائيلية تريد تفريغ طاقات العرب ... وتحويلها الى روح صهيونية عن طريق التدمير الثقافى . فهى تريد أن يحتضن البعض ، وأن تبدو كما لو كانت تفسح الطريق للأدباء .

ثانيا : ان الأدباء العرب لجأوا الى الرمز . وبدت أعمالهم كما لو كانت خالية من العداء للسلطة ..

ثالثا : ان هناك جزءا من المعارضة للسلطة .. رأى أن من حق العرب أن يكون لهم أدبهم . وقد لقى هذا الجزء الاضطهاد ، ولم يستطع أن ينشر للعرب انتاجهم غالبا الا برموز أو بلا توقيع ، وخاصة فى صحيفة « الاتحاد » .

وفى عام ١٩٦٠ .. قدم أحد الشعراء العرب الى المحاكمة ، بتهمة « العداء للدولة » . وفى العام التالى ، قامت عملية قهر للأدب العربى .

ومن الأعمال الفلسطينية المنشورة : مسرحية رمزية بعنوان « بيت الجنون » لتوفيق فياض .. وقصيدة رمزية ـ أيضا ـ فى أربعة أجزاء لسميح القاسم ، عنوانها (ارم) ... و « عاشق من فلسطين » لمحمود درويش . ولكن رغم هذا المنشور ... ظلت القصيدة هى ألمع ما فى الأدب الفلسطينى .

أثناء العدوان الثلاثى .. ألقى « حبيب قهوجى » ـ من قرية فسوطة ـ فى حيفا قصيدة ، يقول فيها :

تفجر من صميمى يا قصيدى
جرىء اللحن تسخر بالقيود
وارسلها مجلجلة تدوى
الى أرض القنال وبور سعيد
الى الأبطال قد طاروا خفافا
لصيد الغزو كالقدر المبيد
أتنذر بالدمار جمال مصر
وترجو النصر خفاق البنود
جهنم أرضنا فى وجه غاز
وفردوس لكل أخ ودود

والشاعر نفى بعد ذلك الى طبرية ...

وللشاعر محمود سليم درويش (وهو من قرية البروة التى هدمها اليهود) ديوان شعر بعنوان « عصافير بلا أجنحة » . وقد حشد الديوان بقصائد عن دمار قريته . يقول فى احدى قصائده :

انا فى ترابك يا بلادى رعشة الدفء الفتية
انا فى كروم التين .. فى قلب البرارى العسجدية
وهنا جذورى فى ترابك .
كيف تقلعها أياد أجنبية .

وقد قبض عليه وأودع السجن ، وهناك أكمل ديوانه « عاشق من فلسطين » ، وتسربت كلماته من خلال القضبان كما كانت تتسرب أشعار ناظم حكمت . و « الحبيبة » فى شعر محمود درويش ، شفافة ، تتوحد مع (الأرض) ، حتى تصبح هى وفلسطين ، معنى واحدا .. « واقسم

من رموش العين سوف أخيط منديلا
وانقش فوقه شعرا لعينيك
واسما حين أسقيه فؤادا ذاب ترتيلا .

* * *

لك المجد
تجسح فى خيالى
من هواك
السجن والقيد
أراك اذا استندت الى وساد
مهرة تعدو
احسك فى ليالى البرد
شمس
فى دمى تشدو
أسميك الطفلة

* * *

أسميك السماء
فتشمت الأمطار والرعد

لك المجد !
فليس لفرحتى بتحيرى
حد
وليس لموعدى وعد !

ولكن اذا كان محمود درويش قد مزج صورة « الحبيبة » بصورة الوطن بطريقة رمزية .. فهناك من قالوا رأيهم دون رمز . ومن هؤلاء « توفيق زياد » :

اهون ألف مرة
أن تدخلوا الفيل بثقب ابرة
وأن تصيدوا السمك المشوى فى المجرة
أن تحرثوا البحر
أن تنطقوا التمساح
اهون ألف مرة
من ان تميتوا باضطهادكم وميض فكرة ..
وتحرفونا عن طريقنا الذى اخترناه
قيد شعرة

هنا على صدوركم باقون كالجدار
نجوع
نعرى
نتحدى
ننشد الأشعار
ونملأ الشوارع الغضاب والمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
وتصنع الأطفال جيلا ناقما
وراء جيل
كأننا عشرون مستحيل
فى اللد والرملة والجليل

ان ادب الفلسطينيين فى الأرض المحتلة هو الجزء الثالث ، والأهم ، والأعمق ، فى ثالوث ضلعاه الآخران : الأدب العربى غير الفلسطينى الذى عاش قضية فلسطين ... والأدب الذى أنتجه الأدباء فى الأرض المحتلة فى المخيمات والمنافى ...

عبد المنعم صبحى

